ديوان الوقف الشيعي
العتبة العسكرية المقدسة
مركز تراث سامراء

الإمام الحسن العسكري عليه السلام أيقونة النبوة والإمامة

وقائع المؤتمر العالمي الدولي الثاني

الجزء الرابع

إشراف ومراجعة
مركز تراث سامراء

الكتاب: الإمام الحسن العسكري عليه السلام إرث النبوة والإمامة (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني)/ ج٤.
المؤلف: مجموعة باحثين.
الناشر: مركز تراث سامراء.
المطبعة:
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: نسخة.
سنة الطباعة: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م.
رقم الإصدار: ٦٢.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٦٥٢) لسنة ٢٠٢٢م.
ISBN: 978-9922-21-401-6

جميع الحقوق محفوظة لمركز تراث سامرّاء.

البحوث المنشورة في وقائع المؤتمر تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر عن رأي مركز تراث سامراء.

وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني الذي أقامه مركز تراث سامراء برعاية العتبة العسكرية المقدسة وبالتعاون مع جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية و(٢٤) جامعة عراقية.

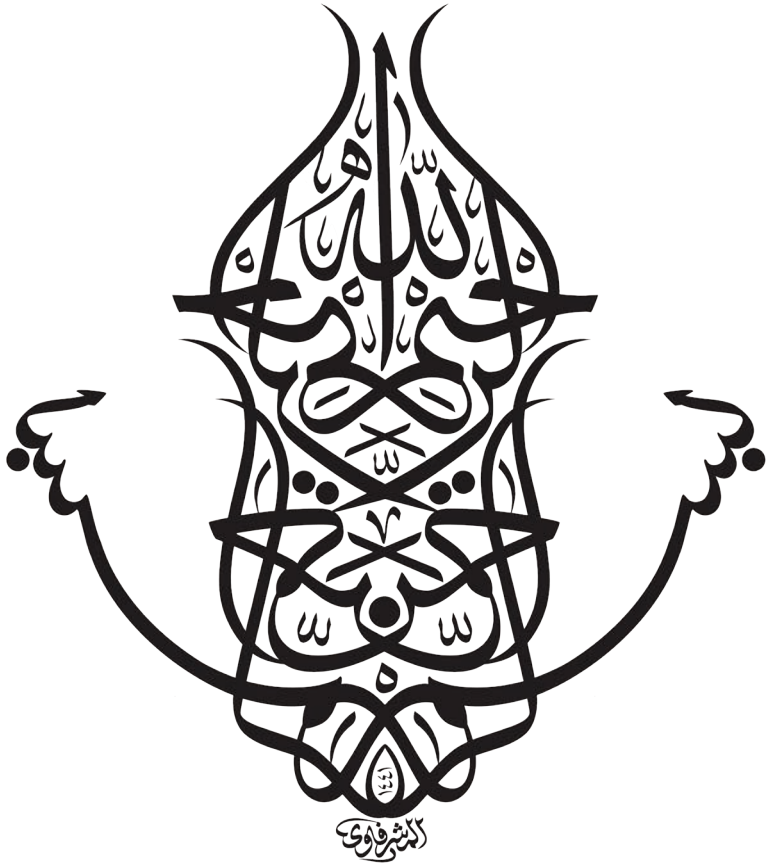
بسم الله الرحمن الرحيم
الشرفاوي

العقيدة

البحث الثاني والعشرون

أخلاقيات

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

الباحث: موسى جعفر الخفاجي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الغر الميامين وأصحابه المنتجبين ...

أما بعد، فإن هذا البحث قد حمل عنوان «**أخلاقيات الإمام العسكري عليه السلام**» إيماناً منا بأن تلك الشخصية الربانية، والنفس الملكوتية، ذات السمو والرفعة العالية، والمكارم الفاضلة المتمثلة بالإمام الحادي عشر من أوصياء النبي الخاتم صلى الله عليه وآله الحسن بن علي العسكري عليه السلام، قد رسم لنا أنموذجاً متكاملاً ومنهاجاً واضحاً من خلال أفعاله وأقواله وسيرته العطرة.

وقد اخترنا هذا العنوان للكتابة عنه لما من له أهمية في حياتنا العامة لأخذ العبرة والعظة منه من جهة، ولقلّة اهتمام المؤرخين والكتاب بالتركيز على تلك الأخلاقيات الفاضلة؛ لأن أغلب أصحاب السير والتاريخ، ركزوا على سرد حياته وعلاقته مع السلطة الحاكمة من دون التركيز على تلك الأخلاق الكريمة، فما أحوجنا لأن نتخذ من الإمام عليه السلام قدوة لنا في كيفية التعامل مع أقاربنا وصلة أرحامنا، وكيفية التعامل مع المخالفين لنا وأعدائنا، وما هي الأخلاقيات التي نتخذها في هداية الضالين وأصحاب العقائد الأخرى، والوسائل المتبعة في قضاء حوائج المحتاجين وتسهيل أمور الفقراء والمعدمين ...، كل هذه الأمور وغيرها نجدها في هذا البحث .

احتوى البحث على مبحثين سبقا بمقدمة ولحقا بخاتمة، فكان المبحث الأول بعنوان: «أخلاقيات الإمام العسكري عليه السلام وأساليبه في التأكيد على الأمور الأخلاقية وقضاء الحوائج بالإنفاق والدعاء»، ويتضمن ثلاثة مطالب: المطلب الأول: «تأكيد

الإمام العسكري عليه السلام على التحلي بمكارم الأخلاق»، أما الثاني: فكان بعنوان «أساليب الإمام العسكري عليه السلام في قضاء الحوائج بالإنفاق في سبيل الله»، والمطلب الثالث: فحمل عنوان «قضاء الحوائج بالدعاء».

أما المبحث الثاني فحمل في طياته عنوان: «أخلاقية النبل عند الإمام العسكري عليه السلام» وكذلك ويقسم إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: «النُبل تجاه رجالات السلطة الحاكمة»، والثاني: كان بعنوان: «النبل تجاه أصحاب الديانات الأخرى»، أما المطلب الثالث فعنوانه «النبل تجاه المقربين إليه».

أفاد البحث العديد من المصادر الأولية والمراجع الثانوية أبرزها: كتاب الكافي لثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩هـ)، والإرشاد للشيخ المفيد (ت٤١٣ هـ)، والمناقب لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨هـ)، وكشف الغمة للإربلي (ت ٦٩٢هـ)، والخرائج والجرائح للراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، وبحار الأنوار للعلّامة المجلسي (ت ١١١٠هـ).

أما المصادر الثانوية فأبرزها: كتاب الإمام العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد للمرحوم السيد كاظم القزويني، وكتاب الغيبة الصغرى للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر، والإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ للكاتب الكعبي، وسيرة النبي وأهل بيته للكوراني .

والله ولي التوفيق

المبحث الأول: أخلاقيات الإمام العسكري عليه السلام وأساليبه في التأكيد على الأمور الأخلاقية وقضاء الحوائج بالإنفاق والدعاء

المطلب الأول: تأكيد الإمام الحسن العسكري عليه السلام على التحلّي بمكارم الأخلاق

وتعرّف **مكارم الأخلاق** بأنها: الأعمال الشريفة التي توجب كرامة الإنسان وشرافته، وسموه، وعزته...[١]، أما **الخُلق**: فهو حال للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال من خير وشر من غير حاجة إلى فكر وروية؛ **والأخلاقي**: هو ما يتفق وقواعد الأخلاق، أو قواعد السلوك المقررة في المجتمع[٢].

لقد حثنا القرآن الكريم والسنة النبوية على التحلي بفضائل الأخلاق الحسنة وتجنب رذائلها، بل من صفات المؤمن أن يكون لين العريكة سمحاً سخياً طيب القلب، وقد مدح الله تعالى نبيه لحسن خلقه، فقال عنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٣] وقال تعالى :﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[٤] .

وقال صلى الله عليه وآله: «**إنما بعثتُ لأتممَ مكارم الأخلاق**»[٥]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**حسن الخلق خير قرين، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه**»[٦].

وقد سعى أهل البيت (صلوات الله عليهم) إلى ترسيخ مبادئ الأخلاق والمثل السامية في ربوع المجتمعات، وجعلوا ذلك من أولويات رسالاتهم السمحة، وعانوا

---

(١) الصدر، أخلاق أهل البيت عليهم السلام، ص٢٤ .

(٢) أنس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ص٢٥٢.

(٣) سورة القلم: الآية ٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٥) النراقي، جامع السعادات، ج١، ص٣٧.

(٦) الحراني، تحف العقول، ص٢٠٠ .

في سبيل ذلك ما عانوه من تكذيبهم، ومحاربتهم، ومنع مواليهم من الاتصال بهم و...، كذلك كان عصر الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت، الإمام الحسن العسكري عليه السلام من أشد الفترات في التفسخ الأخلاقي، والابتعاد عن الشريعة الإسلامية والانغماس باللهو والملذات، فقد عمل جاهداً في إرساء المبادئ الأخلاقية حين يرى لها موضعاً للاستفادة منها أو المقابل ينتفع منها، ولنأخذ نماذج من تلك الأخلاقيات التي أرساها الإمام عليه السلام:

وصايا الإمام عليه السلام بترك الاعتذار وأن لا يرد شاتماً

روي عن داود بن الأسود قال: دعاني سيدي أبو محمد فدفع إليَّ خشبة كأنها رجل باب مدورة طويلة ملء الكف فقال: صر بهذه الخشبة إلى العمري، فمضيت فلما صرت إلى بعض الطريق عرض لي سقاء معه بغل فزاحمني البغل على الطريق فناداني السقاء صح على البغل فرفعت الخشبة التي كانت معي فضربت البغل فانشقت، فنظرت إلى كسرها فإذا فيها كتب فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمي، فجعل السقاء يناديني ويشتمني ويشتم صاحبي، فلما دنوت من الدار راجعاً استقبلني عيسى الخادم عند الباب فقال: يقول لك مولاي أعزه الله لم ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟

فقلت له: يا سيدي لم أعلم ما في رجل الباب، فقال: **ولم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه، إياك بعدها أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شاتماً فامض لسبيلك التي أمرت بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا** أو تعرفه من أنت، فإننا ببلد سوء ومصر سوء، وامض في طريقك فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا، فاعلم ذلك[1].

ويتبين لنا من خلال تلك الرواية ـ على الرغم من صعوبة الظروف التي كان يواجهها الإمام العسكري عليه السلام من مراقبة السلطة له ـ تأكيده على أن يتحلى أتباعه

(١) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٤، ص٤٦٠- ٤٦١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٨٣.

ومحبوه بمكارم الأخلاق والترفع عن الرد بالمثل، بل مقابلة الإساءة بالإحسان والحلم، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**الحلم عنوان الفضل (النبل)، والحلم زين الخلق**»[١]، ولا يتصور البعض أن عدم رد الشتم أو الإساءة موضع ضعف، بل هو بمثابة الإهانه والعقاب له، ورضا وقرب من الرحمن، وسخط وطرد للشيطان، كما في الحديث عن أمير البلغاء والمتكلمين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «**دع شاتمك مهاناً ترض الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه**»[٢].

كذلك تأكيده على تجنب الاعتذار، وذلك بتجنب التعدي على الآخرين؛ لأن المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، فعن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**إياك وما تعتذر منه، فإن المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر**»[٣].

وأضاف الكوراني عدة ملاحظات[٤]:

١- معنى وَقَّاد الحمّام: الخادم الذي يهيئ حطب الحمام ويُحميه، فقد كانت حمّاماتهم غرفة منفصلة عن مبنى البيت، وكانوا يوقدون تحتها النار حتى تكون أرضها حارة، مضافاً إلى حوض مائها.

٢- أرسل الإمام عليه السلام هذه الرسائل مع هذا الخادم إلى وكيله العمري، ليرسلها إلى أصحابها في بلادهم، ومعناه أن رقابة الخليفة كانت شديدة على العمري، ولم يكن يستطيع المجئ إلى بيت الإمام عليه السلام بحرية!

---

(١) الآمدي، غرر الحكم، ص٣٠.

(٢) المفيد، الأمالي، ص١١٨.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٢٤٨.

(٤) الكوراني، الإمام العسكري والد المهدي الموعود، ص١٢١ - ١٢٢.

٣ـ لعل العَمْري أرسل الرسائل إلى الإمام عليه السلام في تلك العلبة التي تشبه رجل الباب لإخفائها عن رقابة الخليفة، ورِجْلُ الباب خشبة مدورة يغرز رأسها في عتبة الباب السفلى، ومثلها في العليا ليدور عليها الباب عند فتحه وغلقه .

٤ـ متابعة الإمام لهذا الخادم يدل على أهمية تلك الرسائل، وعلى الضرر الكبير لو انكشفت ووصلت أسماء أصحابها أو مضامينها إلى الخليفة .

٥ – قول الإمام عليه السلام أو وكيله للخادم: (وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تُعرفه من أنت، فإننا ببلد سوء ومصر سوء، وامض في طريقك) يدل على أن البلد يستعمل بمعنى المدينة، والمصر بمعنى المنطقة والدولة، وعلى أن سامراء ومحيطها كان سيئاً لا التزام عند أهله بقيم الدين، ولا معرفة لهم بحق أهل البيت عليهم السلام، بل هم يتزلفون إلى السلطة .

٦ – قوله عليه السلام: (فإن أخبارك وأحوالك تَرِدُ الينا)! يدل على أن الإمام عليه السلام يستطيع أن يراقب من يؤدي مهمته، وهذه عقيدتنا في الأئمة المعصومين عليهم السلام .

حسن الظن بالإخوان والإحسان إليهم

عن أبي جعفر محمد بن عيسى بن أحمد الزرجي قال: رأيت بسر من رأى رجلاً شاباً في المسجد المعروف بمسجد زبيد، في شارع السوق، و ذكر أنه هاشمي من ولد موسى بن عيسى لم يذكر أبو جعفر اسمه، وكنت أصلي فلما سلمت قال لي: أنت قمي أو زائر؟ قلت: أنا قمي مجاور بالكوفة في مسجد أمير المؤمنين عليه السلام. فقال لي: تعرف دار موسى بن عيسى التي بالكوفة؟

فقلت: نعم؟ فقال: أنا من ولده قال: كان لي أب وله أخوان، وكان أكبر الأخوين ذا مال، ولم يكن للصغير مال، فدخل على أخيه الكبير فسرق منه ست مئة دينار، فقال الأخ الكبير: أدخل على الحسن بن علي بن محمد الرضا عليهم السلام **وأسأله أن يلطف للصغير لعله أن يرد مالي فإنَّه حلو الكلام**، فلما كان وقت السحر بدا لي (تبدل

رأيي) عن الدخول على الحسن بن علي عليهما السلام، وقلت: أدخل على أشناس التركي[١]، صاحب السلطان و أشكو إليه، قال: فدخلت على أشناس التركي وبين يديه نرد يلعب به، فجلست أنتظر فراغه، فجاءني رسول الحسن بن علي عليهما السلام فقال: أجب! فقام معه فلما دخل على الحسن عليه السلام قال له: **كان لك إلينا أول الليل حاجة ثم بدا لك عنها وقت السحر، اذهب فإن الكيس الذي أخذ من مالك رد، ولا تشك أخاك وأحسن إليه وأعطه، فإن لم تفعل فابعثه إلينا لنعطيه.** فلما خرج تلقاه غلامه يخبره بوجود الكيس[٢].

وأهم ما يلحظ على تلك الرواية ما يأتي:

١ـ تأكيد الإمام العسكري عليه السلام على إرساء مبادئ الثقة بين أفراد المجتمع وحسن الظن بالآخرين، والإحسان إليهم، فإن ذلك يعزز أواصر الألفة والمحبة، لا سيما وأن المخاطبين في تلك الرواية بينهما صلة رحم.

٢ ـ إن قصد هؤلاء الإمام عليه السلام على الرغم من بعد المسافة بإيجاد حل، لما وقعوا

---

(١) قائد مشهور، قدم حلب بصحبة المأمون حين قدمها للغزو، ووجهه المأمون إلى حصن سندس غازياً، فأتاه برئيسه، وكان أيضاً على مقدمة المعتصم حين فتح عمورية، واجتاز بحلب، وولاه الواثق الجزيرة والشام جميعه، ومصر والمغرب، فكانت حلب وعملها في ولايته، وتوجه إلى ولايته في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين ومئتين، وتوجه الواثق وألبسه وشاحين بالجوهر، ذكر ذلك ابن أبي الأزهر في تاريخه وقال: ونظر في صلات المعتصم لأشناس فوجد مبلغها أربعين ألف ألف درهم، وأن أشناس كان إذا سكر عربد، وكانت امرأته غالبة عليه، وكان يخافها خوفاً شديداً، فإذا بلغها عربدته شدت عليها ثيابها وأخذت قوسها وسهامها، ووقفت بإزائه تشتمه وتهدده فينام ... ومات أشناس سنة ثلاثين ومئتين في شهر ربيع الأول، وفي رواية آخرى توفي: سنة اثنتين وخمسين ومئتين، مات أشناس وخلف خمسمئة ألف دينار فأخذها المعتز؛ للمزيد ينظر: ابن العديم، بغية الطالب في تاريخ حلب، ج٤، ص٩١٩ – ٩٢٠ .

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٤٧-٢٤٨؛ العاملي، الحر، إثباة الهداة، ج٥، ص٢٣؛ القزويني، الإمام العسكري من المهد إلى اللحد، ص٢٥١- ٢٥٢.

فيه إنما يدل على أنه أفضل أهل زمانه في حل المعضلات، والعالم بالسرائر المخفيات، وبيته مقصود من دون البيوتات، والمعروف بلين الكلام والملاطفة كما نجده في قول الرجل: «**واسأله أن يلطف للصغير لعله أن يرد مالي فإنَّه حلو الكلام**».

وصايا الإمام عليه السلام بالاقتصاد وتجنب الإسراف

عُرّف الاقتصاد بأنه: خلق محمود يتولد من خلقين: عدل وحكمة، فبالعدل يعتدل في المنع والبذل، وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذي يليق به، فيتولد من بينهما الاقتصاد، وهو وسط بين طرفين مذمومين قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً**﴾[١].

أما الإسراف: فهو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس[٢]، وقال ابن القيم: إنَّ الجواد حكيم يضع العطاء في مواضعه، والمسرف مبذر قد يصادف عطاؤه موضعه وقد لا يصادفه[٣].

إنَّ النظام والدستور الذي رسمته لنا الشريعة الإسلامية السمحاء، وجد لتنظيم الحياة العامة للمجتمعات، وحفظ حقوق أفراده، فلو عمل كل فرد بما رسمته له الشريعة الإسلامية، لما حصل ظلم وتعدٍّ وحرمان و...، ومن ضمن تلك النظم هو الاقتصاد في المعيشة، وهو أمر راجح بين طرفي الحرص والبخل من جهة وبين الإسراف والتبذير من جهة أخرى، فعلى المرء أن يتخذ جانب الاقتصاد والتدبير في تنظيم شؤون حياته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغناء والفقر، والعدل في الرضا والغضب**». وقال صلى الله عليه وآله في

(١) ابن القيم، الروح، ص٦٦١، سورة الإسراء، الآية ٢٩.

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص٢٣.

(٣) ابن القيم، الروح، ص٦٦٦.

حديث آخر: «**التدبير نصف المعيشة، ومن اقتصد أغناه الله**»[١]، وعن صادق العترة عليه السلام قال: «**إنَّ القصد أمر يحبه الله، وإن السرف أمر يبغضه الله، حتى طرحك النواة فإنها تصلح لشيء، وحتى صبّك فضل شرابك**»[٢].

وقد عمل أهل البيت عليهم السلام على الحثّ على الالتزام بتلك الدعائم والمرتكزات التي تحافظ على تماسك المجتمعات وتنظيم أمورها المعاشية، فعندما يرون عملاً سيئاً وغير مقبولٍ عند فرد ما، فإنهم يتحينون الوقت المناسب والظرف المناسب، الذي يؤثر ويغير من واقع ذلك الفعل، وهذا ما نجده في الرواية الآتية عن الإمام العسكري عليه السلام في توجيهه لشكر الله تعالى، والاقتصاد وتجنب الإسراف، فقد روي عن محمد بن حمزة السروري قال: كتبت على يد أبي هاشم الجعفري[٣] ـ وكان لي مؤاخياً ـ إلى أبي محمد عليه السلام

(١) النراقي، جامع السعادات، ج٢، ص٣٠٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٣ .

(٣) هو ابن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب، أبو هاشم الجعفري البغدادي، محدث شاعر عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام من كبار الشخصيات في عصره، روى عن الإمام الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام وعن أبيه القاسم، قال عنه أبو الفرج الأصفهاني: وكان ذا عارضة ولسان لا يبالي ما استقبل الكبراء وأصحاب السلطان به، أن بيت أبي هاشم كان في بغداد وكان الإمام عليه السلام في سامراء، فشكا إليه طول الطريق وطلب منه أن يدعو له أن يقويه على زيارته، فقال الإمام عليه السلام: «قَوَّاكَ الله يا أبا هاشم وقَوَّى بِرْذَوْنَك. قال: فكان أبو هاشم يصلي الفجر ببغداد ويسير على البرذون، فيدرك الزوال من يومه ذلك في عسكر سر من رأى، ويعود من يومه إلى بغداد إذا سار على ذلك البرذون، وكان هذا من أعجب الدلائل التي شوهدت، قال الكوراني: المسافة من بغداد إلى سامراء مئة وعشرون كيلو متراً، فهي تحتاج إلى نحو عشر ساعات على البغل السريع، وكان أبو هاشم بعد دعاء الإمام عليه السلام يقطعها في نحو خمس ساعات، وهذا ليس غريباً على دعاء الإمام عليه السلام وليس غريباً أن تطوى الأرض بدعائه عليه السلام، توفي سنه ٢٦١هـ بعد أن تشرف برؤية الإمام المهدي (صلوات الله عليه) للمزيد ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص٥٠٩ ـ ٥١٠؛ البرقي، رجال البرقي، ص٣٤٣؛ الكوراني، الإمام الهادي عليه السلام، ص٤٢٨.

أسأله أن يدعو لي بالغنى، وكنت قد أملقت[١]، فأوصلها وخرج الجواب على يده: أبشر فقد أتاك الله بالغنى، مات بن عمك يحيى بن حمزة، وخلف مئة ألف درهم، وهي واردة عليك، **فاشكر الله وعليك بالاقتصاد، وإياك والإسراف فإنه من فعل الشيطنة!**...، إلى أن قال: فاستغنيت وزال الفقر عني كما قال سيدي، فأديت حق الله في مالي وبررت إخواني، وتماسكت بعد ذلك ـ وكنت مبذراً ـ كما أمرني أبو محمد[٢].

وبتلك الكلمات القليلة تغير الكثير من حياة ذلك الرجل، بعد أن كان يعاني من الإسراف في تدبير شؤون حياته، ومَنَّ الله تعالى عليه بالغنى بعد الفقر، وهذه كلها من بركات وصايا الإمام عليه السلام له عندما ابتدأها بشكر الله عزَّ وجلَّ؛ لأن شكر المنعم مفتاح للزيادة، حيث قال تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[٣]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**بالشكر تدوم النعم، وبالشكر تستجلب الزيادة**»[٤]، وبعد الشكر أوصاه بالاقتصاد وعدم الإسراف معللاً ذلك بأفعال الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾[٥]، وكانت نتيجة تلك الوصايا النابعة من قلب ملؤه الرحمة والرأفة والأبوة على الجميع، أن استغنى وأدى حق الله عليه وبر إخوته ووصل رحمه واقتصد بعد أن كان مبذراً.

وللإمام العسكري عليه السلام حديث يوضح فيه مقدار السخاء والإسراف والاقتصاد حيث قال: «**إن للسخاء مقداراً فإن زاد عليه فهو سرف، وللحزم مقداراً**

---

(١) المملاق: شديد الفقر؛ ينظر: معلوف، المنجد في اللغة، ص٧٧٤.

(٢) الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص٩٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٩٢؛ الحر العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص٣٩؛ القزويني، الإمام العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص٢١١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٧.

(٤) الآمدي، غرر الحكم، ص١٦٥.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٢٧.

فإن زاد عليه فهو جبن، وللاقتصاد مقداراً فإن زاد عليه فهو بخل، وللشجاعة مقداراً فإن زاد عليه فهو تهور»[١].

تجنب الخصومة مع الأخوان

إنَّ المخاصمة مع الإخوان ـ خاصة الأمور العقائدية ـ تورث الضغائن والأحقاد ولم تثمر بنتيجة، وقد ورد النهي عنها، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إياكم والمراء والخصومة، فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق**»[٢]، كما أنه لا يدخل بالمخاصمة إلا الشاك في دينه كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « **لا يخاصم إلا شاك في دينه أو من لا ورع له**»[٣]، كما إنَّه نهى عنها؛ لأنها تشغل القلب عن الذكر، وتورث النفاق والضغائن، وتؤدي بالفرد إلى الكذب ففي الحديث عن صادق العترة جعفر بن محمد عليه السلام قال: «**إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عزَّ وجلَّ، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجيز الكذب**»[٤].

كذلك نجد في الرواية الآتية نهي الإمام العسكري عليه السلام عن منازعة الإخوان ومخاصمتهم في الأمور العقائدية، فعن يحيى بن المرزبان قال: التقيت رجلاً من أهل السيب سيماه الخير، وأخبرني أنه كان له ابن عم ينازعه في الإمامة والقول في أبي محمد وغيره فقلت لا أقول به أو أرى علامة، فوردت العسكر في حاجة، فأقبل أبو محمد فقلت في نفسي متعنتاً إن مدَّ يده إلى رأسه فكشفه، ثم نظر إلي ورده قلت به، فلما حاذاني مد يده إلى رأسه فكشفه، ثم برق عينيه فيّ ثم ردها، ثم **قال: يا يحيى، ما فعل**

---

(١) الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج١٠، ص٢٩٨ .

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ص٧٤٨.

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج٢، ص٦٢١ .

(٤) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٧٤٨ .

ابن عمك الذي تنازعه في الإمام؟ فقلت: خلفته صالحاً. فقال: لا تنازعه. ومضى[١].

المطلب الثاني: السعي في قضاء الحوائج بالإنفاق في سبيل الله

الإنفاق: هو صرف المال إلى الحاجة[٢]، وقد حثنا الله تعالى في محكم كتابه الكريم على الإنفاق والسعي في قضاء حوائج الفقراء المحتاجين، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٣]، والآيات والروايات كثيرة في مدح قضاء الحوائج، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة وخير من حملان ألف فرس في سبيل الله**»[٤]، وعن الإمام العسكري عليه السلام قال: «**خصلتان ليس فوقهما شيء الإيمان بالله ونفع الإخوان**»[٥]، وقد كان للأئمة (صلوات الله عليهم) دور مميز في مساعدة أبناء مجتمعهم بغض النظر عن انتماءاتهم وميولهم وعقائدهم، فلا يردون طالب حاجةً قط، ولا يعرضونه لذل السؤال، وكان للإمام العسكري (سلام الله عليه) الدور البارز في ذلك، قال الكعبي في ذلك: وسجل الإمام العسكري عليه السلام دوراً بارزاً في الإنفاق والبذل في سبيل الله وإعانة المعوزين والضعفاء من أبناء المجتمع الإسلامي آنذاك، على الرغم من حالة الحصار والتضييق التي مارستها السلطة ضدّه، كان مصدر تلك العطاءات والمساعدات الأموال والحقوق الشرعية التي تجلب إليه أو إلى وكلائه من مختلف بقاع الإسلام التي تحتوي على قواعد شعبية تدين بإمامته، وكان يسدّ بها حاجة ذوي الفاقة على قدر ما يزيل عنهم حالة العوز من دون إسراف في العطاء والبذل[٦].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٧٠ .

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص٣٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٤

(٤) الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٥٧.

(٥) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٩.

(٦) الكعبي، الإمام الحسن العسكري سيرة وتاريخ، ص١٣٨.

وأهم ما قدمه الإمام عليه السلام في هذا الجانب ما يأتي:

١ـ أساليب الإمام عليه السلام في الحث على قضاء الحوائج واصطناع المعروف:

المعروف: هو كل ما يحسن في الشرع[١]، وقيل: هو كل ما يعرفه الشرع ويأمر به ويمدحه ويثني على أهله، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وفي مقدمتها توحيد الله عزَّ وجلَّ والإيمان به.

إنّ من الأساليب الأخلاقية في منهجية الإمام عليه السلام هو توجيه خواصه وترغيبهم وحثهم[٢] على فعل المعروف وأعمال الخير، فعن أبي هاشم الجعفري عنه عليه السلام أنه قال: **إن في الجنّة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلا أهل المعروف، قال: فحمدت الله تعالى في نفسي وفرحت بما أتكلّف به من حوائج الناس، فنظر إليّ أبو محمد عليه السلام فقال: نعم فَدُم على ما أنت عليه، فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة[٣]**، جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك[٤].

٢ـ المبادرة في قضاء الحوائج من دون مسألة:

من سمات أهل البيت عليهم السلام، ومكارم أخلاقهم وطيبة نفوسهم المميزة في أغلب الأحيان، هي المبادرة في إعطاء صاحب الحاجة قبل أن يبوح بها، خشية أن

---

(١) الجرجاني، التعريفات، ص١٨٥.

(٢) الراجحي، القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٨.

(٣) وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل أهل المعروف قال: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. قيل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: يغفر لهم بالتطول منه عليهم ويدفعون حسنتاهم إلى الناس فيدخلون بها الجنة فيكونوا أهل المعروف في الدنيا والآخرة» ينظر: الصدوق، ثواب الأعمال، ص٤٩٣ - ٤٩٤.

(٤) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٦٨٩؛ الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٥٨.

يراق ماء وجهه ويناله ذل السؤال، والأبيات الآتية للإمام المجتبى الحسن بن علي بن أمير المؤمنين عليهما السلام خير شاهد على ذلك، قال[١]:

نحن أناس نوالنا خضل ... يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا ... خوفاً على ماء وجه من يسل
لو علم البحر فضل نائلنا ... لغاض من بعد فيضه خجل

وللإمام العسكري عليه السلام مواقف كثيرة في السعي إلى الإنفاق والبذل من دون الحاجة إلى أن يبدي السائل مسألته، فعن أبي يوسف الشاعر القصير شاعر المتوكل قال: ولد لي غلام وكنت مضيقاً، فكتبت رقاعاً إلى جماعة استرفدهم فرجعت بالخيبة، قال: قلت: أجيء فأطوف حول الدار طوفة، وصرت إلى الباب فخرج أبو حمزة ومعه صرة سوداء فيها أربع مئة درهم فقال: يقول لك سيدي: أنفق هذه على المولود بارك الله لك فيه[٢].

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: كنت مضيقا «علي، فأردت أن أطلب منه شيئاً» من الدنانير في كتاب فاستحييت، فلما صرت إلى منزلي وجه إلي مئة دينار، وكتب إلي: «**إذا كانت لك حاجة فلا تستحي ولا تحتشم، واطلبها فإنك ترى ما تحب إن شاء الله تعالى**»[٣].

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٨١.

(٢) الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص٩٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٩٤؛ الحر العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص٤٠؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤١؛ القزويني، الإمام العسكري من المهد إلى اللحد، ص٢٧٥.

(٣) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٤، ص٤٧٢؛ المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٤٢؛ الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج٢، ص١٤٠؛ الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص٥٦٦ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٧٧.

فبالإضافة إلى قضاء حاجة أبي هاشم فإنَّ الإمام عليه السلام تلقاه بكلام حسن ومنطق جميل ورد صائب، كي لا يشعر بالخجل عندما يحتاج مرة أخرى، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**»[١]، وهنا الإمام قضى حوائجه وغمره بمكارم أخلاقة ولطفه، وعن نبي الله موسى عليه السلام قال: «**أكرم السائل إذا أتاك برد جميل أو إعطاء يسير**»[٢].

وفي رواية أخرى عن محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى بن جعفر قال: ضاق بنا الأمر فقال لي أبي: امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل ـ يعني أبا محمد ـ فإنه قد وصف عنه سماحة. فقلت: تعرفه؟ قال: ما أعرفه ولا رأيته قط. قال: فقصدناه فقال لي أبي وهو في طريقه: ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمس مئة درهم: مئتي درهم للكسوة، ومئتي درهم للدقيق، ومئة درهم للنفقة، وقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاث مئة درهم: مئة أشتري بها حماراً، ومئة للنفقة، ومئة للكسوة، فأخرج إلى الجبل. قال: فلما وافينا الباب خرج إلينا غلامه فقال: يدخل علي بن إبراهيم ومحمد ابنه، فلما دخلنا عليه وسلمنا قال لأبي: «يا علي، ما خلفك عنا إلى هذا الوقت؟

قال: يا سيدي، استحييت أن ألقاك على هذه الحال، فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه، فناول أبي صرة وقال: هذه خمسمئة درهم: مئتان للكسوة، ومئتان للدقيق، ومئة للنفقة. وأعطاني صرة، وقال: هذه ثلاث مئة درهم: فاجعل مئة في ثمن حمار، ومئة للكسوة، ومئة للنفقة...[٣].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٣٢٨.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٤٩٢.

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٨٧؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣٧؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص٧٠؛ ابن شهرآشوب، المناقب، ج٤، ص٤٧٠- ٤٧١؛ الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص٥٦٩ – ٥٧٠؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ج١، ص٥٥٧-٥٥٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٧٨-٢٧٩؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٧٤؛ الحر العاملي،

وعن حمزة بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: كان أبي قد بُلي بالشلل وضاق صدره، فقال: لأقصدن هذا الذي تزعم الإمامية أنه إمام، يعني الحسن بن علي عليهما السلام، قال: فاكتريت دابة وارتحلت نحو سر من رأى فوافيتها، وكان يوم ركوب الخليفة إلى الصيد، فلما ركب الخليفة ركب معه الحسن بن علي عليه السلام، فلما ظهروا واشتغل الخليفة باللهو، وطلب الصيد اعتزل أبو محمد عليه السلام وألقى إلى غلامه الغاشية فجلس عليها، فجئت إلى خرابة بالقرب منه فشددت دابتي وقصدت نحوه، فناداني: «يا أبا محمد لا تدن مني فإن علي عيونا، وأنت أيضاً خائف» قال: فقلت في نفسي: هذا أيضاً من مخاريق الإمامة، ما يدري ما حاجتي؟

قال: فجاءني غلامه ومعه صرة فيها ثلاثمئة دينار فقال: يقول لك مولاي: «**جئت تشكو إلي الشلل، وأنا أدعو الله بقضاء حاجتك، كثر الله ولدك، وجعل فيكم أبراراً**»، خذ هذه الثلاثمئة دينار بارك الله لك فيها قال: فما خلاني من ثلاثمئة دينار، وكانت معه، قال: ولما مات واقتسمنا وجدنا مئتين وثمانين ديناراً»، ثم أخبرتنا خادمة لنا أنها سرقت منها عشرين ديناراً»، وسألتنا أن نجعلها في حل منها[1].

نعم فمن يقصد آل الرسول لا يعود إلّا بقضاء حوائجه ونيل مطالبه، سواء كانت المادية منها أم المعنوية، فعلى الرغم من الظروف الصعبة التي عاشها الإمام عليه السلام والمحيطة به آنذاك والمراقبة من قبل السلطة الحاكمة، إلّا أن ذلك لا يثنيه من قضاء الحوائج وتسهيل الأمور، والمحافظة على حياتهم من بطش العباسيين.

وعن أبي هاشم الجعفري قال: دخلت على أبي محمد عليه السلام، وأنا أريد أن أسأله ما أصوغ به خاتماً أتبرك به، فجلست ونسيت ما جئت له، فلما ودعته ونهضت رمى إلي خاتماً، وقال: «أردت فضة فأعطيناك خاتماً»، وربحت الفص والكرى، هنأك الله يا أبا

إثباة الهداة، ج٥، ص١١.

(١) الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص٥٧٣ - ٥٧٤.

هاشم»، فتعجبت من ذلك وقلت: **يا سيدي، أشهد أنك ولي الله، وإمامي الذي أدين الله بفرض طاعته**. فقال: «غفر الله لك يا أبا هاشم»[1].

فبتلك الأخلاق العالية والنفس الكريمة قضى الإمام عليه السلام له حوائجه، بل وزاد عليها من دون أن يشعره بالخجل من مسألته، فلم يكن من الرجل إلّا أن جدد معه العهد بالطاعة والولاء.

٣ ـ الإنفاق لتسهيل مهمة الباعة المسافرين:

لقد أدرك الإمام العسكري عليه السلام معاناة الذي ينقطع عن أهله ويسافر طلباً للرزق؛ لذا عمل على مساعدتهم وتسهيل أمرهم وقضاء حوائجهم ليعودوا إلى أهليهم بالربح، فعن أبي الحسن الكرخي كان أبي بزازاً في الكرخ، فجهزني بقماش إلى سر من رأى، فلما دخلت إليها جاءني خادم فناداني باسمي واسم أبي وقال: أجب مولاك، قلت: ومن مولاي حتى أجيبه؟ فقال: ما على الرسول إلا البلاغ، قال: فتبعته فجاء بي إلى دار عالية البناء لا أشك أنها الجنة، **وإذا رجل جالس على بساط أخضر، ونور جماله يغشى الأبصار**، فقال لي:

إن في ما حملت من القماش حبرتين إحداهما في مكان كذا، والأخرى في مكان كذا في السفط الفلاني، وفي كل واحدة منهن رقعة مكتوب فيها ثمنها وربحها وثمن إحداهما ثلاثة وعشرون ديناراً، والربح ديناران، وثمن الأخرى ثلاثة عشر ديناراً والربح كالأولى فاذهب فأت بهما.

---

(١) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٩١ -٣٩٢؛ ابن شهرآشوب، المناقب، ج٤، ص٤٦٩- ٤٧٠؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص٩٢ - ٩٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص٢٥٤؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص١٤٤؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٨٢؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٦٨٤؛ الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص٥٦٥ ؛العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص١٧.

قال الرجل: فرجعت فجئت بهما إليه فوضعتهما بين يديه، فقال لي: **اجلس فجلست لا أستطيع النظر إليه إجلالاً لهيبته، قال: فمد يده إلى طرف البساط، وليس هناك شيء وقبض قبضة وقال: هذا ثمن حبرتيك وربحهما، قال: فخرجت وعددت المال في الباب، فكان المشترى والربح كما كتب والدي لا يزيد ولا ينقص**[١].

وهذه الرواية فيها الكثير من الدلائل والبراهين أهمها:

١ـ اهتمام الإمام عليه السلام بجميع طبقات المجتمع وأطيافه ورعايته لهم، وقضاء حوائجهم وتسهيل أمورهم ومساعدتهم بما تيسر ... وتعامله مع ذلك البزاز خير شاهد.

٢ـ إنَّ إخبار الإمام العسكري عليه السلام بأمور غيبية في تلك الرواية هو من مخاريق الإمامة وولايته التكوينية على ذرات الكون، مما جعل ذلك الرجل لا يستطيع النظر إلى وجهه إكراماً له وإجلالاً لهيبته؛ لأن نور جماله يغشي الأبصار.

٣ـ إن تلك المعاملة مع ذلك البائع نستشف منها، أن يكون تعاملنا مع تلك الطبقة بسماحة ومرونة ولين وتسهيل أمرهم خاصة الذي يتغرب عن بلاده، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء**»[٢].

٤ـ عدم رد أي سائل، وتأنيب من يسأل من دون حاجة:

لقد حثنا الله تعالى في كتابه الكريم على حسن معامله السائل وقضاء حوائجه وعدم نهره، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾[٣]، بل إن بعض الحوائج التي تسند إلينا هي من نعم الله تعالى علينا، فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: **من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله**

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١٤ – ٣١٥؛ العاملي إثبات الهداة، ج٥، ص٣٦– ٣٧.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البيوع، ج٢، ص٣٩٠.

(٣) سورة الضحى، الآية ١٠.

بولايتنا، وهو موصول بولاية الله تبارك وتعالى»[1].

لكن غير المحتاج ويسأل الناس يؤثر بدوره على من هم بأمس الحاجة للمساعدة، وقد ورد في الأحاديث الشريفة ذم تلك الطائفة والنهي عما يقومون به من مسألة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر لا يسد أدناها شيء**»[2]، وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله قال: «**الذي يسأل من غير حاجة كمثل الذي يلتقط الجمر**»[3].

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام النموذج الأمثل في مساعدة المحتاجين وعدم رد أي سائل كان، وبدوره ينصح من لديهم بعدم الكذب والتظاهر بالفقر، فعن إسماعيل بن محمد بن علي بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس قال: قعدت لأبي محمد عليه السلام على ظهر الطريق، فلما مر بي شكوت إليه الحاجة، وحلفت أنه ليس عندي درهم فما فوقه ولا غداء ولا عشاء، فقال: « **تحلف بالله كاذباً** وقد دفنت مئتي دينار، **وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطية، أعطه يا غلام ما معك**. فأعطاني غلامه مئة دينار، ثم أقبل علي فقال لي: «إنك تحرم الدنانير التي دفنتها أحوج ما تكون إليها، وصدق عليه السلام، وذلك أنني أنفقت ما وصلني به واضطررت ضرورة شديدة إلى شيء أنفقه، وانغلقت علي أبواب الرزق، فنبشت عن الدنانير التي كنت دفنتها فلم أجدها، فنظرت فإذا ابن عم لي قد عرف موضعها فأخذها وهرب، فما قدرت منها على شيء[4].

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٢٢٧.

(٢) العاملي، وسائل الشيعة، ج٩، ص٤٣٨ .

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٢٢٥ .

(٤) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٩٠؛ المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٤٤؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣٨ – ٢٣٩؛ الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص٧٦؛ الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج٢، ص١٣٧؛ الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص٥٤٨؛

وأهم ما نلحظه على تلك الرواية ما يأتي:

١ـ نهي الإمام عليه السلام عن القسم بالله كذباً؛ لأن الكذب من الموبقات، وهو مفتاح لكل شر.

٢ـ على الرغم من كذب ذلك الرجل على الإمام عليه السلام لكنه لم يُحرم من عطائه، فقد نال أموالاً من كرم الإمام (صلوات الله عليه).

٣ـ إن الأموال وجدت لخدمة بني البشر لا أن نخدمها، فليس الصواب أن نحتاج إلى الأموال، ولكن في الوقت نفسه نحرص عليها، وهذا ما نبه عليه الإمام عليه السلام حيث قال للرجل: **إنك تحرم الدنانير التي دفنتها أحوج ما تكون إليها**.

وللإمام العسكري عليه السلام حديث في هذا الجانب قال: «**ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك، فإن لكل يوم رزقاً جديداً، واعلم أن الإلحاح في المطالب يسلب البهاء، ويورث التعب والعناء، فاصبر حتى يفتح الله لك باباً يسهل الدخول فيه، فما أقرب الصنيع من الملهوف، والأمن من الهارب المخوف، فربما كانت الغير نوعاً من أدب الله، والحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، وإنما تنالها في أوانها، واعلم أن المدبر لك أعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه، فثق بخيرته في جميع أمورك يصلح حالك**»[1].

المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٨٠-٢٨١؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٧٩؛ الحر العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص١٤-١٥.

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٢٢٤.

المطلب الثالث: قضاء الحوائج وتيسير الأمور بالدعاء

الدعاء لغةً: دعواً ودعوه ودعاءً ودعوة ... ويقال: دعا الله رجا منه الخير[١]، واصطلاحاً: طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة[٢].

لقد سعى أهل البيت (صلوات الله عليهم) بكل ما أوتوا من جهدٍ، وما أتيحت من فرصة لقضاء حوائج الناس وتسهيل أمورهم؛ لأنهم رحمة الله تعالى على الأرض، وقد تعددت أساليب أهل البيت عليهم السلام في ذلك تبعاً لما يناسب الفرد، فمن تقضى حوائجه بأموال فإنهم يبذلون لقضائها، ومن تقضى بدعاء أو وساطة يسعون في ذلك، وكذلك يحثون خواصهم وأصحابهم ليحذون حذوهم.

وعندما نأتي إلى الإمام العسكري عليه السلام وأخلاقياته في قضاء الحوائج والدعاء لمن هو بأمس الحاجة إليه، نجده النموذج الأمثل في ذلك؛ لأن الدعاء أحد السبل في تيسير الحوائج وقضائها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ما من شيء أكرم على الله من الدعاء**»[٣]، و قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك: «**الدعاء للسائل إحدى الصدقتين**»[٤]، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ الله تعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا ولكن يحب أن يبث إليه الحوائج**»[٥]، ومن جملة أساليب الإمام عليه السلام في قضاء الحوائج هو الابتهال إلى الله تعالى والدعاء:

دعاء الإمام عليه السلام لمن ليس له ذرية

عن عيسى بن صبيح قال: دخل العسكري عليه السلام الحبس، وكنت به عارفاً، فقال

---

(١) أنس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ص٢٨٦.

(٢) ابن فهد الحلي، عدة الداعي، ص٩.

(٣) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ١٧٤.

(٤) الآمدي، غرر الحكم، ص٣١.

(٥) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ١٧٥.

لي: لك خمس وستون شهراً ويومان، وكان معي كتاب دعاء وعليه تاريخ مولدي وأنني نظرت فيه فكان كما قال، ثم قال: هل رزقت من ولد؟ قلت لا. قال: اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد ثم تمثل وقال:

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذي ليست له عضد

فقلت له: ألك ولد؟ قال: **أي والله، سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً...**[1].

إنَّ المعصوم أينما يحل وفي أي مكان ينزل تعم البركة وتستجاب الدعوة، فعلى الرغم من الموضع الذي كان فيه والمنزل الذي أنزلوه هو الحبس، إلّا إنه عليه السلام لا يحرم الناس من عطائه وبركته لهم، فقد أدرك حاجة ذلك الرجل للذرية؛ لذا دعا الله تعالى أن يرزقه ولداً، كذلك نوه الإمام العسكري عليه السلام ومهد للمشروع الإلهي القادم، وهو ولادة الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف عندما سأله ذلك الرجل عن عقبه قال: **أي والله، سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.**

دعاؤه في تسهيل الولادة وإنجاب الذكور

للإمام الحسن العسكري عليه السلام الكثير من الأدعية في تسهيل الولادة، والدعاء بإنجاب الذكور ورزق المحرومين من الذرية، وهي بمجملها تدل على الروح الأبوية للإمام عليه السلام، واهتمامه بقضاء الحوائج وتواضعه للنظر في رقاعهم وما يعانون منه، بالرغم من موقعه المتمثل بخلافة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله فهو الوصي الحادي عشر، وكذلك مراقب من قبل السلطة الحاكمة وتشديد الوطأة عليه وعلى من يقصده.

ونقتصر هنا على ذكر نماذج من هذا الجانب، فعن جعفر بن محمد القلانسي قال: كتب محمد أخي إلى أبي محمد عليه السلام ـ وامرأته حامل مقرب ـ أن يدعو الله أن

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٧٦؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص١٠٤؛ الحر العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص٤٩.

يخلصها ويرزقه ذكراً ويسميه، فكتب يدعو الله بالصلاح ويقول: رزقك الله ذكراً سوياً، ونعم الاسم محمد وعبد الرحمن فولدت اثنين في بطن أحدهما في رجله زوائد في أصابعه والآخر سوي، فسمى واحداً محمداً والآخر عبد الرحمن[١].

وعن محمد بن علي الهمداني قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله التبرك بأن يدعو أن أرزق ولداً من بنت عم لي، فوقع: **رزقك الله ذكراناً فولد لي أربعة**[٢].

الدعاء لمن يعاني علة بعينه

قال محمد بن الحسن: لقيت من علة عيني شدة فكتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله أن يدعو لي، فلما نفذ الكتاب قلت في نفسي: ليتني كنت سألته أن يصف لي كحلاً أكحلها، فوقع بخطه يدعو لي بسلامتها إذ كانت إحداهما ذاهبة، وكتب بعده: أردت أن أصف لك كحلاً، عليك بصبر[٣] مع الإثمد[٤] كافوراً وتوتياً[٥] فإنه يجلو ما فيها من الغشاء، ويبس الرطوبة. قال: **فاستعملت ما أمرني به عليه السلام فصحت والحمد لله**[٦].

وبفضل دعاء الإمام عليه السلام له شفي من مرضه، واللافت للنظر أنه لم يقتصر على الدعاء، بل وصف له دواء ليتشافى به؛ لأن الدواء هو من نعم الله تعالى أن سهل لنا السبل في استخراج أنواع الأدوية والعلاجات لشتى الأمراض، فبالدواء والالتجاء للدعاء يكون الشفاء.

---

(١) الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص٨٦؛ المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٤١؛ الحر العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص١٨.

(٢) الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص١٠٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٦٩.

(٣) الصبر: نبات من فصيلة الزنبقيات له أوراق لحمية ؛ينظر: لويس معلوف، المنجد في اللغة، ص٤١٥.

(٤) الإثمد: حجر يكتحل به يعرفه علماء الكيمياء باسم انتيموان؛ ينظر: معلوف، المنجد، ص٧٤.

(٥) توتيا: حجر يكتحل به (يونانية)؛ ينظر: معلوف، المنجد، ص٦٦.

(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٩٩.

دعاء الإمام عليه السلام لمن يعاني صعوبة النوم على اليمين

عن أحمد بن إسحاق[١]، قال: دخلت على أبي محمد عليه السلام وقلت: إني مغتم بشئ يصيبني في نفسي، وإني أردت أن أسأل أباك فلم يتفق لي، قال: «وما هو يا أحمد؟ «فقلت :يا سيدي، روي عن آبائك أن نوم الأنبياء على أقفيتهم، ونوم المؤمنين على أيمانهم، ونوم المنافقين على شمائلهم، ونوم الشياطين على وجوههم. فقال عليه السلام: كذلك هو.

فقلت: يا سيدي، فإني أجهد أن أنام على يميني ولا يأخذني النوم عليها. فسكت ساعة ثم قال: ادن مني يا أحمد. فدنوت منه فقال: ادخل يدك تحت ثيابك فأدخلتها، فأخرج يده من تحت ثيابه وأدخلها تحت ثيابي ومسح بيده اليمنى على جانبي الأيسر وبيده على جانبي الأيمن ثلاث مرات، قال أحمد: **فما قدرت أن أنام على يساري منذ فعل ذلك بي، وما أخذني عليها نوم أصلاً**[٢].

وببركة الإمام الحسن العسكري (صلوات الله عليه) ترك ابن إسحاق تلك العادة غير المحبذه شرعاً، والمضرة صحياً حتى إنه لم يقدر أن ينام عليها أصلاً، فعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه أن رجلاً سأل علياً عليه السلام عن النوم على كم وجه هو؟ قال: **النوم على أربعة أوجه: الأنبياء تنام على أقفيتهم مستلقين وأعينهم لا تنام متوقعة لوحي الله عزَّ وجلَّ، والمؤمن ينام على يمينه مستقبل القبلة، والملوك وأبناؤها ينام على**

---

(١) يكنى أبا علي، محدث إمامي كبير القدر، روى عن أبي جعفر الجواد وعن أبي الحسن الهادي وأبي محمد العسكري عليهم السلام وكان من خواصه.. ألف علل الصوم، وجمع مسائل الرجال لأبي الحسن الهادي عليه السلام وكان وافد القميين وثقة الشيخ الطوسي. للمزيد ينظر: البرقي، رجال البرقي، ص٣٤٧؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص٩١.

(٢) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٩٣؛ الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص٥٨١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٨٧؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٨٤ -٨٥ ؛ الحر العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص١٨.

شمائلهم ليستمروا ما يأكلون، وإبليس مع إخوانه وكل مجنون وذوي عاهة ينام على وجهه منبطحاً[١].

دعاؤه في رد الأموال

روي عن أبي الفرات قال: كان لي على ابن عم لي عشرة آلاف درهم فطالبته بها مراراً فمنعنيها، فكتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء، فكتب إلي أنه راد عليك مالك، وهو ميت بعد جمعة. قال: فرد ابن عمي علي مالي فقلت له: ما بدا لك في رده وقد منعتنيه؟ قال: رأيت أبا محمد في المنام فقال: إن أجلك قد دنا فرد على ابن عمك ماله[٢].

دعاء الإمام عليه السلام للخلاص من جار السوء

عن عمر بن أبي مسلم قال: كان سميع المسمعي يؤذيني كثيراً ويبلغني عنه ما أكره، وكان ملاصقاً لداري، فكتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء بالفرج عنه، فرجع الجواب: **أبشِر بالفرج سريعاً**، ويقدم عليك مال من ناحية فارس، وكان لي بفارس ابن عمّ تاجر لم يكن له وارث غيري، فجاءني ماله بعد ما مات بأيّام يسيرة ووقّع في الكتاب: استغفِر اللهَ وتُب إليه ممّا تكلّمت به، وذلك أني كنت يوماً مع جماعة من النصّاب فذكروا أبا طالب حتى ذكروا مولاي، فخضت معهم لتضعيفهم أمره، فتركتُ الجلوس مع القوم وعلمت أنه أراد ذلك[٣].

ففرج الله تعالى عن ذلك الرجل بدعاء الإمام عليه السلام بعد ما كان مستاءً من تصرفات جاره وإيذائه له كثيراً، كما أن الإمام (صلوات الله عليه) باطلاعه على المغيبات، أمره بالاستغفار والتوبة مما تكلم به في الخوض والتحدث عن الأئمة (صلوات الله عليهم)

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، ص١٠٦٩.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٠، ص٢٧٣ - ٢٧٤.

وآبائهم في إشارة منه إلى أن تلك المجالس تصل أخبارها إلى إمام الزمان، وهي درس للجميع في تجنب الخوض في مثل هذه المناقشات التي تخص أئمة أهل البيت عليهم السلام، والتكلم عنهم بسوء أو التشكيك في إمامتهم.

زيادة ريع الأرض وزكاة غلاتها ببركات الإمام العسكري عليه السلام

روي عن علي بن محمد بن زياد الصيمري قال: كنت جعلت على نفسي أن أحمل في كلّ سنة النصف من خالص ارتفاع ضيعتين لي بالبصرة، لم يكن في ضياعي أجلّ منهما ولا أكثر دخلاً إلى أبي محمّد عليه السلام، **فكانت تزكو غلاتها، وتريع أضعاف الريع قبل ذلك** فأعددت ألفي دينار لأحملها، متوجهاً إلى ابن عمي محمد بن إسماعيل بن صالح الصيمري بأموال حملتها إليه عليه السلام مع أموالي في كتابي ولا فصلت ماله من مالي، فورد عليّ الجواب: وقد وصل ما حملته وفي جملته ما حمله إلينا على يدك الإسماعيلي قرابتك فعرّفه ذلك[1].

(١) المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٤٧.

المبحث الثاني: أخلاقية النبل في منهج الإمام الحسن العسكري عليه السلام

يعرف النبل لغة: هو الفضل والذكاء، والنبيل الشريف النجيب[١]، وهو الذكاء والنجابة، وأنبل بقومك أي أرفق بقومك[٢]، ويدل على فضل وكبر فيقال للفضل في الإنسان نُبل[٣]، وقيل: هو الفضل كمال الجسم ويقال للأمر نبله أي عدته وتهيأ لإتمام[٤].

أما اصطلاحاً فعرف بأنه: طيب الحديث وحسن المقال[٥]، وسرور النفس بالأفعال العظيمة وابتهاجها بلزوم هذه السريرة[٦]، كما عرف بأنه: خُلُقٌ حميد، يتحلَّى صاحبه بالذَّكاء والنَّجابة في ذاته، والفضل والرِّفق في تعامله مع النَّاس، مع حِذْقٍ في الرَّأي والعمل[٧].

ويقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النُبل تجاه رجالات السلطة العباسية الحاكمة

لقد مارست السلطات العباسية شتى أنواع الترهيب والقمع والتضييق على البيت العلوي ونسل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وهذا ناتج من شعورهم بعقدة النقص بأنفسهم لأنهم يرون قلوب الناس تميل إلى أهل البيت عليهم السلام، وإنهم الخلفاء والأمناء على العبادِ، لذا فلم يكن سبيل أمام هؤلاء الطغاة إلا محاربة أولياء الله وحجبهم عن

---

(١) ناصر، سيد أحمد وآخرون، المعجم الوسيط، ص٥٦٧ – ٥٦٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٢٥.

(٣) ابن زكريا، معجم مقايس اللغة، ص٩٧٢.

(٤) لويس معلوف، المنجد في اللغة، ص٧٧١.

(٥) الصدر، أخلاق أهل البيت، ص١٦٢.

(٦) البحراني، شرح مئة كلمة، ج١، ص٢٢.

(٧) مجموعة من المؤلفين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج٨، ص٤٧١.

الناس والتضييق عليهم.

ولنتساءل عن موقف أهل البيت عليهم السلام منهم، وما كان رد الفعل تجاه تصرفات أعدائهم؟ هل يقابلونها بالمثل؟ أم يردون عليها بمكارم أخلاقهم وطيب نفوسهم وعلو شأنهم، نعم العفو والصفح والنبل كان سمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ولنأخذ نموذجاً نحتذي به وهو الإمام الحادي عشر من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن بن علي العسكري عليه السلام، فقد تضافرت الروايات وزخرت كتب السير والتاريخ، بذكر الكثير من المواقف التي حصلت له مع هؤلاء وأعوانهم، نذكر منها:

دعاءه للمعتمد العباسي

إنَّ رؤية الأئمة المعصومين عليهم السلام ومنهاجهم في الحياة لا تدركه عقولنا القاصرة، ففي تلك الرواية أن الإمام عليه السلام كان في غياهب سجون الحكام العباسيين، لكن عندما شاهدوا منه كرامة وهي طاعة الأسود وتذللها بين يديه توسل إليه المعتمد أن يدعو له بإطالة عمره، فعن يحيى بن قتيبة الأشعري أتاه بعد ثلاث مع الأستاذ فوجداه يصلي، والأسود حوله، فدخل الأستاذ الغيل فمزقته وأكلته وانصرف يحيى في قومه إلى المعتمد، **فدخل المعتمد على العسكري عليه السلام وتضرع إليه وسأل أن يدعو له بالبقاء عشرين سنة في الخلافة، فقال عليه السلام: مد الله في عمرك، فأجيب وتوفي بعد عشرين سنة**[1].

وأهم ما يتضح لنا من تلك الرواية السابقة الأمور الآتية:

١- رفعة وسمو وتعاظم شخص الإمام العسكري عليه السلام وتنزهه من المقابلة بالمثل، أو حمل الضغائن والأحقاد تجاه هؤلاء السلاطين .

٢- أثبت الإمام عليه السلام للموالين والمخالفين، أنه مستجاب الدعاء وأنه أفضل أهل زمانه، فلو كان شخص آخر أفضل منه لقصده المعتمد.

(١) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٤، ص٤٦٢-٤٦٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ٣٠٩ .

قد يستشكل البعض، بأنه كيف يدعو الإمام عليه السلام لحاكم ظالم غاصب لحق غيره والإمام يدعو له بالبقاء عشرين سنة؟ والإجابة على ذلك نجده في تعليق السيد الشهيد الصدر قدس سره على هذا الموقف بقوله: أما موقف الإمام عليه السلام في استجابته لطلب المعتمد في الدعاء له، فقد كان واضحاً كل الوضوح فهو:

أولاً: لم يرد إعلان التمرد والخلاف على الدولة، للذي عرفناه من سياسته وسياسة أبيه عليهما السلام وكان رفضه طلب الخليفة بالدعاء له تجسيداً لموقف التمرد والخلاف على الدولة، بشكل أو بآخر، وهو ما لا يريده الإمام عليه السلام.

ثانياً: كان يريد إثبات الحجة على هذا الرجل وعلى غيره ممن يعرف هذه الواقعة، حين يرى الناس، وبخاصةٍ الخليفة نفسه، في نهاية حياته، انه قد استجيب الدعاء وقد استمرت مدة حكمه بالفعل عشرين سنة، فيتأكد بذلك من صحة خط الإمام وانحراف الخط الحاكم... وقد يخطر في الذهن: إن هذا الدعاء من الإمام يستوجب طول عمر شخص يعتقده الإمام نفسه ظالماً منحرفاً، **وجوابه: أن الإمام كان يعلم أن المعتمد متى وافته المنية ـ سواء طال زمانه أو قصر ـ فلن يخلفه إلا شخص مثله من حيث الفكرة والاتجاه**، ولم يكن الإمام على ما عرضناه يخطط لنيل الحكم، لكي يكون موت المعتمد موجباً لفوز الأمة الإسلامية بالحكم الإسلامي بقيادة الإمام فيتمخض، إذن الموقف في الحصول على المصالح التي أشرنا إليها، وهي إقامة الحجة ضد موقف المعتمد لإثبات عدالة قضية الإمام وأصحابه[1].

ما رأيت ولا عرفت مثل الحسن بن علي

كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان[2]، على الضياع والخراج بقم، فجرى في مجلسه

---

(١) الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى، ج١، ص١٧٦ -١٧٧ .

(٢) أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، أبو بكر، أخو محمد بن عبيد الله الوزير، كان أديباً فاضلاً يرشح نفسه للوزارة... توفي سنه ٣٠٧، للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧ ص١١٤ .

يوماً ذكر العلويين ومذاهبهم، وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، فقال: **ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى من العلويين مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القادة والوزراء وعامة الناس**[1].

وهذا الاعتراف من رجل يكن العداء والبغض لأهل البيت عليهم السلام، إنْ دلَّ على شيء فإنه يدل على الأخلاق والنبل والمكانة السامية التي كانت في نفوس هؤلاء تجاه الإمام (صلوات الله عليه)، فكان يشهد لهذه الأخلاق المحب والمبغض والموالف والمخالف والقريب والبعيد .

وهو أمر يستحقّ التأمّل، فكيف يستطيع شاب في مقتبل العمر أن يحظىٰ بالتقديم على ذوي السن والخطر؟ وأن يتمتع بهذه المنزلة العالية والمكانة الكبيرة عند القادة والوزراء، وعامة الناس، وهو في خط مضاد لموقع الخلافة، بل ويزدحم حوله الذين ينصبون له ولآبائه عليهم السلام العداوة ويكنّون لهم البغضاء؟ لقد فرض الإمام عليه السلام نفسه على الواقع كلّه، بسموّه الروحي والخلقي، وعناصر العظمة التي يختزنها في شخصه، ونشاطه الحركي في أوساط الأمة[2].

من مبغض إلى محب

روي أنه حبُس أبو محمد عليه السلام عند علي بن اوتامش وقيل (نارمش)، وكان شديد العداوة لآل محمد عليهم السلام غليظا على آل أبي طالب، وقيل له: افعل به وافعل، قال: **فما**

(١) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٨٤-٣٨٥؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣٥؛ الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص٦٤؛ الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج٢، ص١٤٧؛ النيشابوري، روضة الواعظين، ج١، ص٥٦١؛المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٢٥.

(٢) الكعبي، الإمام الحسن العسكري، سير وتاريخ، ص٢٥ .

أقام إلا يوماً حتى وضع خديه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً له وإعظاماً، وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم قولاً فيه[١]، وهذا يدلّ على أجلّ محاسن الأخلاق التي يكنُّها العدوّ له[٢].

من شرار الخلق إلى خيارهم

دخل العباسيون على صالح بن وصيف[٣]، عندما حبس أبو محمد عليه السلام فقالوا له: ضيق عليه ولا توسع، فقال لهم صالح: ما أصنع به؟ **قد وكلت به رجلين شر من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم**. ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟

فقالا له: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلما سمع

(١) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٨٨؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣٨؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص٧٠؛ الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج٢، ص١٥٠؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٧٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٠٧؛ العاملي، إثبات الهداة، ج٥، ص١٣.

(٢) الصدر، أخلاق أهل البيت عليهم السلام، ص٨١.

(٣) وهو صالح بن وصيف التركي؛ أحد قواد المتوكل، قدم معه إلى دمشق سنة ثلاث وأربعين ومئتين، وكان قد استطال على الخلفاء وقتل المعتز وأخذ أمواله وأموال أمه قبيحة وولى المهتدي الخلافة وحكم عليه؛ وكان موسى بن بغا بالري، فكتبت إليه قبيحة تخبره بما فعل صالح، فسار موسى إلى سر من رأى فدخلها، واستتر صالح بن وصيف، فنادى موسى: من جاء به فله عشرة آلاف دينار، فلم يظفر به أحد. ولما كان بعد مدة ظفروا به، فتضرع إلى الذي وجده، فقال له: لا سبيل إلى إطلاقك، ولكني أمر بك على أبواب إخوتك وأصحابك وقوادك وصنائعك، فإن أعرض لي منهم اثنان أطلقتك. فمر به على أبواب المدينة فلم يعرض له أحد؛ وقتلوه وحزوا رأسه وبعثوا به إلى المهتدي، فجاؤوه به وهو قائم يصلي فما زاد على أن قال: واروه! ونصب رأسه على قناة ونودي: هذا جزاء من قتل مولاه، ونصب بباب العامة ساعة؛ للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص١٥٩ .

ذلك العباسيون انصرفوا خائبين[١].

وهناك رواية أخرى عن موقف السجانين من الإمام عليه السلام ذكرتها المصادر، فقد روي أنه سلم أبو محمد عليه السلام إلى نحرير[٢]، وكان يضيق عليه ويؤذيه، **فقالت له امرأته: إتقِ الله فإنك لا تدري من في منزلك؟ وذكرت له صلاحه وعبادته، وقالت: إني أخاف عليك منه**، فقال: والله لأرمينه بين السباع، ثم استأذن في ذلك فأذن له فرمى به إليها ولم يشك في أكلها له، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوه قائماً يصلي وهي حوله، فأمر بإخراجه إلى داره[٣].

وأهم ما نلحظه في الروايات السابقة الأمور الآتية:

١ـ أن أغلب الذين يودعون في السجن ممن لديهم جرم وجنايات، لذلك كان الموكلون في السجون يتسمون بالقسوة والغلظة، فليس من السهل تحول طباعهم وصفاتهم السيئة إلى حسنة، ومن عاصين إلى مطيعين إلّا إذا كان المؤثر بدرجة من القوة بحيث يهز ضمائرهم ويغير طباعهم، وهذا ما فعله الإمام العسكري عليه السلام، إذ نجد أن علي بن أوتامش الذي كان شديد العداوة والبغض لأهل البيت عليهم السلام أصبح

(١) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٩٢؛ المفيد، الإرشاد، ص٣٤٣؛ ابن شهرآشوب، المناقب، ج٤، ص٤٦٣؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص٧٨ -٧٩؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص١٥٠-١٥١؛ النيشابوري، روضة الواعظين، ج١، ص٥٦٠؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٨٣؛ المجلسي، البحار، ج٥٠، ص٣٠٨ -٣٠٩؛ العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص١٧.

(٢) هو نحرير الخادم من خواص خدام بني العباس وحفظة أسرارهم، ينظر: الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج٢، ص١٥١؛ النيشابوري، روضة الواعظين، ج١، ص٥٦٠.

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٩٣؛ النيشابوري، روضة الواعظين، ج١، ص٥٦٠-٥٦١ الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص١٥١؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٨٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ٣٠٩؛ الحر العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص١٨؛ القزويني، الإمام العسكري من المهد إلى اللحد، ص٢٦٠.

لا يرفع بصره إليه إجلالاً له وإعظاماً، وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم قولا فيه ... وفي سجن ابن وصيف الذي وكل به اثنين من الأشرار **فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم**... وكذلك في سجن نحرير الخادم...

٢ـ إن عصر الإمامين العسكريين عليهما السلام من أعتى العصور والأزمنة في انتشار الفواحش والمعاصي، والابتعاد عن الشرائع الإلهية والتباهي بشرب الخمر، ففي زمن الأئمة الذين سبقوهم لم يكن الحاكم العباسي يتجاهر أمام العامة بشرب الخمر، أما في زمن العسكريين عليهما السلام فقد كان أمثال المتوكل والمعتمد... يتباهون بالمعاصي والشرب، لذا فقد واجه خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله تلك المعاصي بالموعظة والكلمة الحسنة والأخلاق النبيلة، حتى وصل التأثير برجالات الحكم وأصحاب السجون كما ذكره أعلاه.

٣ـ ثمرة هذه الأخلاق النبيلة، هو تغير نظرة هؤلاء السجانين تجاه الإمام عليه السلام، حتى أصبح بعضهم عباداً صالحين وموالين، كذلك تم إطلاق سراحه من السجن والاعتذار منه، وهذا ما يريده أهل البيت عليهم السلام من أتباعهم ومحبيهم أن يكونوا قدوة للجميع ومثالاً يحتذى بهم، ولا ننسى قول الإمام العسكري عليه السلام: «**إن مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه**»[1]، وهذا الحديث من باب التقية والحفاظ على النفس والأخوان .

وعلق السيد الصدر على سجن الإمام عليه السلام من قبل العباسيين بقوله: لعلّك لاحظت معي معنى عجز الدولة عن التضييق عليه في سجنه، فإنّ أمرها تجاه الإمام الثائر دار بين شيئين: فأمّا أنْ تقتصر في الإشراف عليه على فردٍ أو أفراد معيّنين يواكبون كلّ الأيّام التي يقضيها الإمام في سجنه، فهؤلاء سيصبحون بعد قليل من الاندفاع تجاه الإمام بحيث يُعدّ من المستحيل إقناعهم بتعذيبه والتضييق عليه، فلربّما قدّموا

(١) الإمام العسكري عليه السلام، التفسير، ص٣١٩؛ النوري، مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٢٦١.

نفوسهم دونه أو عذابهم على راحته، أو اشتغلوا بالعبادة عن تنفيذ ما يوجّه إليهم مِن أمرٍ بهذا الخصوص، وإمّا أنْ ترى الدولة ضرورة تجنّب ذلك فتستعين بكثيرين يقوم كلّ يوم واحد أو أكثر في الإشراف على السجن، فهذا يكون أنكى عليها؛ لأنّ هؤلاء برمّتهم سيؤمنون بالإمام، ويصبحون ـ بشكلٍ أو بآخر ـ من قواعده الشعبية ومؤيّديه[1].

المطلب الثاني: أساليب الإمام العسكري عليه السلام ونُبله تجاه أصحاب الديانات والفرق الأخرى

بعد دخول أقوام جديدة إلى الإسلام، والانفتاح الذي حصل على الثقافات الأخرى والتأثيرات الخارجية على البلدان الإسلامية، بذل ولاة الأمر وهم الأئمة الاثنا عشر جهوداً استثنائية في سد الفراغ الديني والعقائدي الذي لا يتوفر عند غيرهم، فنجدهم تارة يواجهون أصحاب العقائد الفاسدة والفرق المبتدعة وكذلك مواجهة علماء الضلال وردع انحرافاتهم، وأخرى مع المسيحيين وكيف جذبهم بحسن أخلاقه وتواضعه إلى الدين الإسلامي الحنيف، وهذه المواجهة من الإمام عليه السلام مع هؤلاء كانت بأساليب مختلفة تناسب كلاً حسب مقامه، وطرق مؤثرة في جذبهم وهذا ما نجده في ما يأتي:

أساليب الإمام العسكري عليه السلام وتأثيره في جذب المسيحيين إلى الإسلام

روي عن أبي جعفر أحمد القصير البصري قال: حضرنا عند سيدنا أبي محمد عليه السلام بالعسكر، فدخل عليه خادم من دار السلطان جليل القدر، فقال له: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: كاتبنا أنوش النصراني يريد أن يطهر ابنين له، وقد سألنا مسألتك أن تركب إلى داره وتدعو لابنيه بالسلامة والبقاء، فأحب أن تركب وأن تفعل ذلك، فإنا لم نجشمك هذا العناء إلا لأنه قال: نحن نتبرك بدعاء بقايا النبوة والرسالة

(١) الصدر، تاريخ الغيبة الكبرى، ص١٨٨.

فقال مولانا عليه السلام: «**الحمد لله الذي جعل النصراني أعرف بحقنا من المسلمين**» ثم قال: أسرجوا لنا، فركب حتى وردنا أنوش، فخرج إليه مكشوف الرأس، حافي القدمين، وحوله القسيسون[١]، والشمامسة[٢]، والرهبان[٣]، وعلى صدره الإنجيل، فتلقاه على باب داره وقال له: يا سيدنا أتوسل إليك بهذا الكتاب الذي أنت أعرف به منا إلا غفرت لي ذنبي في عنائك، وحق المسيح عيسى بن مريم وما جاء به من الإنجيل من عند الله ما سألت أمير المؤمنين مسألتك هذا **إلا لأنا وجدناكم في هذا الإنجيل مثل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام عند الله.**

فقال مولانا عليه السلام: الحمد لله، ودخل على فرسه والغلامان على منصة، وقد قام الناس على أقدامهم، فقال عليه السلام: «أما ابنك هذا فباق عليك، وأما الآخر فمأخوذ عنك بعد ثلاثة أيام، وهذا الباقي يسلم ويحسن إسلامه ويتولانا أهل البيت».

فقال أنوش: والله يا سيدي إن قولك الحق، ولقد سهل عليَّ موت ابني هذا لما عرفتني أن الآخر يسلم ويتولاكم أهل البيت. فقال له بعض القسيسين: ما لك لا تسلم؟ فقال له أنوش: **أنا مسلم ومولانا يعلم ذلك،** فقال مولانا عليه السلام: صدق ولولا أن يقول الناس إنا أخبرناك بوفاة ابنك ولم يكن كما أخبرناك لسألنا الله بقاءه عليك. فقال أنوش: لا أريد يا سيدي إلا ما تريد.

قال أبو جعفر أحمد القصير: مات والله ذلك الابن بعد ثلاثة أيام، وأسلم الآخر

---

(١) القس: رئيس من رؤساء النصارى في الدين، وهو الآن في مرتبة بين الاسقف والشماس؛ ينظر إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، ص٧٣٤.

(٢) الشماس: دون القسيس، والكلمة من السريانية معناها الخادم ومنها الشماس الأنجيلي؛ ينظر: لويس معلوف، المنجد، ص٤٠٢.

(٣) الراهب: من اعتزل عن الناس إلى دير طلباً للعبادة وأصله من الرهبة أي الخوف؛ ينظر: لويس معلوف، المنجد، ص٢٨٢.

بعد سنة، ولزم الباب معنا إلى وفاة سيدنا أبي محمد عليه السلام[١].

وأهم ما يُلحظ على تلك الرواية الأمور الآتية:

١ـ إن لأهل البيت عليهم السلام مكانة خاصة ومنزلة رفيعة عند أصحاب الديانات والطوائف الأخرى، بل في بعض الأحيان تفوق المسلمين في ذلك، والسبب يعود إلى ما يجدونه مكتوباً عندهم في كتبهم المقدسة من ذكر لنبي آخر الزمان وخلفائه الميامين، وكذلك ما وجدوه من مكارم أخلاق وسيرة حسنة، فرضت عليهم أن يكنوا الاحترام والتقدير لأهل البيت(صلوات الله عليهم).

٢ـ نستشف من تلك الرواية أن أهل البيت عليهم السلام يريدون من أتباعهم وشيعتهم أن يحسنوا الجوار مع الجميع خاصة من يختلفون معهم عقائدياً، وأن يحضروا أفراحهم وأتراحهم فإن ذلك يعكس صوراً من أخلاقيات الإسلام المشرقة .

٣ـ على الرغم من المنزلة الرفيعة والمقام العالي لمولانا الحسن بن علي عليه السلام فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الحق، وهو زعيم مذهب أهل البيت في زمانه، إلا إننا نجده يلبي دعوة ذلك النصراني الذي دعاه! وهذا يدلنا على تواضع الإمام عليه السلام ومواساته لأبناء مجتمعه واهتمامه بشأنهم وتلبية دعوتهم بغض النظر عن انتماءاتهم ومذاهبهم.

٤ـ نتيجة تلك الأخلاق الفاضلة المتواضعة، قد أسلم النصراني، وأسلم ابنه حتى أصبحا من الملازمين لبيت الإمام العسكري عليه السلام، وهذا ثمرة تعامل الإمام معهم .

أخلاقيات الإمام عليه السلام في التصدي للفرق الضالة

عن محمد بن الربيع الشيباني، قال: ناظرت رجلاً من الثنوية[٢] بالأهواز ثم

---

(١) البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص١٤٠.

(٢) هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين. يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف

قدمت سر من رأى وقد علق بقلبي شيء من مقالته، فإني لجالس على باب أحمد بن الخضيب **إذ أقبل أبو محمد من دار العامة يوم الموكب، فنظر إليَّ وأشار بسبابته أحد أحد فوحده فسقطت مغشياً عليَّ**[1].

إنَّ الإمام عليه السلام بحكمته البارعة ومكارمه العالية استطاع تغيير ما يجول في باطن ذلك الرجل من أفكار فرقة الثنوية الضالة بلا جدالٍ أو شجار ولا مخاصمة واختلاف، وهنا الإمام العسكري عليه السلام شَخَّصَ أسباب التغيير فبإشارة منه غير أفكاره، فلم يدخل بمحاججات ولا مناظرات معه، ولشدة تأثير كلام الإمام على قلبه فقد وحد الله تعالى ثم وقع مغشياً عليه!

الاستفادة من شأن الإمامة في الهداية وتصحيح العقائد

عن إدريس بن زياد قال: كنت أقول فيهم قولاً عظيماً، فخرجت إلى العسكر للقاء أبي محمّد عليه السلام، فقدمت وعَليّ أثر السفر ووعثاؤه، فألقيت نفسي على دكّان حمّام فذهب بي النوم، فما انتبهت إلّا بمقرعة أبي محمّد عليه السلام قد قرعني بها حتى استيقظت فعرفته عليه السلام فقمت قائماً أقبل قدمه وفخذه وهو راكب والغلمان من حوله، فكان أوّل ما تلقاني به أنه قال: يا إدريس ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[2] فقلت: حسبي يا مولاي وإنما جئت أسألك عن هذا. قال: فتركني

المجوس، فإنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم، واختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والحيز، والمكان والأجناس، والأبدان والأرواح؛ للمزيد ينظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٤٩.

(١) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٩١؛ الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص٩٧ – ٩٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٩٣؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٨٢؛ الحر العاملي، إثباة الهداة، ج٥، ص١٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٦.

ومضى[١].

وهذه طريقة أخرى لتصحيح العقائد وهداية المجتمع من أفكار المغالين والمشككين، وهو الاستفادة من ولايته التكوينية على النفوس ومعرفة ما يدور في خلجات نفوسهم، وهذه التعامل لم يكن متاحاً للجميع، بل مختصاً بالمعصومين والعارفين.

أساليب الإمام العسكري عليه السلام وأخلاقياته في ردع انحرافات علماء المذاهب الإسلامية

روي أن إسحاق الكندي[٢] كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله، وإن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال له أبو محمد عليه السلام: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي في ما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟ فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟ فقال أبو محمد عليه السلام: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: **فصر إليه، وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول إنه من الجائز؛ لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت**

---

(١) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٤، ص٤٦١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ٢٨٣.

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن صباح فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها يصل نسبة إلى الأشعث بن قيس ثم إلى يعرب، صنف القفطي رسائل الكندي إلى أحد عشر صنفاً حسب محتوياتها فمنها الفلسفية والمنطق والحساب والهندسة والفلك والطبيعة والسياسة و... وبلغ عدد الرسائل أربعاً وثمانين ومئه رسالة ... توفي سنه ٢٥٢ هـ؛ للمزيد ينظر: بدوي، الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربيّة، ص٢٦.

أنت إليه، فتكون واضعاً لغير معانيه! فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له :أعد علي! فأعاد عليه، فتفكر في نفسه، ورأي ذلك محتملا في اللغة وسائغا في النظر، فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: انه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك. فقال: كلا، ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد، فقال: الآن **جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت**. ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه[1].

وأهم ما يتضح لنا من تلك الرواية الأمور الآتية:

١ـ تقدير الإمام العسكري عليه السلام لمنزلة العلم والعلماء حتى وإنْ كانوا مختلفين معه عقائدياً، فلم يصدر من الإمام عليه السلام أي إساءة وإنقاص من شأنه، بل أمر بمخاطبته بلطف ومؤانسته ومعاونته بحوار يليق بعالم وطالبه، ثم طرح الإشكال عليه بتلك الأساليب التي بينها له.

٢ـ إن الوعظ والنصح والإرشاد كلما كان سرياً كان أكثر تأثيراً وأبلغ في نيل المراد، فلم يأمر الإمام العسكري عليه السلام بفضحه أمام الملأ أو أمام طلابه، بل أمر بإلقاء مسألته عندما يختلي به ويطيب له نفساً ويأنس به ... وهذا ما نجده في أحاديثه الشريفة حيث قال عليه السلام: «**من وعظ أخاهُ سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه**»[2].

٣ـ إن تلك الأساليب الإرشادية التي استعملها الإمام عليه السلام مع الكندي قد أخذت مأخذها منه وغيرت أفكاره، لذا لم يجرؤ بعدها أن يستمر بتأليف كتابه، فلجأ إلى إتلافه وحرقه كما ذكر الرواة، وكيف لا يكون لكلام الإمام تأثير وهو القائل عنه

---

(١) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٤، ص٤٥٧ – ٤٥٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١١.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٩.

أبوه الهادي عليه السلام: «**أبو محمد ابني أنصح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة**»(١).

يعلق السيد الشهيد الصدر على تلك الرواية حيث يقول: وملخّص الفكرة التي بذرها الإمام في ذِهن هذا الفيلسوف، بعد أنْ وصَفه لتلميذه أنّه رجلٌ (يفهم إذا سمِع)... هو احتمال أنْ يكون المُراد بالآيات القرآنيّة غير المعاني التي فهِمَها وذهَب إليها، وحين ذكر له تلميذه هذا الاحتمال فكّر في نفسه، ورأى ذلك مُحتَملاً في اللغة وسائغاً في النظر، فقال: أقسَمت عليك إلّا تخبرني مِن أين لك؟ فقال: إنّه شيءٌ عرَض بقَلبي فأوردته عليك، فقال: كلاّ، ما مثلك مَن اهتدى إلى هذا، ولا مَن بلَغ هذه المنزلة، فأخبرني مِن أين لك هذا؟

فقال: أخبرني به أبو محمّد، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت، ثمّ إنّه دعا بالنار وأحرَق جميع ما كان ألّفه، وهذه الرواية تدلّ على أنّ الكندي مرّ بمرحلةٍ فكريّةٍ لم يكُن يعترف فيها بالإسلام، وهو وإنْ كان أمراً محتمَلاً، إلّا أنّنا لا نستطيع التشبّث بهذه الرواية ضدّ الكندي ....(٢).

وقال القزويني في معرض تعليقه على تلك الرواية: توجد في القرآن الكريم آيات قد يتصور البعض أنها متناقضة بعضها مع البعض، وكان الذين في قلوبهم مرض يتشبثون بتلك الآيات للتهريج والتشكيك، مثل قوله تعالى: ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾(٣)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا**﴾(٤)، فيعدُّون هاتين الآيتين متناقضتين وهم لا يعلمون أن الآية الأولى أمر بالعدل بين الزوجين أو أكثر في المأكل والملبس والمسكن وأمثالها، والآية الثانية تنفي العدل في الحب بين الزوجين بأن يحبهما حباً

---

(١) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٢٤٢.

(٢) الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى، ص١٩٥ – ١٩٦.

(٣) سورة المائدة، الآية ٨.

(٤) سورة النساء، من الآية ١٢٩.

متساوياً؛ لأنه خارج عن قدرة الإنسان، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا**﴾[١]، وأمثال هذه الآيات كثيرة في القرآن، وقد شرح الأئمة الطاهرون عليهم السلام تلك الآيات ورفعوا التناقض عنها[٢].

الإمام العسكري عليه السلام يوضح إشكالية وشبهة ملبسه الناعم

روي أنه وجّهتِ المفوّضةُ كاملَ بن إبراهيم المزني إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام يباحثون أمره، قال كامل بن إبراهيم: قلت في نفسي أسأله لا يدخل الجنة إلّا من عرف معرفتي وقال بمقالتي، فلما دخلت على سيدي أبي محمد عليه السلام نظرت إلى ثياب بياض ناعمة عليه، فقلت في نفسي: وليّ الله وحجته يلبس الناعم من الثياب ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان وينهانا عن لبس مثله، **فقال مبتسماً: يا كامل بن إبراهيم وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح[٣] أسود خشن، فقال: يا كامل هذا لله عزَّ وجلَّ وهذا لكم. فخجلت**[٤].

يا لها من أخلاق عالية ومحاورة هادئة، فقد عالج الإمام عليه السلام إشكالية ذلك الرجل وما حدثته به نفسه بأسلوب هادئ ولين وبابتسامة جعلته خجلاً، فلم ينهره، أو يكلمه بأسلوب خشن أو صوت مرتفع، بل أجابه بكل ثقة وطمأنينة، ثم حسر عن ذراعيه تواضعاً منه ليريه حقيقة ملبسه وخشونته ....

---

(١) سورة النساء، من الآية ١٢٩.

(٢) القزويني، الإمام العسكري من المهد إلى اللحد، ٨٥.

(٣) المسح: أمساح ومسوح: الكساء من الشعر ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد؛ للمزيد ينظر: معلوف، المنجد في اللغة، ص٧٦٠.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص٢٥٣؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص٩٦ -٩٧؛ وذكرها القزويني نقلاً عن الغيبة للطوسي بألفاظ مختلفة ينظر: القزويني، الإمام العسكري من المهد إلى اللحد، ص١٩٤- ١٩٥.

المطلب الثالث: أخلاقيات الإمام العسكري عليه السلام ونُبْله تجاه خواصه وقرابته

كان الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام النموذج الأمثل في رعاية صلة الرحم والاهتمام بهم، ولكن ذلك الاهتمام والرعاية والتواصل ليس لمن سمعتهم جيدة وصلتهم بإمام زمانهم حسنة، بل لمن يسيئون له ويوشون به عند السلطان ويفترون عليه، و البعض منهم يتجاهر بالمعاصي والموبقات، كل هذا والإمام عليه السلام يقابلها بأخلاق نبيلة وسعة صدر رحبة، ليعكس ما كان يحمله من أخلاقيات آبائه الطاهرين، كيف لا وهو الوصي الحادي عشر للرسول الكريم صلى الله عليه وآله الذي قال عنه الله تعالى: في كتابه الحكيم ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1]، ومن جملة تلك الأمور هو ما يأتي:

موقف الإمام العسكري عليه السلام مع مَنْ وشى به وتكلم عليه

روي أنه كان المعتمد يسأل عليّاً عن أخباره في كلّ وقت فيخبره أنّه يصوم النهار، ويصلّي الليل فسأله يوماً من الأيّام عن خبره فأخبره بمثل ذلك، فقال له: امض السّاعة إليه وأقرئه منّي السلام، وقُل له: انصرف إلى منزلك مصاحباً، قال عليّ بن جرين: فجئت إلى باب الحبس فوجدت حماراً مسرّجاً فدخلت عليه فوجدته جالساً وقد لبس خفّه وطيلسانه وشاشته ـ أي عمامته ـ فلمّا رآني نهض فأدّيت إليه الرسالة فركب، فلمّا استوى على الحمار وقف، فقلت له: ما وقوفك يا سيّدي؟ فقال لي: حتّى يجيء جعفر[2]، فقلت: إنّما أمرني بإطلاقك دونه، فقال لي: **ترجع إليه فتقول**

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) هو جعفر بن علي بن محمد الهادي، ورد ذكره في المصادر التاريخية، وأغلب المؤرخين اتفقوا على ذمه وأنه كان فاسقاً خارجاً عن طاعة آبائه الطاهرين، والبعض الآخر قال أنه تاب، فقال عنه الإربلي: «وجعفر الملقب بالكذاب»، وورد ذمه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق، فإن الخامس الذي من ولده الذي اسمه جعفرٌ يدعي الإمامة اجتراء على الله و كذباً عليه، فهو عند الله

له: خرجنا من دار واحدة جميعاً، فإذا رجعت وليس هو معي كان في ذلك ما لا خفاء به عليك. فمضى وعاد، فقال له: يقول لك: قد أطلقت جعفراً لك لأنّي حبسته بجنايته على نفسه وعليك، وما يتكلّم به، وخلّى سبيله فصار معه إلى داره[1].

جعفرٌ الكذاب المفتري على الله، المدعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه و الحاسد لأخيه، ذلك الذي يكشف سر الله عند غيبة ولي الله»...وقال عنه الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: «وقد أدعى هذا المبطل المدعي على الله الكذب ما ادعاه ... فو الله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يفرق بين خطاء وصواب أم بعلم فلا يعلم حقاً من باطل ولا محكماً من متشابه ولا يعرف حد الصلاة ولا وقتها أم بورع فالله شهيد على تركه لصلاة الفرض أربعين يوماً ..» وروي عن فاطمة بنت ابن الهيثم قالت: كنت في دار أبي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في الوقت الذي ولد فيه جعفر فرأيت أهل الدار قد سروا به، فصرت إلى أبي الحسن عليه السلام فلم أراه مسروراً بهذا المولود؟ فقال عليه السلام: «يهون عليكِ أمرة فإنه سيضل خلقاً كثيراً»...ولما ترعرع وشب انحرف عن تعاليم الإسلام وعن توجيه والده وإمامه عليه السلام، واتخذ طريق اللهو وشرب الخمر والمجون تأثراً بهذا الخط المنحرف الذي كان يعيش على موائده الكثيرون في تلك العصور....و ولده يقال لهم: بنو الرضا، وفيهم كثرة، وسمّي جعفر «كرّين» لأنّه أولد مئة وعشرين ذكراً وأنثى، وكانت أم جعفر أمّ ولد تدعى حدق، قبره في دار أبيه بسامرّاء، ومات وله خمس وأربعون سنة، سنة إحدى وسبعين ومئتين فولد جعفر بين منتشر ومنقرض ستّة عشر ولداً... وقيل: إنّه فارق ما كان عليه قبل الموت وتاب ورجع، فلمّا زعم أنّه لا ولد لأخيه وادّعى أنّ أخاه جعل الإمامة فيه وقال الكوراني: ثم ندم على ما فعل، وتاب على ما قيل ولذا سمي بجعفر الكذاب، ثم جعفر التواب علماً بأنه من الناس العاديين الذين يجوز عليهم الكذب والخطأ والنسيان والعصيان، وادعاء الباطل والحسد وهذا ليس بغريب في الكون وقد سبقه قابيل بقتل أخيه هابيل، وإخوة يوسف عند ما ألقوا يوسف في الجب؛ للمزيد ينظر: الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص٤٧؛ العمري، المجدي في أنساب الطالبيين، ص٣٢٥ – ٣٣٠؛المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٢٧ – ٢٣٢؛ الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى، ص٣٩٨؛ الكوراني، الإمام علي الهادي عليه السلام، ص٤٥٨.

(١) المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٤٥-٢٤٦؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٥، ص١٠٤؛ الصدر، أخلاق أهل البيت عليهم السلام، ص٨١- ٨٢ .

وأهم ما يلاحظ على تلك الرواية الأمور الآتية:

١ـ نستشف من تلك الرواية التأكيد على مراعاة صلة الرحم والصبر عليها فإنها من أفضل القربات وبابٌ للرحمات ومنزلةً للبركات ومقربة من الفيوضات، أكد عليها الباري عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم، حيث قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾[١]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن أعجل الخير ثواباً صلة الرحم**»[٢]، كما أن لصلة الرحم فوائد جمة جمعها هذا الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**صلة الرحم تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسئ الأجل**»[٣]، والنموذج الأمثل في المحافظة على صلة الرحم هو مولانا العسكري عليه السلام في تعامله مع أخيه جعفر كما رأينا في ما سبق .

٢ـ أن تلك الحادثة تعطينا درساً أخلاقياً، وهو عدم مقابلة الإساءة بالإساءة بل نقابلها بالإحسان والعفو والصفح، فهنا جعفر الكذاب قد وشى بالإمام عليه السلام وكان هو السبب في إيداعه السجن، لكن بالمقابل لم تصدر أي إساءة أو رد بالمثل من قبل الإمام العسكري عليه السلام، بل نجد العكس من ذلك وهو امتناعه عن الخروج من السجن ألا بمرافقة أخيه جعفراً، وهذا غاية النبل والعطف ومواصلة للرحم.

٣ـ عندما نقوم بأي عمل أو تصرف يجب أن لا ننتظر من الآخرين ليردوا علينا بالمثل، بل يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى، وهذا ما وجدناه في تصرف الإمام عليه السلام مع أخيه، فلم تذكر الرواية أن جعفر الكذاب قد كف عن أعماله السيئة.

ويعلق السيد الصدر على تلك الرواية بقوله: «وكل ذلك لم يكن يؤثر في جعفر، في شدة انحرافه وقوة اندفاعه، ونراه أنه بمجرد أن يرى أخاه قد أسلم الروح،

---

(١) سورة النساء، الآية ١ .

(٢) النراقي، جامع السعادات، ج٢، ص٣٨٧ .

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٨.

يتصدى للاصطياد بالماء العكر، واستغلال الموقف بالشكل الذي يحرز به الزعامة وجباية الأموال لولا أن الله تعالى أتم نوره ولو كره المنحرفون»[١].

مكارم أخلاق الإمام العسكري عليه السلام سبب في توبة المذنبين

روي أنّ الحسين بن الحسن بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام كان بقم يشرب الخمر علانية، فقصد يوماً لحاجة باب أحمد بن إسحاق الأشعري[٢]، وكان وكيلاً في الأوقاف بقم، فلم يأذن له ورجع إلى بيته مهموماً، فتوجّه أحمد بن إسحاق إلى الحج فلمّا بلغ سرّ من رأى، استأذن على أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام فلم يأذن له، فبكى أحمد لذلك طويلاً وتضرّع حتى أذن له؛ فلمّا دخل قال: يا ابن رسول الله لم منعتني الدّخول عليك وأنا من شيعتك ومواليك؟

قال عليه السلام: لأنّك طردت ابن عمّنا عن بابك. فبكى أحمد، وحلف بالله انّه لم يمنعه من الدخول عليه الّا لأن يتوب من شرب الخمر، قال: صدقت، ولكن لا بدّ عن إكرامهم واحترامهم على كلّ حال، وأن لا تحقرهم أو تستهين بهم؛ لانتسابهم إلينا فتكون من الخاسرين، فلمّا رجع أحمد إلى قم أتاه أشرافهم وكان الحسين معهم، فلمّا رآه أحمد وثب إليه واستقبله وأكرمه وأجلسه في صدر المجلس، فاستغرب الحسين ذلك منه واستبدعه وسأله عن سببه، فذكر له ما جرى بينه وبين العسكريّ عليه السلام في ذلك، **فلمّا سمع ذلك ندم من أفعاله القبيحة وتاب منها ورجع إلى بيته، وأهرق الخمور وكسر آلاتها وصار من الأتقياء المتورّعين والصّلحاء المتعبّدين، وكان ملازماً**

---

(١) الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى، ص٣٠٠.

(٢) هو أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك، يكنى أبا علي محدث إمامي كبير القدر روى عن أبي جعفر الجواد عليه السلام، وأبي الحسن الهادي عليه السلام، وأبي محمد العسكري عليه السلام، «وكان من خواصه»... وكان وافد القميين، وثقه الشيخ الطوسي ... له كتاب علل الصوم كبير ومسائل الرجال لأبي الحسن الثالث عليه السلام جمعه؛ للمزيد ينظر: البرقي، رجال البرقي، ص٣٤٧؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص٩١ .

للمساجد معتكفاً فيها حتى أدركه الموت ودفن قريباً من مزار فاطمة رضي الله عنها[١].

وأهم ما نستفيده من تلك الرواية الأمور الآتية:

١ـ احترام ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وعدم توجيه الإهانة إليهم أو التقليل من شأنهم، كرامة لآبائهم الطاهرين[٢]، أما العاصون منهم فأساليب أمرهم بالمعروف كما ذكرها السيد دستغيب قال: «**إذا كان هناك سيد من نسل الزهراء (سلام الله عليها) لا يصلي، فإذا احتملت تأثير النهي عن المنكر معه فعليك بمراعاة مراتب النهي عن المنكر معه، أي أن تستعمل أولاً التعبير الجميل واللين من خلال تشجيعه وترغيبه، فإن نفع ذلك فإنه لا يخاف الإكرام والمحبة، بل هو سهم أصاب هدفين: نهي عن المنكر لجهة وإظهار للمودة للذرية الطيبة لجهة أخرى، أما إذا كان النهي غير مؤثر فيجب الاحتفاظ بإكرامه ومودته مع بقاء الاحترام أو عدمه، ولعله إذا علم بأن إكرامه إنما يكون منك لاحترام وإجلال جده النبي صلى الله عليه وآله وجدته الزهراء عليها السلام، فقد يخجل من نفسه وينتبه لحاله فتكون قد أصبت الهدفين**»[٣].

٢ـ إنَّ هداية العاصين والمذنبين إنما تكون بحسن التعامل وبالكلمة الطيبة وإسداء النصح والإرشاد وليس بالتحقير والإهانة.

٣ـ إنَّ ثمرة التعامل مع ذلك السيد هو شعوره بالندم والتقصير على ما كان يفعله بالسابق، لذا نجده قد أقلع عن تلك المعاصي، وأصبح من الأتقياء والمتورعين

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٢٣-٣٢٤.

(٢) وردت عدة أحاديث في فضل إكرام ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وقضاء حوائجهم وتقديمهم ومحبتهم؛ ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أربعة أنا الشفيع لهم يوم القيامة ولو أتوني بذنوب أهل الأرض: معين أهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه، والدافع المكروه عنهم بيده؛ ينظر: النجفي، الشيخ هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ج٥، ص٦.

(٣) دستغيب، عبد الحسين، عقائد ومفاهيم، ص١٠٦ .

والصلحاء المتعبدين، وهذا كله ببركات مولانا العسكري (صلوات الله عليه) وأساليبه في جذب المذنبين إلى طاعة رب العالمين.

الخاتمة

ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١ـ إن عامة جمهور المسلمين لم يستوعبوا الرسالة الإسلامية استيعاباً كاملاً، بل أشبه بالطاقة الحرارية، فكلما أبعدتهم السنين عن عصر الرسالة المحمدية ابتعدوا عن تعاليم الإسلام وظهرت البدع والتدليس والانحلال الأخلاقي في المجتمعات، لولا وجود أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله المسندين بكتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، لذا فواجب أئمة أهل البيت عليهم السلام القيمومة على تلك الرسالة ...، فقد تصدى مولانا العسكري عليه السلام لمواجهة تلك الأمور وتصحيح مسارها بوصاياه الأخلاقية المسندة بالقيم السماوية، فقد أوصى بمراعاة الإخوان وعدم مخاصمتهم والعفو والصفح والنبل لمن يعتدي وغيرها.

٢ـ بذل الإمام العسكري عليه السلام قصارى جهده في إرساء مبادئ التعاون والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، والسعي لقضاء الحوائج ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة ومراعاة ظروفهم وما يسد حوائجهم، فبعضهم يقضي حوائجه بأموال ينفقها له والآخر بنصيحة يسديها إليه وآخر بدعوى صادقة تلبي طلبته.

٣ـ إن الإمام العسكري عليه السلام عاصر أعتى ملوك بني العباس أشدهم غلظة وبطشاً بالعلويين والطالبيين، ولكن كيف تعامل معهم الإمام عليه السلام؟ وكيف جارى حكومتهم الغاصبة؟ لقد تعامل معهم بأخلاقياته العالية وحكمته البالغة، حتى ظهر ذلك التعامل على الكثير من رجالات الدولة، وممن عرف بالبغض والعداوة لآل محمد (صلوات الله عليهم)، بل حتى بلغ التأثير على الحكام أنفسهم أمثال المعتمد العباسي، وهذا كله بفضل الخلق الرفيع والأسلوب المميز الذي وجدوه عند الوصي

الحادي عشر الحسن بن علي العسكري (صلوات الله عليه) .

٤ ـ تميز عصر العباسيين بظهور الديانات والفرق المتعددة، والتشكيك في عقائد الدين الإسلامي الحنيف، لكن أهل البيت بصورة عامة والإمام العسكري عليه السلام خاصة، تصدى لمواجهة وردع الكثير من آرائهم وتوجهاتهم المنحرفة بأساليب تلائمهم وأخلاقيات تناسبهم، حتى استطاعوا أن ينقذوهم من بحر الضلال إلى بر الهداية و الإيمان، فقد غير الإمام عليه السلام الكثير من معتقدي الثنوية و الواقفية وإشكالية إسحاق الكندي في تناقضات القرآن الكريم و...

٥ ـ لقد عانى الإمام الحسن العسكري عليه السلام من خاصته وأقاربه الأمرين خاصة أخوه جعفر الذي أطلق عليه بعض المؤرخين والكتاب لقب (الكذاب)، لكن عندما نتأمل بتصرفات الإمام عليه السلام معه نجدها النموذج الأمثل في كيفية مراعاة صلة الرحم والحفاظ عليها، فعلى الرغم من تصرفات جعفر بن الإمام الهادي تجاه أخيه والوشاية به عند السلاطين إلا أن الإمام (صلوات الله عليه) قابلها بالتجاهل والنسيان والصفح والإحسان، لتكون تلك التصرفات قدوة للجميع في التعامل مع الرحم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١) ابن العديم، عمر بن أحمد العقيلي، (ت٦٦٠ هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر .

٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (ت ٧٥١هـ)، كتاب الروح، حققه محمد أجمل أيوب الإصلاحي، أخرج أحاديثه كمال قالمي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .

٣) ابن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس، (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقايس اللغة، بيروت، ٢٠٠٨م.

٤) ابن شهرآشوب، محمد بن علي المازندراني، (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق د. يوسف البقاعي، بيروت، ١٩٩١م، دار الأضواء.

٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦) الإربلي، علي بن عيسى، (ت ٦٩٢هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق علي الفاضلي، ط ١٤٢٦هـ، طباعة ونشر مركز المجمع العالمي لأهل البيت .

٧) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)، مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٩ هـ.

٨) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، (ت ٥٥٠ هـ)، غرر الحكم ودرر الكلم، ترتيب وتدقيق عبد الحسن دهيني، المؤسسة الفكرية للمطبوعات، دار الهادي، ط ١، بيروت، ١٤١٣ هـ.

٩) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٠) أنس، إبراهيم، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، نشر مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، ط٤، جمهورية مصر العربية ١٤٤٢هـ.

١١) البحراني، ابن ميثم، كمال الدين بن علي، شرح مئة كلمة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مؤسسة العروة الوثقى، قم، ٢٠١٠م.

١٢) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩١ م.

١٣) بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

١٤) البرقي، أحمد بن عبد الله، رجال البرقي، تحقيق حيدر محمد علي البغدادي، ط ٢ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٣٣هـ .

١٥) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ)، جامع الترمذي، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية .

١٦) تفسير الإمام العسكري الحسن بن علي عليه السلام، (ت ٢٦٠ هـ)، إشراف السيد محمد باقر الأبطحي، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ط٢، قم، ١٤٣٣هـ.

١٧) الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦ هـ)، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة .

١٨) الحر العاملي، محمد بن الحسن، (ت ١١٠٤هـ)، إثبات الهداة، بالنصوص والمعجزات، تقديم السيد شهاب الدين المرعشي، أخرج أحاديثه علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ١٤٢٥ هـ.

١٩) الحر العاملي، محمد بن الحسن، (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١٤١٤هـ.

٢٠) الحراني، ابن شعبة، الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول،

تصحيح وتعليق على أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، قم المقدسة ١٤٠٤ هـ .

٢١) الحلي، ابن فهد أحمد بن محمد بن فهد، (ت ٨٤١هـ)، عدة الداعي ونجاح الساعي، تحقيق أحمد الموحدي القمي، مكتبة الوجداني، قم.

٢٢) دستغيب، السيد عبد الحسين، عقائد ومفاهيم، مكتبة المختار، ط١، لبنان، ١٤٣٤هـ .

٢٣) الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، موقع وزارة الأوقاف السعودية .

٢٤) الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩هـ .

٢٥) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، نشر و تحقيق دار الحديث، ط١، قم، ١٤١٦هـ.

٢٦) الشاهرودي، علي النمازي، (ت ١٤٠٥هـ)، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين قم، ١٤١٩هـ.

٢٧) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، نشر مؤسسة الحلبي.

٢٨) الصدر، السيد علي الحسيني، أخلاق أهل البيت عليهم السلام، ط١، قم، ١٤٣٢هـ.

٢٩) الصدر، السيد محمد محمد صادق، تاريخ الغيبة الصغرى، نشر دار الزهراء.

٣٠) الصدر، محمد مهدي، أخلاق أهل البيت عليهم السلام، قم، ٢٠٠٢ م.

٣١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، (ت ٣٨١هـ)، ثواب الأعمال، تحقيق وتصحيح الشيخ أحمد الماحوزي، ط١، ٢٠١٤ م .

٣٢) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت ٧٦٤ هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت ١٤٢٠هـ.

٣٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، (ت ٥٤٨هـ)، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم المقدسة، ١٤١٧هـ.

٣٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، (ت ٥٤٨هـ)، مكارم الأخلاق، دار المحجة البيضاء، ط ١، بيروت، ١٤٣٢ هـ.

٣٥) الطوسي، ابن حمزة، عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي، الثاقب في المناقب، تحقيق نبيل رضا علوان، نشر دار مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، ط ٣، قم المقدسة، ١٤١٩ هـ.

٣٦) العمري، علي بن محمد بن علي بن محمد، المجدي في أنساب الطالبيين، تحقيق أحمد المهدوي الدامغاني، إشراف د. محمود المرعشي، نشر مكتبة المرعشي، ط٢، مطبعة ستارة.

٣٧) القزويني، السيد محمد كاظم، الإمام العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، قم، ١٤١٢هـ.

٣٨) الكعبي، علي موسى، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ، نشر مركز الرسالة، ط١ .

٣٩) الكليني، محمد بن يعقوب، (ت ٣٢٩هـ)، أصول الكافي، ط ١، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٦ هـ.

٤٠) الكوراني، الشيخ علي، الإمام الحسن العسكري عليه السلام والد الإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف ط ١، ١٤٣٥هـ.

٤١) الكوراني، الشيخ علي، سيرة النبي وأهل البيت عليهم السلام الإمام علي الهادي عليه السلام،

ط١.

٤٢) المجلسي، محمد باقر، (ت ١١١٠هـ)، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي.

٤٣) مجموعة من المؤلفين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، إشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة، ط ٤، السعودية ـ جدة.

٤٤) المسعودي، علي بن الحسين بن علي، (ت ٣٤٦ هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، منشورات مكتبة بصيرتي، ط ٥، قم.

٤٥) المعتزلي، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، شرح النهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الحياء الكتب العربية .

٤٦) معلوف، لويس، المنجد في اللغة، نشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ٢٠١٠م .

٤٧) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، (ت ٤١٣ هـ)، الإرشاد، تحقيق حسين الأعلمي، ط الخامسة، ٢٠٠١ م .

٤٨) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، (ت ٤١٣ هـ)، الأمالي، تحقيق الحسين أستاد ولي ـ علي أكبر غفاري، منشورات جماعة المدرسين ـ قم المقدسة، المطبعة الإسلامية، ١٤٠٣ هـ.

٤٩) ناصر، أحمد، وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨ م .

٥٠) النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد، (ت ٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٨ هـ .

٥١) النجفي، الشيخ هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٥٢) النراقي، محمد مهدي، (ت ١٢٠٩هـ)، جامع السعادت، قدم له العلامة الشيخ محمد رضا المظفر، علق عليه السيد محمد كلانتر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

ط١، بيروت، ٢٠٠٦.

٥٣) النوري، حسين، (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٥٤) النيشابوري، محمد بن فتال (ت ٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق غلا محسن المجيدي ـ مجتبى الفرجي، ط٢، قم، ١٤٣١هـ.

البحث الثالث والعشرون

مضامين الوعظ والإرشاد

في روايات الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أ.م.د. هناء حسين علوان

جامعة الكوفة

كلية الفقه

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه:

وبعد:

أنزل الله تبارك وتعالى الأنبياء والرسل إلى البشرية من أجل إصلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وكانت رسالاتهم صلوات الله عليهم متمثلة بالوعظ والإرشاد لكي ينبهوا القلوب من غفلتها، ويبعدوها عن كل رذيلة، ويبصروا الناس بما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم.

فالإنسان بطبيعته خلق مستعداً للخير والشر، فهو لذلك بحاجة ماسة إلى الوعظ والإرشاد، لكثرة انشغاله بالدنيا وإعراضه عن الآخرة، وما يتعرض له من الضعف في الإيمان، وتفريط في ما فرضه الله عليه، وجهل للدين الإسلامي، فبالوعظ تحيا القلوب، ويتحرر الإنسان من رق الشيطان وعبودية الدنيا، وفيه تذكير للإنسان الغافل، وتجديد للإيمان وتعريف الإنسان بالخالق ومعرفة حدود وشرائع الإسلام، وعليه وجب أن تتوافر البيئة الصالحة لنشأته كي ينشأ على الإيمان والأخلاق الفاضلة، وأما إذا حصل العكس ولم تتوافر هذه البيئة فلا تتيسر له التربية الصالحة فينشأ على الكفر والأخلاق السيئة.

لذا كان للوعظ والإرشاد الدور الكبير في هداية النفس الإنسانية والأخذ بها

إلى الطريق الصالح والقويم، وهذا ما جاءت به الشريعة الإسلامية متمثلة بالقرآن والسنة الشريفة.

فقد وردت العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الوعظ والموعظة، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾(١) وقوله تعالى: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**﴾(٢)، فالوعظ والموعظة جاءت في القرآن كما جاءت من مهمات النبوة.

وكما عني القرآن الكريم بالوعظ كان للرسول الكريم صلى الله عليه وآله عناية خاصة به، لذا ينبغي أن يكون خطاب الوعظ معتمداً على الكتاب والسنة، أي أقوال الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام الذين هم امتداد للرسول صلى الله عليه وآله.

لقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله المرشد والواعظ الأول لهذه الأمة، وقد استطاع صلى الله عليه وآله أن يعيد بناء الإنسان العربي الجاهلي، ليخرجه من الظلمات إلى نور الإيمان والمعرفة وسمو الأخلاق قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾(٣).

لذا سعى الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمة المعصومون عليهم السلام إلى تهذيب الذات الإنسانية، التي بها تتشكل ذات الإنسان المسلم عن طريق عملية تنمية وتغذية لمواهب الإنسان بصورة متزنة، وهي لهذا تتعهد ببناء الإنسان على الإيمان والعلم والخلق والعمل الصالح بصورة متلاحمة منسجمة، كما ويؤكدون عليهم السلام على أهمية التمسك بالقيم الروحية والخلقية فضلاً عن حرية الفكر والانفتاح على المصادر المختلفة للثقافات، وتنمية القدرات والمهارات في الفرد مثل العمل بروح الفريق

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٣.

(٣) سورة الجمعة، الآية ٢.

وتغليب المصلحة المشتركة على المصالح الخاصة.

وعليه فالوعظ والإرشاد له الأثر الكبير في هداية الإنسان، خصوصاً ما يصدر عن المعصومين عليهم السلام، فهي تترك في نفس المتلقي أثراً كبيراً وتعطيه القدرة على الاقتداء واستلهام العبر، والأخذ بها إلى الصراط المستقيم وصيانة القلوب من المخاطر، وتهذيب النفوس واستنارة البصائر بنور الطاعة.

فكان كل إمام من الأئمة المعصومين عليهم السلام يمثل مدرسة من العلم والأدب والأخلاق، وقد استطاعوا ان ينقذوا الأمة الإسلامية من الظلم والجور والفساد.

وقد جسد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في رسالته المباركة المفاهيم والقيم الأخلاقية الصالحة في كلماته التي ضمت النصح والإرشاد والتوجيه لبني البشر، انطلاقاً من كون رواياته عليهم السلام زاخرة بالتوجيهات التربوية والأساليب الوعظية والإرشادية العظيمة، وعلى الرغم من قُصر فترة إمامته عليه السلام (٢٥٤ ـ ٢٦٠هـ)، والظروف السياسية الحرجة التي مرّ بها والتضييق عليه وعلى تحركاته ونشاطه، كان له نشاط متميز، فقد واصل عمل من سبقه من الأئمة المعصومين عليهم السلام في إيصال الرسالة المحمدية إلى مؤيديه ومخالفيه.

وكانت له عليه السلام العديد من الروايات التي تحمل العديد من المضامين الوعظية والإرشادية، وعلى الرغم من قُصر بعض هذه الروايات لكنها تحمل معاني كثيرة وأبعاداً كبيرة.

وقد انتظم البحث بمقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، كان المبحث الأول تحديداً لمصطلحات البحث، أما المبحث الثاني فقد تحدث عن شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أما المبحث الثالث فقد كان تحت عنوان المضامين الوعظية والإرشادية للإمام العسكري عليه السلام.

المبحث الأول: تحديد مصطلحات البحث

يحاول المبحث تسليط الضوء على مفردات العنوان كمدخل و تأسيس لمفاهيم البحث:

أولاً: تعريف الوعظ في اللغة والاصطلاح:

الوعظ لغة:

عرفه الفيومي: (وعظه يعظه وعظاً وعِظة: أمره بالطاعة وأوصاه بها، فاتّعظ: ائتمر وكفّ نفسه، والاسم الموعظة، وهو واعظ، والجمع وعّاظ) [١].

وقال ابن فارس: (وعظ: كلمة واحدة، فالوعظ: التخويف، والعظة اسم منه)[٢]. قال الخليل نقلا عن ابن فارس: هو التذكير بالخير وما يرقّ له قلبه[٣].

الوعظ والعظة والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب[٤].

والوعظ: النصح والتذكير بالعواقب، تقول: وعظته وعظاً وعظة فاتعظ، أي قبل الموعظة. يقال: (السعيد من وعظ بغيره، والشقى من اتعظ به غيره) [٥].

وعرفه ابن سيدة: (الوَعْظ والعِظَة والمَوْعِظَة: تذكر الإِنسان بما يُليّن قلبه من ثواب وعقاب، وَعَظْته وَعْظاً فاتَّعَظ)[٦].

وقال الرازي: (و ع ظ: الوعظ النصح والتذكير بالعواقب، وقد وعظه من

---

(١) الفيومي، مصباح اللغة، مادة وعظ.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٦، ص١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٦.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة وعظ.

(٥) ينظر، الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١١٨١.

(٦) ابن سيده، المخصص، ج٤، ص٩٥.

باب وعد وعظة أيضاً بالكسر فاتعظ أي قبل الموعظة يقال السعيد من وعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره).[١]

الوعظ اصطلاحاً:

قال الراغب: الوعظ زجر مقترن بتخويف.[٢]

وقال الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ) الوعظ: عبارة عن الوصيّة بتقوى الله تعالى والحثّ على الطاعات والتحذير من المعاصي والاغترار بالدنيا وزخارفها وما شاكل ذلك[٣].

وقال أيضاً: الوعظ: خبر مقترن بتخويف.[٤]

وقيل الوعظ: الأمر بالطاعة وعليه قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ**﴾ أي آمركم، وقيل: الوعظ تذكير مشتمل على زجر وتخويف وحمل على طاعة الله بلفظ يرق له القلب والاسم[٥].

وقيل أيضاً: (الوعظ: الزجر عن القبيح بما يدعو إلى الجهل على وجه الترغيب والترهيب، والصحيح أن الجهل قبيح على كل حال)[٦].

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص٣٧٢.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٥٢٧.

(٣) الشهيد الثاني، روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، ج٢، ص٧٥٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٥٩.

(٥) مولى المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي، ج٨، ص٤٠٢، السيد علي خان المدني، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام، ص٢١٠.

(٦) الحلي، ابن إدريس، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، ج٢، ص١٢٠.

وعُرِفَ أيضاً: (الوعظ كلام يلين القلب بذكر الأمر والنهي والوعد والوعيد)[١]

وهو أيضاً: الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه، فإنهم إذا سمعوا أوامر الله سبحانه خافوا من سخطه في عدم الامتثال، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله، وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه.[٢]

وقال بعض المتقدّمين: الوعظ: تذكير مشتمل على زجر وتخويف، وحمل على طاعة الله سبحانه بلفظ يرقّ له القلب، والاسم الموعظة.[٣]

والموعظة الحسنة، معناها الوعظ الحسن وهو الابتعاد عن العمل القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله، وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل: إنّ الحكمة هي النبوّة وإنَّ لموعظة الحسنة هي مواعظ القرآن.[٤]

ثانياً: تعريف الإرشاد لغة واصطلاحاً:

الإرشاد لغة:

الإرشاد: الهداية والدلالة، وأرشده الله، وأرشده إلى الأمر، ورشَّده: هداه، وإرشاد الضال هدايته الطريق وتعريفه[٥].

(رشد) الراء والشين والدال أصل واحد يدل على استقامة الطريق، والرشد

---

(١) السمعاني، تفسير السمعاني، ج٤، ص٦٠.

(٢) ينظر، الشنقيطي، اضواء البيان، ج٢، ص٤٣٨.

(٣) ينظر، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، مؤسسة ولي العصر عجل الله فرجه الشريف للدراسات الإسلامية، ص٩.

(٤) ينظر، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، ج٧، ص١١٥.

(٥) لسان العرب، ج٣، ص١٧٥، مجمع البحرين، ج٢، ص١٨٠.

والرشد خلاف الغي، وأصاب فلان من أمره رشداً ورشداً ورشده [١].

الإرشاد اصطلاحا:

ويطلق على ما يبرّ به الشخص، والإرشاد أي الهداية للطاعة فإنه مصدر أرشده بمعنى وفقه وهداه، والرشاد والرُشْد بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها نقيض الغي وهو الهدى والاستقامة يقال: رَشَدَ يَرْشُد رُشْداً بضم الهمزة أي بمعنى الهادي إلى سبيل الرشاد أي الدال على طريق الاستقامة بلطف[٢].

ويُعرف: (الدِّلالَةُ على الخَيْرِ والمَصْلَحَةِ، سواء كانت دُنيَوِيَّةً أو أخرَوِيَّةً) [٣].

والإرشاد: هو هداية الخلق بدلالتهم إلى طريق الحق والصلاح المنجي من الهلاك في الدنيا والاخرة.

ثالثاً: تعريف الرواية لغة واصطلاحاً وبيان اهميتها:

تعريف الرواية لغة:

الرواية بكسر الراء: مصدر روى، بمعنى نقل وحمل، يقال: روى البعير الماء من باب رمى: فهو رواية، والروايا من الإبل: حوامل الماء واحدتها رواية، ثم اطلقت على كل دابة يُسقى عليها الماء.

ويقال: لنا روايا يحملون لنا أثقالهم، إذ يكره الحمل إنما يعني به الرجال الذين يحملون لهم الديات، فجعلهم كروايا الماء[٤].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣٩٨.

(٢) ينظر، الشافعي الصغير، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج١، ص٣٠.

(٣) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج١، ص١٣٣.

(٤) ينظر، الفراهيدي، معجم العين، ج٨، ٣١٣، ينظر، لسان العرب، ٤، ص٣٤٦، ينظر، الصحاح، ص٣٦٤.

وقيل: الرواية: يُقصد بها رواية الحديث والشعر، ورجل راوية: كثير الرواية، والجمع رواة [١].

الرواية اصطلاحاً:

لعلم الرواية في الاصطلاح عدة تعريفات منها:

عرفها الخطيب البغدادي: (علم يُعرف به ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ضمن قول أو فعل أو تقرير أو صفة، ونقل ما أُضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين على رأي)[٢].

وقيل: هو (علم يشتمل على نقل أقوال النبي صلى الله عليه وآله وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها)[٣].

وقيل أيضاً هو (الخبر المنتهي بطرق النقل من ناقل إلى ناقل حتى ينتهي إلى المنقول عنه من النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام)[٤].

وعرفها نور الدين عتر: (حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عزي إليه بصيغة الأداء)[٥].

أهمية علم الرواية:

تُعد الرواية من أفضل الوسائل التي اتبعها المحدثون في سبيل الحفاظ على صحة النصوص وسلامتها من الضياع والإندثار، وضبطها وجودتها، ولذا نجد أنَّ الأئمة

---

(١) معجم العين، ج٨، ص٣١٣.

(٢) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص٦.

(٣) السيوطي، تدريب الراوي، ص٥.

(٤) جديدي، محمد رضا، معجم مصطلحات الرجال والدراية، ص٦٨.

(٥) منهج النقد في علوم الحديث، ص١٨٩.

المعصومين عليهم السلام اهتموا اهتماماً كبيراً وصرّحوا بقواعد الالتزام بالرواية في العديد من النصوص الشريفة[١] ومنها:

١- محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمد، عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان بن مسلم، عن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويسدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل؟ قال: الرواية لحديثنا يشد به (يسدده في ح) قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد)[٢].

٢- ثقة الإسلام في الصحيح، عن محمد بن الحسن بن أبي خالد قال: (قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: جعلت فداك، إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وكانت التقية شديدة، فكتموا كتبهم فلم ترو عنهم، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا. فقال: حدثوا بها فإنها حق)[٣].

٣- عن محمد بن محمد بن عصام عن محمد بن يعقوب، عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: (أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك ـ إلى أن قال: ـ وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله، وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي)[٤].

---

(١) ينظر، حجي، علي خضير، معالم أساسية في سلم الرواية، ص٢٨.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٣٣، الفيض الكاشاني، الوافي، ج١، ص١٤٤.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٣، المجلسي، محمد تقي (الأول)، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٧، الفيض الكاشاني، الوافي، ج١، ص٢٣٦.

(٤) الصدوق، كمال الدين واتمام النعمة، ج٢، ص٤٨٣، العاملي، الحر، وسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٤٠.

المبحث الثاني: شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أبو محمد الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين(١).

ولادته عليه السلام:

ولد عليه السلام في اليوم العاشر من الربيع الثاني من عام ٢٣٢هـ وفي مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث استقبل بيت الإمام الهادي عليه السلام ثاني أبنائه من امرأة فاضلة، صالحة كانت تسمى حديث أو سلسل(٢).

وبقي في المدينة إلى عام ٢٤٣هـ، حيث انتقل مع والده الكريم إلى عاصمة الخلافة العباسية، سر من رأى، واستوطن معه في منطقة تُسمى بالعسكر، ولُقب على أساسها بالعسكري(٣).

ألقابه عليه السلام:

لُقب الإمام الحسن عليه السلام بالعديد من الألقاب، وكانت هذه الألقاب تعكس الخصال الحميدة التي تجلت في حياة الإمام عليه السلام، فكان يلقب: الصامت، الهادي، الخالص، الرفيق، الزكي، النقي وكان يُلقب أيضاً بابن الرضا عليهما السلام، ولُقب كذلك بالعسكري وهو اللقب السائد، لنزوله عليه السلام مع والده في مدينة العسكر في سامراء والتي كانت تسمى في وقتها (سر من رأى)(٤).

---

(١) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٣، ص١٩٦.

(٢) المفيد، الإرشاد، ص٣١٥.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٣، ص١٩٧؛ بحار الأنوار، ج٥، ص٢٣٥.

(٤) ينظر، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢١، ينظر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٣٦.

حياته:

واكب الإمام الحسن العسكري عليه السلام مدة إمامته القصيرة التي استمرت **ست** سنوات (٢٥٤ – ٢٦٠هـ) ثلاثة من الحكام العباسيين وهم:

١- المعتز العباسي: ٢٥٢ – ٢٥٥هـ).

٢- المهتدي العباسي (٢٥٥ – ٢٥٦هـ).

٣- المعتمد العباسي (٢٥٦ – ٢٥٩هـ).

حفلت عهودهم بالاضطرابات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقد ألقت هذه الظروف بظلالها على نشاط الإمام الحسن العسكري عليه السلام، لذلك أكد الإمام وبشكل كبير جداً على سرية العمل وبالتقية؛ لأنَّ العمل في أجواء الخوف يوجب التقية.

وطوال مدة إمامته عليه السلام البالغة ست سنوات كان ملازماً التقية، وكان منعزلاً عن الناس حتى الشيعة، ولم يسمح إلَّا للخواص من أصحابه بالاتصال به، مع كل هذا فقد قضى زمناً طويلاً في السجون[1].

والسبب في كل هذا الاضطهاد هو:

أولاً: كان قد وصل عدد الشيعة إلى حد يلفت الانظار، وان الشيعة تعترف بالإمامة، وكان هذا الأمر واضحاً جلياً للعيان، وإن أئمة الشيعة كانوا معروفين، فعلى هذا كانت الحكومة آنذاك تتعرض للأئمة عليهم السلام أكثر من ذي قبل وتراقبهم، وكانت تسعى للإطاحة بهم وإبادتهم بكل الوسائل الخفية.

ثانياً: قد علمت الدولة العباسية أنَّ الخواص من الشيعة تعتقد أنَّ هناك ولداً للإمام الحادي عشر عليه السلام، وطبقاً للروايات التي تنقل عن الإمام الهادي عليه السلام، ومن

(١) ينظر، الطباطبائي، محمد حسين، الشيعة في الإسلام، ص١٩٠.

أجداده، يعرفونه ب (المهدي الموعود) وقد أخبر عنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بموجب الروايات المتواترة عن الطريقين العامة والخاصة، ويعتبرونه الإمام الثاني عشر لهم[١].

ولهذا السبب كان الإمام عليه السلام أكثر مراقبة من سائر الأئمة، فصمم الخليفة المعتمد على أنْ يقضي على موضوع الإمامة عند الشيعة بكل وسيلة تقتضي الضرورة لذلك، وبهذا يُغلق هذا البحث الذي طالما كان مثارا لإزعاجهم.

ففرضوا عليه الإقامة الجبرية، وكان يراقبه الخليفة بجهاز خاص، لذلك عدَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام الإعلان عن العمل مدعاة للفشل فقال عليه السلام: (أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته)[٢].

وقد أوصى عليه السلام أحد وكلائه بهذا الأمر بقوله: (... وأقرئ من تثق به من مواليّ السلام، ومرهم بتقوى الله العظيم، وأداء الأمانة، وأعلمهم أن المذيع علينا سرنا حرب لنا) [٣].

وقد اضطره كثرة المراقبة الموضوعة له والرصد لتحركاته عليه السلام، ومحاولة الوصول إليه من قبل محبيه أن يوصي بتجاهل وجوده في أي محفل يجدونه فيه، وذلك حفاظا عليهم من بطش السلطات...، ومع ذلك قام بأعمال كبار ومعجزات، جعلت بعض شخصيات السلطة يؤمنون به ويقدسونه.

وعلى الرغم من حرج الظروف السياسية التي عاشها الإمام عليه السلام والتضييق

---

(١) ينظر، المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج١٢، ص٤٥٨.

(٢) أعيان الشيعة، ج٢، ص٤٠.

(٣) الراوندي، قطب الدين، الخراج والجرائح، ج١، ص٤٥١؛ البحراني، هاشم، مدينة المعاجز، ج٧، ص٦٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص١٨١؛ هادي النجفي، موسوعة أهل البيت عليهم السلام، ج١، ص١٨٥؛ موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، مؤسسة ولي العصر عجل الله فرجه الشريف للدراسات الإسلامية، ص٢٠٤، ص٤٤٩.

على نشاطه وتحركاته، التي لو ظهر منها النزر القليل لسرَّعَتْ من القضاء عليه، نجده عليه السلام واصل عمل من سبقه من الأئمة عليهم السلام، في إيصال ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وروايات المعصومين عليهم السلام من وصايا وحكم ومواعظ وإرشادات، فقد روي أنه وجد بخطه عليه السلام قائلاً: (... فنحن السنام الأعظم، وفينا النبوة والولاية والكرم، ونحن منار الهدى والعروة الوثقى، والأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا، ويقتفون من آثارنا، وسيظهر حجة الله على الخلق بالسيف المسلول لإظهار الحق، وهذا خط الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أمير المؤمنين)[1].

وقال عليه السلام: (قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونورنا السبع الطرائق بأعلام الفتوة، فنحن ليوث الوغى، وغيوث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل، وأسباطنا خلفاء الدين وحلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم...)[2].

مناقبه عليه السلام:

للإمام الحسن العسكري عليه السلام كثيرٌ من المناقب سنقف على بعضٍ منها، ولكن تعتبر المنقبة العليا والمزية الكبيرة التي خصه بها الله جل وعلا كما ذكرها الإربلي بقوله: (وأما مناقبه فاعلم أن المنقبة العليا والمزية الكبرى التي خصه الله جل وعلا بها، فقلده فريدها ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة لا يبلي الدهر جديدها ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها، أنَّ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من نسله المخلوق منه وولده المنتسب إليه وبضعته

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٦٤، الكربلائي، جواد بن عباس؛ الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة، ج٢، ص١١.

(٢) المصدر نفسه، ج٧٥، ص٣٧٨، الشهيد الأول؛ الدرة الباهرة من الاصداف الطاهرة، ص٤٨، موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ج٢، ص٢٠٩.

المنفصلة عنه) [١]. وقال أيضاً: (وكفى أبا محمد الحسن تشريفه من ربه أن جعل محمداً المهدي عجل الله فرجه الشريف من كسبه وأخرجه من صلبه وجعله معدوداً من حزبه، ولم يكن لأبي محمد ولد ذكر سواه، وحسبه ذلك منقبة وكفاه، لم تطل من الدنيا أيام مقامه ومثواه ولا امتد أمد حياته فيها ليظهر للناظرين مآثره ومزاياه).[٢]

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله في حديث أبي بن كعب الوارد في فضائل الأئمة وصفاتهم واحداً بعد واحد قال في آخره: (وإن الله جل وعز ركب في صلب الحسن ـ يعني العسكري عليه السلام ـ نطفة مباركة نامية زكية طيبة، طاهرة مطهرة يرضى بها كل مؤمن ممن أخذ الله ميثاقه في الولاية، ويكفر بها كل جاحد، فهو إمام تقي نقي بار مرضي هاد مهدي، أول العدل وآخره، يصدق الله عزَّ وجلَّ ويصدقه الله في قوله...)[٣].

ومن مناقبه عليه السلام ما وقع لبهلول معه أنَّه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون، فظن أنه يتحسر على ما في أيديهم، فقال: أشتري لك ما تلعب به؟ فقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا. فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة. فقال له: من أين لك ذلك؟ قال: من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٤]. ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن عليه السلام مغشياً عليه، فلما أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟ فقال: «إليك عني يا بهلول، إني

---

(١) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٣، ص١٩٧؛ ابن طلحة، محمد، مطالب السؤول، ص٨٨.

(٢) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٣، ص١٩٧.

(٣) الصدوق، كمال الدين، ص٢٦٧، الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٦٤، الفيض، الكاشاني، الوافي، ج٢، ص٤٦٥، القمي، عباس، الأنوار البهية، ص٣٧٥، المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج١٣، ص٦٥.

(٤) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تقد إلا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم [١].

ومن مناقبه عليه السلام أيضاً:

لما أصاب الناس القحط بسر من رأى، وكان قحطاً شديداً، أمر الخليفة المعتمد بن المتوكل بالخروج والاستسقاء ثلاثة فلم يسقوا، فخرج النصارى ومعهم راهب كلما مد يده إلى السماء هطلت، ثم في اليوم الثاني كذلك، فشك بعض الجهلة وارتد بعضهم، فشق ذلك على الخليفة، فأمر بإحضار الحسن الخالص عليه السلام وقال له: أدرك أمة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يهلكوا. فقال الإمام الحسن عليه السلام: (يخرجون غداً وأزيل الشك إن شاء الله تعالى)، وكلم الخليفة في اطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم له، فلما خرج الناس للاستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارى غمت السماء، فأمر الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالقبض على يده، فإذا فيها عظم آدمي، فأخذه من يده فقال: استسق، فرفع يده فزال الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، فقال الخليفة للحسن العسكري عليه السلام: ما هذا يا أبا محمد؟

فقال: (هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف عن عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر)، فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال، وزالت الشبهة عن الناس، ورجع الحسن إلى داره وأقام عزيزاً مكرماً [٢].

استشهاده عليه السلام:

عندما سمع المعتمد بمرض الإمام الحادي عشر أرسل إليه الأطباء مع عدد من القضاة ومن يعتمد عليهم كي يراقبوا الإمام عن كثب وما يجري في داره، وبعد استشهاد الإمام ووفاته، فتشوا البيت بدقة، وفحصوا الجاريات اللواتي كن يخدمن في

---

(١) ينظر، الشيرواني، المولى حيدر، مناقب أهل البيت عليهم السلام، ص٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٩٤، ينظر، المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج١٩، ص٦٢١.

بيت الإمام بوساطة الممرضات (القابلات)، وظلوا يبحثون عن خلف للإمام لمدة سنتين حتى استولى عليهم اليأس، دفن الإمام الحادي عشر عليه السلام بعد وفاته في داره في مدينة سامراء بجوار مدفن أبيه[1].

(١) المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج١٢، ص٤٥٨، ٦٥٨.

المبحث الثالث: المضامين الوعظية والإرشادية في روايات الإمام الحسن العسكري عليه السلام

للوعظ والإرشاد أهمية كبيرة في هداية النفس الإنسانية، والأخذ بها إلى طريق الحق (الصراط المستقيم)، وفيه صيانة للقلوب من المخاطر، وتهذيب للنفوس، واستنارة للبصائر بنور الطاعة.

وقد عنى الإمام العسكري عليه السلام بوعظ الناس وإرشادهم مستهدفاً في ذلك تنمية القوى الخيّرة في النفوس، وتوجيه الناس نحو الحقّ والخير وإبعادهم عن نزعات الشرّ من الإعتداء والغرور والطيش وغير ذلك، وقد تعددت الطرق التي سلكها الإمام عليه السلام في توجيه المواعظ والإرشادات للناس سواء كانوا موالين له أم معارضين، وهي تحمل في طياتها النصائح والعديد من المضامين الإصلاحية التي قد يغفل الإنسان عنها، ومن ثمَّ تبعده عن جادة الحق والصواب، وكما ذكرنا فيما سبق انه وعلى الرغم من قصر فترة إمامته عليه السلام إلّا إنَّه ترك لنا عدداً من الروايات تحمل لنا أحكاماً شرعية وأخرى وعظية إرشادية، وقد تعددت السبل في توجيه الوعظ والإرشاد عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقد تكون الموعظة موجهة إلى الذات (أي النفس الإنسانية) وقد تكون الموعظة موجهة إلى الآخرين، أو قد تجري مجرى الحِكَم، وسنتعرض إلى الروايات التي تحمل في طياتها هذه المضامين.

أولاً: الموعظة الموجهة إلى الذات (النفس):

إن ما يصدر عن المعصوم عليه السلام من خطاب موجه إلى النفس وتذكيرها بأوامر الله ونواهيه يحمل كثيراً من المضامين، فهي تترك في نفس المتلقي أثراً كبيراً وتعطيه حافزاً على الاقتداء واستلهام العبرة، والرضا بقضاء الله وقدره، وقد تصدى الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى هذه المسؤولية الشرعية بصورة جلية، في قوله عليه السلام: (ارْفَعِ الْمَسْأَلَةَ مَا وَجَدْتَ التَّحَمُّلَ يُمْكِنُكَ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ رِزْقاً جَدِيداً، وَ اعْلَمْ أَنَّ الْإِلْحَاحَ فِي

الْمَطَالِبِ يَسْلُبُ الْبَهَاءَ وَ يُورِثُ التَّعَبَ وَ الْعَنَاءَ، فَاصْبِرْ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لَكَ بَاباً يَسْهُلُ الدُّخُولُ فِيهِ، فَمَا أَقْرَبَ الصُّنْعَ مِنَ الْمَلْهُوفِ وَ الْأَمْنَ مِنَ الْهَارِبِ الْمَخُوفِ، فَرُبَّمَا كَانَتِ الْغِيَرُ نَوْعاً مِنْ أَدَبِ اللهِ، وَ الْحُظُوظُ مَرَاتِبُ فَلَا تَعْجَلْ عَلَى ثَمَرَةٍ لَمْ تُدْرَكْ- فَإِنَّمَا تَنَالُهَا فِي أَوَانِهَا، واعْلَمْ أَنَّ الْمُدَبِّرَ لَكَ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ الَّذِي يَصْلُحُ حَالُكَ فِيهِ فَثِقْ بِخِيَرَتِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ يَصْلُحْ حَالُكَ، ولَا تَعْجَلْ بِحَوَائِجِكَ قَبْلَ وَقْتِهَا- فَيَضِيقَ قَلْبُكَ وصَدْرُكَ ويَغْشَيَكَ الْقُنُوطُ...)[1]. نلمس من هذا النص كثيراً من المضامين الوعظية والإرشادية الموجهة للذات (النفس)، لقد كان كلامه عليه السلام يمثل مساراً واضحاً يوصل من سار عليه إلى مأمنه ونجاته، ويحصنه مما قد يقع به الفرد نتيجة غفلته وابتعاده عن جادة الصواب، وهي الإيمان بقضاء الله وقدره.

ولذا فقد انطلق الإمام من حقيقة راسخة مفادها أنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وتكفل بكل ما يحيط به في الحياة الدنيا، وقد ابتدأ عليه السلام بمسألة الارزاق لما لها من تأثير على حياة الفرد، فقال: (ارْفَعِ الْمَسْأَلَةَ مَا وَجَدْتَ التَّحَمُّلَ يُمْكِنُكَ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ رِزْقاً جَدِيداً، واعْلَمْ أَنَّ الْإِلْحَاحَ فِي الْمَطَالِبِ يَسْلُبُ الْبَهَاءَ ويُورِثُ التَّعَبَ وَالْعَنَاءَ فَاصْبِرْ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لَكَ بَاباً يَسْهُلُ الدُّخُولُ فِيهِ..)، كلام الإمام عليه السلام يدلُّ على أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وتكفل برزقه (ويقصد بالرزق هنا كل أنواع الرزق المادي والمعنوي)، وعليه وجب أن يحمد الله ويشكره على كل نعمائه وعدم الالحاح في المطالب كونه أعرف بمصالح العباد فقال: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُدَبِّرَ لَكَ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ الَّذِي يَصْلُحُ حَالُكَ فِيهِ فَثِقْ بِخِيَرَتِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ يَصْلُحْ حَالُكَ...).

(١) البرجوردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١٧، ص٢٠، المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج٨، ص٢٩٥.

ثانياً: الموعظة الموجهة إلى الآخرين:

من الأمور التي حثت عليها الشريعة الإسلامية بوصفها أداة لتقويم السلوك في المجتمع الإسلامي هي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وقد وردت مفردتا (المعروف) و(المنكر) في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة: (فكل ما أمر الله ورسوله به فهو معروف، وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر)[1]، ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمجال من مجالات الحياة، بل هو عام وشامل لجميع ما جاء به الإسلام من مفاهيم وقيم وفي كل نواحي الحياة، وقد تمثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جملة من روايات الإمام عليه السلام، وسنقوم باستعراض بعض الروايات التي تتحدث عن الأمر بالمعروف وهي:

١- جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله ـ في حديث ـ قال:

«لقد أوحى الله إلى جبرئيل وأمره أن يخسف ببلد يشتمل على الكفار والفجار، فقال جبرئيل: يا رب اخسف بهم إلا بفلان الزاهد ليعرف ماذا يأمره الله فيه، فقال: اخسف بفلان قبلهم، فسأل ربه فقال: يا رب عرفني لم ذلك وهو زاهد عابد، قال: مكنت له وأقدرته فهو لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، وكان يتوفر على حبهم في غضبي، فقالوا: يا رسول الله، فكيف بنا ونحن لا نقدر على إنكار ما نشاهده من منكركم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، أو ليعمنكم عذاب الله، ثمّ: قال: من رأى منكم منكرا فلينكر بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره»[2]، **تدل هذه الرواية بشكل صريح على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوضحت أن الذي لا**

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٤٨٣.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٣٤ - ١٣٥، تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٤٨٠، ص٣٠٧.

يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر سوف يواجه أشد العقوبات الإلهية.

٢- لقد تصدى الإمام عليه السلام أيضاً إلى (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) بصورة واضحة وجلية من خلال وصيته، بقوله عليه السلام: (أوصيك... بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإنه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس)[١]، واجتناب الفواحش كلها...[٢]».

٣- وهناك العديد من الروايات للإمام الحسن العسكري عليه السلام، والتي تؤكد على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كونه مسؤولية كبيرة؛ لما فيه من تغيير للذات الإنسانية، وتغيير في سلوك الأفراد ومنها ما وجب أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ومنها:

أ- **الصبر**: إن طريق الهداية والإصلاح والرشاد إلى طاعة الله سبحانه طريق طويل ملئ بالمعوقات والعراقيل، فلا بد وأن يتحلى من تبناه بصفة الصبر، ولابد وان يتحمل التكاليف المترتبة عليه، وان يصبر على ردود الافعال الاجتماعية والدوافع النفسية التي تدعوه إلى الراحة والهدوء، فعليه يجب أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر صابراً على طول الطريق، على الرغم من كثرة الصعوبات التي تواجهه، وقد ورد في رواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الحث على الصبر قوله:

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٤.

(٢) القمي، عباس، الأنوار البهية، ص٣٢٠.

الشيخ الصدوق رحمه الله: عن إبراهيم بن مهزيار، قال: فقال [المهدي، الحجّة بن الحسن عليه السلام] لي: مرحباً بك يا أبا إسحاق... إنّ أبي عليه السلام عهد إليّ... فاقتبس يا بنيّ نور الصبر على موارد أمورك، تفز بدرك الصنع في مصادرها، واستشعر العزّ فيما ينوبك تحظّ بما تحمد غبّه إن شاء الله...[١].

ويروى عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: كنت عند مولاي أبي محمد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليه، إذ وردت إليه رقعة من الحبس من بعض مواليه يذكر فيها ثقل الحديد وسوء الحال وتحامل السلطان، وكتب إليه، يا عبد الله إن الله عزَّ وجلَّ يمتحن عباده ليختبر صبرهم، فيثيبهم على ذلك ثواب الصالحين، فعليك بالصبر..)[٢].

ب-**الإحسان**: من الصفات المحمودة التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يؤثر على عواطف الآخرين ومن ثم التأثير على عقولهم وسلوكهم، فالإحسان الذي يرافق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يساعد في شد عقول الآخرين بما يمليه عليهم من نصائح وإرشادات، ويدفعهم إلى مراجعة سلوكهم وإصلاح أنفسهم مقابل الإحسان إليهم، وقد حث الإمام الحسن العسكري عليه السلام على الإحسان إلى الآخرين بقوله عليه السلام: (لو جعلت الدنيا كلّها لقمة واحدة لقّمتها من يعبد الله خالصاً، لرأيت أنّي مقصّر في حقّه. ولو منعت الكافر منها حتّى يموت جوعاً وعطشاً، ثمّ أذقته شربة من الماء لرأيت أنّي قد أسرفت)[٣]، وقوله عليه السلام:(من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطي)[٤].

---

(١) الصدوق، إكمال الدين وإتمام النعمة، ص٤٤٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٣٨.

(٣) موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ج٣، ص٢٨٩.

(٤) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤٢.

ت- **النصيحة**: النصيحة صفة من صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه)[١].

أراد الإمام عليه السلام من خلال توجيهه هذا أن تكون نصيحة المؤمن لأخيه المؤمن سراً، ونبَّه على الواجب الملقى على عاتق المؤمنين تجاه بعضهم بعضاً، وهو واجب النّصيحة، فكلّ مؤمن وجب عليه أن ينصح أخاه المؤمن، بأن يُعرفه عيوبه ونقائصه، وأن يدلّه على ما فيه الخير والصلاح له.

لقد قدَّم الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام من نفسه نموذجا رائعا للنّاصح الرَّفيق والمحبَّب، سواء في أحاديثه وتوجيهاته، أو من خلال سلوكه وحسن تعامله وعلوّ أخلاقه، فقد استطاع أن يبلغ قلوب من كانوا أشدّ النّاس قساوةً وكراهةً له، حيث يُذكر أنه عندما سُجن الامام أبو محمد العسكري عليه السلام دخل العباسيّون على صالح بن وصيف، فقالوا له: (ضيّق عليه ولا توسّع، فقال لهم صالح: ما أصنع به قد وكَّلت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم ثمّ أمر بإحضار الموكَّلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرّجل؟ فقالا: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم اللَّيل كلَّه لا يتكلَّم، ولا يتشاغل بغير العبادة؟ فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلمّا سمع العباسيّون ذلك انصرفوا خائبين)[٢].

وهناك العديد من الروايات التي وردت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها:

---

(١) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٩؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤٢، المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٤.

(٢) المفيد، الإرشاد، ص٣٢٤، الكاشاني، الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، ج٤، ص٣٢٨، موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ٣، ٢٧٩.

روايته عليه السلام في المداراة حيث قال: عليه السلام: (إن مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه)[١].

وجاء في روايات له عليه السلام في التواضع قوله: (من تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين، ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام حقاً).

وقوله عليه السلام في التواضع: (من التواضع السلام على كل من تمر به، والجلوس دون شرف المجلس) [٢]، وقوله عليه السلام: (من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم)[٣].

ومن رواياته عليه السلام الواردة في النهي عن المنكر:

ان ما يصدر عن المعصوم عليه السلام من كلام متضمن (أوامر الله سبحانه وتعالى وتذكير لنواهيه، يحمل الكثير من المضامين، فهي تترك أثراً كبيراً لدى المتلقي وتعطيه الحافز على الاقتداء واستلهام العبر منهم عليهم السلام، وقد ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام العديد من الروايات التي تتحدث عن الأمور التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها في العديد من الآيات القرآنية، وكذلك السنة النبوية الشريفة وروايات المعصومين عليهم السلام والتي تتعلق بالنهي عن المنكر، واجتناب ارتكاب المعاصي والتي منها:

أ- **الروايات التي تتحدث عن الكذب منها قوله عليه السلام في الكذب:** (جُعِلت الخبائث كلها في بيت وجُعِل مفتاحها الكذب)[٤]

فالكذب منشأ لجميع الذنوب: وقد عدَّت الأحاديث الشريفة الكذب مفتاح الذنوب...

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٤٠١، مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٢٦١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٧٥، ص٣٧٢.

(٤) موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ج٣، ص٢٧٩.

أراد الإمام عليه السلام بقوله (وجعل مفتاحها الخبائث) أن يشير إلى أنَّ الكذب من الكبائر.

فالعلاقة بين الكذب وبقية الذنوب تتلخص في كون أنَّ الكاذب لا يتمكن من الصدق؛ لأنه سيكون موجبا لفضحه، فتراه يكذب لتغطية آثار ذنوبه، وإن الكذب يطلق العنان للإنسان للوقوع في الذنوب، والصدق يحده[١]، وأشد أنواع الكذب إثماً ومعصية الكذب على الله سبحان وتعالى وعلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وعلى الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ب- **الروايات التي تتحدث عن النفاق:** قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري[٢] أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده، وإن ابتلي خذله)[٣].

والنفاق انحراف أخلاقي خطير ومن المنكرات في حياة الفرد وفي حياة الأمم فهو يهدم من الداخل، ومن الصعب اكتشافه مما يؤدي إلى نتائج خطيرة وضرر كبير[٤].

لقد بدأ الإمام العسكري عليه السلام موعظته بكلمة (بئس العبد...) وهذا يدلل على امتعاضه عليه السلام من هذه الصفة الذميمة التي إذا اتصف بها الإنسان كان لها تأثير كبير عليه وعلى المجتمع، وقال عليه السلام (... يكون ذا لسانين...) أراد بهما عليه السلام لسان الخير الذي لا ينطق إلا بالخير وبذكر الله عزَّ وجلَّ، ولسان الشر وهو الذي لا ينطق إلّا شراً فلا يذكر الله عزَّ وجلَّ ولا يشكره، ولا يحصد إلا الغيبة والنميمة فيقوم بنشر الفساد

---

(١) ينظر، الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨، ص٣٣٧.

(٢) يطري هنا بمعنى يمدح.

(٣) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ص٤٨٨، القرشي، موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ج٣، ص٢٧٩.

(٤) ينظر، المصدر نفسه، ص٣٨٦.

وانهيار المجتمع.

ب- قوله عليه السلام:(الغضب مفتاح كل شر).

ج- وقوله عليه السلام أيضاً: (أقل الناس راحة الحقود).

ثالثا: مواعظ وارشادات جرت مجرى الحِكَم:

كان للإمام عليه السلام عدد كبير من الوصايا والروايات التي تمتاز بالقصر والكلام المكثف وتحمل عمقاً دلالياً بما تحمله في طياتها الكثير من الحِكَم والمواعظ الإرشادية.

١- ففي وصية له عليه السلام: (أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله، صلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرّجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع النّاس، قيل: هذا شيعيّ، فيسرّني ذلك، اتّقوا الله، وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كلّ مودة، وادفعوا عنا كلّ قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، لنا حقّ في كتاب الله، وقرابة من رسول الله، وتطهير من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلا كذاب، أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصّلاة على النبيّ، فإنّ الصّلاة على رسول الله عشر حسنات. احفظوا ما وصّيتكم به، وأستودعكم الله، وأقرأ عليكم السّلام)[1] بهذه الكلمات، أراد الإمام عليه السلام أن يحدّد صفات المنتمين إلى أهل البيت عليهم السلام، فقال: (أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم) فالتقوى، هو ان لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، أي بمعنى الخوف والخشية من الله سبحانه وتعالى، والورع هو اجتناب عن الحرام والابتعاد عنه، فهو يريد لهم أن يكونوا المتقين والورعين والصادقين والأمناء، وهم يعرفون بكثرة ذكر

(١) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٧؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٢، موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ج٣، ص٣١٥.

الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، وبمحبتهم لرسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

ثم ذكر عليه السلام بقية الصفات بقوله: (فإنّ الرّجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع النّاس، قيل: هذا شيعيّ، فيسرّني ذلك) فالورع وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق، كل هذه الصفات الحسنة حث عليها الدين الإسلامي وأصل لها القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية وحديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وروايات المعصومين عليهم السلام، فسرور الإمام عليه السلام دليل على رضاه عن كل من يتصف بهذه الصفات، ورضاه يعني رضا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ومن ثم رضا الله سبحانه وتعالى وهذا يعني وجب على كل إنسان مسلم عاقل ان يتحلى بهذه الصفات الحميدة، وأن يتخلق بأخلاق الإسلام.

٢- قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

(أورع الناس من وقف عند الشبهة، أعبد الناس من أقام الفرائض، أزهد الناس من ترك الحرام، أشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب)[١]، يدعو الإمام عليه السلام من خلال هذه الحكم القصيرة، والمركزة إلى ترويض النفس وتنشأتها النشأة الصحيحة التي تقوم على أساس القيم والمثل العليا، والتي من خلالها يتم بناء الإنسان السوي.

(١) المجلسي، بحار الأنوار ج٧٥، ص٣٧٣، ح١٨؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤٢.

الخاتمة: نخلص مما تقدم:

إنَّ أهم ما يميز حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، هو أنه على الرغم من حداثة سنه وعمره القصير، وقصر فترة إمامته عليه السلام إلّا إنّه استطاع عليه السلام إكمال المسيرة التي ابتدأ بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمة المعصومين عليهم السلام، فكانت مواعظه وحكمه وإرشاداته امتداداً لمواعظ الرسول صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام، وكان لهذا العطاء الذي وهبه أنواراً لا يعتريها الأفول، فكان كلامه تثبيتاً للسنة الشريفة واتباعاً لها.

كانت للإمام الحسن العسكري عليه السلام العديد من المناقب، ومنها كما ذكرنا أنَّه آخر الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين كانت إمامتهم ظاهرة وانه والد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لذلك، وقد وقع عليه عبء عصر الغيبة لذا وجب عليه أن يرسخ في أذهان الشيعة قضية غيبة الإمام عليه السلام والحفاظ على الدور الرسالي من الإنهيار والضياع.

تعرض عليه السلام إلى أشد أنواع الضغط من قبل الحكومات الجائرة لكنه مع ذلك نهض بهذه المهمة بكل قوة وجدارة واستطاع أنْ يصل إلى محبيه ومناصريه وإيصال الرسائل لهم عن طريق المكاتبات والتواقيع التي كانت تخرج منه عليه السلام.

على الرغم من التضييق والتشديد عليه عليه السلام، إلّا أنه استطاع أنْ يرفد الأمة الإسلامية بالعديد من الروايات التي تحمل أحكاماً فقهية وأموراً وعظية إرشادية في جميع المجالات الدينية والاجتماعية والاقتصادية، المباشرة وغير المباشرة والتي تحمل في مضامينها الوعظ والإرشاد وتأثيرها على الفرد والمجتمع.

تصدى الإمام الحسن العسكري عليه السلام من خلال الوعظ والإرشاد مخاطباً الذات الإنسانية (النفس) بشكل مباشر، ليحث المتلقي على الاقتداء بما يقوله الإمام مما يهيء الأرضية الخصبة لصلاح المجتمع.

تمسك الإمام عليه السلام بمبدأ الحق ولم يرضخ للضغوط التي تعرض لها، ولم يأبه

بالمخاطر التي واجهته في فترة إمامته عليه السلام لينهض بالرسالة التي كلفه الله سبحانه بها.

اتبع الإمام الحسن العسكري عليه السلام في خطبه ورواياته الأساليب المختلفة في الوعظ وإسداء النصيحة منها التذكير والتحذير.

لقد كانت خطب الإمام عليه السلام امتداداً للرسالة الإسلامية ومنهج الرسول صلى الله عليه وآله من خلال تضمينه خطبه عليه السلام أقوال الرسول صلى الله عليه وآله، فكان كلامه تثبيتاً لكلام الرسول صلى الله عليه وآله والسنة النبوية الشريفة.

المصادر والمراجع:

خير ما نبتدئ به: القرآن الكريم

١) ابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المخصص، المتوفي سنة ٤٥٨، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢) ابن شهرآشوب، مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب بن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني (ت٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، التصحيح والشرح والمقابلة، لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الطباعة: محمد كاظم الكتبي، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م، طبع في المطبعة الحيدرية في النجف.

٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم ـ إيران ـ ١٤٠٥ هـ ١٣٦٣ ق.

٤) الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح رحمه الله (ت٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، النشر دار الأضواء بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، حققه وأخرجه حسن الأمين المطبعة: دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

٦) الأميني، الشيخ عبد الحسين أحمد النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، نشره الحاج حسن إيراني صاحب، الناشر، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م.

٧) البحراني، السيد هاشم بن سليمان، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني. الناشر مؤسسة

المعارف الإسلامية. الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ. ق. المطبعة: بهمن.

٨) البروجردي، الحاج آقا حسين الطباطبائي، جامع أحاديث الشيعة، طبع في المطبعة العلمية ـ قم ١٣٩٩ هـ ـ ق.

٩) ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، الناشر: مركز النشر ـ مكتب الإعلام الإسلامي، طباعة وتصحيف، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، تاريخ النشر جمادي الآخرة ١٤٠٤.

١٠) التستري، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مع تعليقات نفيسة مهمة بقلم: فضيلة الأستاذ العلامة آية الله السيد شهاب الدين النجفي (دام ظله)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ـ إيران.

١١) تفسير السمعاني: الشيخ أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (د٠ت)

١٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أ. حمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين.

١٣) حجي، علي خضير، معالم أساسية في علم الرواية، الرافد للمطبوعات، الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.

١٤) الحر العاملي، المحدث الشيخ محمد بن الحسن (١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تصحيح وتحقيق، المحقق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، المطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

١٥) الحراني، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، من أعلام القرن الرابع، عنى بتصحيحه والتعليق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٣٦٣ ـ ش١٤٠٤ ـ ق، النشر، مؤسسة النشر

الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم المشرفة (إيران).

١٦) الحلّي، الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التّبيان، تحقيق السيّد مهدي الرّجائي، إشراف السيّد محمود المرعشي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة قم المقدسة، الطبع: مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، الطبعة: الأولى.

١٧) الخطيب البغدادي، أبو أحمد بن علي، (ت٤٦٣ هـ)، الكفاية في علم الرواية، تحقيق وتعليق الدكتور أحمد عمر هاشم، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

١٨) الخوئي، العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي قدس سره، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، عنى بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل: السيد إبراهيم الميانجي، الطبعة الرابعة، الناشر: منشورات دار الهجرة إيران ـ قم، طبع في المطبعة الإسلامية بطهران.

١٩) الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، المطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

٢٠) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن.

٢١) الراوندي، للفقيه المحدث قطب الدين قدس سره (ت٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.

٢٢) السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، تدريب الراوي، (ت٩١١هـ)، منشورات المكتبة العلمية، المدينة المنورة، دار المعرفة ـ بيروت.

٢٣) الشافعي الصغير، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب

الدين الرملي المتوفى المصري الأنصاري، الشهير (ت١٠٠٤هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

٢٤) الشافعي، الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة ٥٨٢ ـ ٦٥٢، مطالب السؤول مناقب آل الرسول، تحقيق ماجد ابن أحمد العطية

٢٥) الشامي، زين الدين الجبعي العاملي، روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث

٢٦) الشاهرودي، الشيخ علي النمازي قدس سره (ت٤٠٥هـ)، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: نجد المؤلف الحاج الشيخ حسن بن علي النمازي، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٧) الشرواني، حيدر علي بن محمد، مناقب أهل البيت عليهم السلام، من أعلام القرن الثاني عشر، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، المطبعة: مطبعة المنشورات الإسلامية، تاريخ الطبع ١٤١٤هـ.

٢٨) الشيرازي، السيّد علي خان المدنيّ، رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام، المحقّق، فضيلة السيّد محسن الحسينيّ الأميني، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، الطبع، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي.

٢٩) الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

٣٠) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، صححه وعلق عليه على أكبر الغفاري، النشر مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم المشرفة ـ إيران.

٣١) الصدوق، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، صححه وعلق عليه، علي أكبر الغفاري، منشورات، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، في قم المقدسة الطبعة الثانية.

٣٢) الطباطبائي، السيد محمد حسين، الشيعة في الإسلام، ترجمة، جعفر بهاء الدين.

٣٣) الطبرسي، الحاج ميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، محققة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م بيروت

٣٤) العاملي، زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي الشهيد الثاني (٩١١ هـ ـ ٩٦٥ هـ)، الرعاية في علم الدراية، إشراف الأمين العام للمكتبة الدكتور السيد محمود المرعشي، تعليق وتحقيق عبد الحسين محمد علي بقال.

٣٥) العاملي، محمد بن جمال الدين مكي الشهيد الأول، الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة، تحقيق جلال الدين علي الصغير.

٣٦) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، الناشر، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة، الثانية في إيران، تاريخ النشر، ١٤٠٩هـ.

٣٧) الفيض الكاشاني، المولى محسن الكاشاني المعروف (ت١٠٩١هـ)، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الطبع انتشارات إسلامي، الطبعة الثانية.

٣٨) الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن، الوافي، الناشر، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بأصفهان، الطبعة: الأولى.

٣٩) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، تصحيح مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي، مصر.

٤٠) القمي، الشيخ أبو جعفر الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه قده المتوفى سنه٣٨١، عيون أخبار الرضا، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، النشر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان.

٤١) القمي، الشيخ عباس، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، المتوفى ١٣٥٩هـ، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة، الأولى.

٤٢) الكربلائي، الشيخ جواد بن عباس، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، مراجعة محسن الأسدي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م.

٤٣) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٧٨هـ.

٤٤) المازندراني، للمولى محمد صالح (ت١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي، مع تعاليق الميرزا أبي الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٤٥) المجلسي، العلاّمة شيخ الإسلام المولى محمد باقر رحمه الله (ت ١١١١هـ)، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول؛ شرح كتاب الكافي لثقة الإسلام الكليني رحمه الله المتوفى سنة ٣٢٨هـ، الطبعة الثانية.

٤٦) المجلسي، المولى محمد تقي قدس سره ١٠٠٣ / ١٠٧٠، روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، نمقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي پناه الإشتهاردي، الناشر بنياد فرهنك إسلامي حاج محمد حسين كوشانپور.

٤٧) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، (ت١١١١هـ)، الطباعة

والنشر، مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٨) محمد الري شهري، ميزان الحكمة، التحقيق، دار الحديث، الناشر، دار الحديث، المطبعة، دار الحديث، الطبعة، الأولى

٤٩) محمّد رضا، جديدى نژاد، معجم مصطلحات الرجال والدراية، بإشراف، محمّد كاظم رحمان ستايش، الناشر مؤسسة دار الحديث الثقافية جديدى نژاد، محمّد رضا، ١٣٤٨ ـ قم: دار الحديث.

٥٠) محمود عبد الرحمن، عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر ـ القاهرة، الناشر دار الفضيلة، للنشر والتوزيع والتصدير

٥١) المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ)، تحقيق، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث دار المفيد، الطبعة الثانية ١٤١٤ هجرية ـ ١٩٩٣ ميلادية.

٥٢) المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبط أحاديثه، وعلق عليه مصطفى محمد عماره، المطبعة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، بيروت ـ لبنان.

٥٣) منهج النقد في علوم الحديث

٥٤) النجفي، الشيخ هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٥٥) موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: إشراف: السيد محمد الحسيني القزويني با همكارى: محمد الموسوي، عبد الله صالحي، مهدي الإسماعيلي، أبو الفضل الطباطبائي الإشكذري ـ قم: مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، ١٤٢٦ ـ ١٣٨٤.

٥٦) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام المؤلّف: اللجنة العلميّة في مؤسّسة وليّ العصر عليه السلام للدراسات الإسلاميّة، إشراف: سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي، الناشر: مؤسّسة وليّ العصر عليه السلام للدراسات الإسلاميّة ـ قم المشرّفة، الطبعة: الأولى ـ محرم الحرام ١٤٢٤.

٥٧) الهاشمي، عبد الله، الأخلاق والآداب الإسلامية، المطبعة، دار الأضواء للطباعة والنشر، النجف الأشرف.

البحث الرابع والعشرون

وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى شيعته وآثارها العقدية في بناء الشخصية

ـ قراءة موجزة ـ

الدكتور الشيخ عماد الكاظمي

العتبة الكاظمية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله الأئمة الهداة المعصومين.

إنَّ التراث التربوي للنبي وأهل بيته عليهم السلام غزير ومهم جداً، وفي جوانب متعددة، وقد تضمنت الكتب الحديثية والسيرة الشريفة ذلك، وإننا بأمس الحاجة إلى القراءات التربوية العقدية لتراث الأئمة المعصومين عليهم السلام، بعد أنْ تعرضت الأمة إلى هجمات ثقافية مختلفة الاتجاهات، بعيدة عن الثقافة الإسلامية، تحاول كُلُّ واحدة منها أنْ تثبت نجاحها من خلال تجاربها في المجتمع الإسلامي، وهذا من أشد ما تتعرض له الأمة وأبناؤها، وما يستوجِبُ على العلماء والمفكرين والباحثين في مثل هذا الحال من الاهتمام بذلك، والاعتناء به، فضلاً عن الجامعات والمؤسسات والمراكز العلمية؛ لأهمية تحصين المجتمع بالعقيدة الحقة، من خلال الأدلة القائمة على بيانها وإثباتها، فالأمة إن ابتعدت عن تعاليم شريعتها المقدسة فقد وقعت في شِراك المشككين والمنكرين لعظمة التشريع الإسلامي وقدسيته، وسمو تعاليمه التي تحافظ على الفطرة السليمة، وأصبحت تلك التعاليم التربوية الموروثة تراثاً لا حياة له، كغيره من تراث الأمم الذي يُحفظ في المتاحف.

والإمام الحسن العسكري عليه السلام أحد تلك المصادر العظيمة للتربية الإنسانية عامة، والإسلامية خاصة، وهذا ما يمكن للباحثين معرفته من خلال الاطلاع على ما تضمنته سيرته المباركة، وأحاديثه وحكمه ووصاياه، وتعد وصيته إلى شيعته إحدى

روافد المعرفة التربوية التي يحتاجها الإنسان في بناء شخصيته بصورة عامة، وما يتعلق بمفردات العقيدة والتربية الإيمانية بصورة خاصة؛ لما تضمنته من موضوعات متعددة لها أثر في بناء ذاته مع الخالق سبحانه وتعالى من جهة، وفي بناء آثار ذلك البناء للفرد والمجتمع من جهة أخرى، ولأهمية دراستها على وفق المنهج التربوي الإسلامي تم اختيارها مادة أساسيةً لهذا البحث الموجز الذي يسلط الضوء على آثار الإمام الحسن العسكري عليه السلام العقدية بصورة عامة، وليس بالمعنى الخاص المعهود في علم الكلام والذي يقوم على دراسة الأصول الخمسة، حيث لا يخفى أهمية هذه الدراسات وارتباطها ارتباطاً وثيقاً في جانب الحفاظ على الإيمان، والدعوة إليه بالعلم والعمل، وما في ذلك من آثار إيمانية في تكامل الإنسان، تكاملاً تربويّاً إيمانيّاً.

وبعد قراءة تأملية للوصية ومفرداتها المتعددة، ومحاولة تصنيف موضوعاتها، فقد اخترت في هذه الصفحات المتواضعة الجانب العقدي منها، وأثره في التربية الإيمانية، وتم اختيار موضوعات خمسة مهمة في هذا المجال[1]، إذ تم توزيع تلك الموضوعات على مطالب خمسة، بعد مقدمة وتمهيد، ثم خاتمة، حاولت من خلالها بيان ما يتعلق ببناء الذات في رحاب الخالق عزَّ وجلَّ، وأثر بعض الأعمال في ذلك البناء والتكامل الروحي للإنسان، وما يترتب على الشخصية وسلوكها في التعامل مع الله تارة، ومع عباده تارة أخرى، وما في ذلك من آثار للحفاظ على المجتمع من أنواع الانحرافات التي يواجهها الإنسان.

وسيتم بيان ما يتعلق بالبحث اعتماداً على مصدَري التشريع الإسلامي الأساسيين القرآن والسنة الشريفة، ومحاولة الموازنة بينهما وبين ما ورد من موضوعات

(١) إنَّ الموضوعات التي يمكن أنْ تكون مادة للتربية الإيمانية العقدية في الوصية هي عشرة، ولكن لخصوصية شروط المشاركة فقد تم اختيار خمسة منها، عسى التوفيق لإتمامها في بحوث لاحقة، فضلاً عن الموضوعات التربوية الأخرى التي لها علاقة بالفرد تارة، وبالمجتمع تارة أخرى.

في هذه الوصية المباركة، وأرجو أنْ تكون الدراسة الموازنة موفقة في الجمع بين تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام والنصوص القرآنية المباركة، وبين ما ورد من نصوص شريفة عن آبائه (صلوات الله عليهم).

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل إلى الإخوة الأفاضل القائمين على هذا الملتقى العلمي، ولما بذلوه من جهود كريمة من أجل هذا المؤتمر، في توثيق تراث أهل البيت عليهم السلام ونشره بين الباحثين؛ للإفادة منه في دراسات متعددة، وفي جوانب مختلفة، جزاهم الله خير الجزاء.

تمهيد: التربية العقدية وأثرها في بناء الشخصية.

إنَّ الإسلام في تشريعاته قد اعتنى كثيراً بتنظيم حياة الإنسان في الجانب المعنوي والمادي، فكان التشريع قد نظَّمَ جميع ما يحتاجه الإنسان لتكامله في هذين الجانبين، فوضع له نظاماً معرفيًّا لتحصينه من كُلِّ ما يؤدي إلى ضياعه وانحرافه، لإظهار تشريعات النظام الإسلامي في ذلك؛ إذ ترى كثيراً من الآيات المباركة ونصوص السنة الشريفة، قد تضمنت ما يضمن للإنسان الحفاظ على فطرته وعقيدته، فالبناء الصالح والتربية الإيمانية للفرد والأسرة والمجتمع من الضرورات العقلية المهمة لدى البشرية في صلاحها، وقد تضمن ذلك كتابات الفلاسفة والتربوين في هذا المجال، وضرورة تنظيم العلاقة الروحية مع الخالق، والمبدأ للوجود والعطاء، وما في تلك العلاقة من آثار على النفس وصلاحها، فالعقيدة على الرغم من أنها قائمة في الأصل على علاقة المخلوق بخالقه وما يتعلق بذلك، إلا أنَّ لها أثراً كبيراً في صلاح الفرد والمجتمع في جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من جوانب الحياة الأخرى، ولا يمكن للبشرية الوصول إلى سعادتها ما لم تتبع نظاماً كاملاً في جانبيه المعنوي والمادي، وهذا لا يمكن تحقيقه في الأنظمة الوضعية؛ لأنَّ المشرِّع لهذا النظام هو الإنسان ذو النزوات والشهوات والإرادات المختلفة، فضلاً عمَّا يطرأ عليه من تغيير وتبديل في الرؤى والأفكار، وتأثُّرٍ وتأثيرٍ، بينما النظام الإلهي خلاف ذلك تماماً، ويكفي أنه من الخالق الحكيم العارف بحاجة مخلوقاته وما يصلحهم وينفعهم.

يقول المفكر الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره في إحدى كلماته الخالدة في هذا المجال: «إنَّ مشكلةَ العالَمِ التي تملأُ فكرَ الإنسانيةِ اليومَ، وتمسَّ واقعَها بالصميم، هي مشكلةُ النظامِ الاجتماعيِّ، التي تتلخصُ في إعطاءِ أصدقِ إجابةٍ عن السؤالِ الآتي: ما هو النظامُ الذي يصلحُ للإنسانيةِ، وتسعدُ به في حياتِها الاجتماعيةِ؟ ومِنَ الطبيعيِّ أنْ تحتلَّ هذه المشكلةُ مقامَها الخطيرَ، وأنْ تكونَ في تعقيدِها وتنوُّعِ ألوانِ الاجتهادِ في عملِها مصدراً للخطرِ على الإنسانيةِ نفسها؛ لأنَّ النظامَ داخلٌ في حسابِ الحياةِ

الإنسانيةِ، ومؤثِّرٌ في كيانِها الاجتماعيِّ بالصميم، وقد دفعَتْ هذهِ المشكلةُ بالإنسانيةِ في ميادينِها الفكريةِ والسياسيةِ إلى خوضِ جهادٍ طويلٍ، وكفاحٍ حافلٍ بمختلفِ ألوانِ الصراعِ، وبشتى مذاهبِ العقلِ البشريِّ، التي ترمي إلى إقامةِ الصرحِ الاجتماعيِّ وهندستِه، ورسمِ خططِهِ ووضعِ ركائزِه، وكانَ جهاداً مرهقاً يضجُّ بالمآسي والمظالمِ، ويزخرُ بالضحكاتِ والدموعِ، وتقترنُ فيهِ السعادةُ بالشقاءِ».[١]

إنَّ تأكيد الشهيد الصدر على العلاقة بين المشكلة الاجتماعية وشقاء الإنسان الذي يصارع ذلك، إنما هو قائم على قصور النظام الذي تقدمه الفلسفات والأنظمة الوضعية المختلفة، التي تراعي الجانب المادي، وتترك الجانب الآخر المهم في بناء الإنسان وهو الجانب الروحي، الذي أكده النظام الإسلامي، وهذه حقائق لمستها البشرية في تأريخها القديم والحديث، فكم من نظام شرقي أو غربي رأيناه يتحطم وتتلاشى مبادؤه في تحقيق السعادة للإنسان، ولكننا لو حققنا النظر في تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، لرأينا أبلغ صور الكمال والتكامل الفردي والاجتماعي في الجانب العقدي وغيره، لذا يعرِّج الشهيد الصدر بقوله: «فلا بُدَّ إذن من معينٍ آخرَ -غيرَ المفاهيمِ الماديةِ عن الكونِ ـ يستقي منه النظامُ الاجتماعيُّ، ويتبنَّى القضيةَ الإنسانيةَ الكبرى، ويسعى إلى تحقيقِها على قاعدةِ تلكَ المفاهيم، إنَّ هذا الوعيَّ السياسيَّ العميقَ هو رسالةُ الإسلامِ الحقيقية في العالمِ، وأنَّ هذهِ الرسالةَ المنقذةَ لهيَ رسالةُ الإسلامِ الخالدة، التي استمدَّتْ نظامَها الاجتماعيَّ من قاعدةٍ فكريةٍ جديدةٍ للحياةِ والكونِ، وقد أَوْجَدَ الإسلامُ بتلكَ القاعدةِ الفكريةِ النظرةَ الصحيحةَ للإنسانِ إلى حياتِه، فجعلَهُ يؤمنُ بأنَّ حياتَهُ منبثقةٌ عن مبدأ مطلقِ الكمالِ».[٢]

وهذا ما أكده كذلك فلاسفة غربيون آخرون، يشير (سبينوزا) إلى أهمية هذه

(١) الصدر، محمد باقر، المدرسة الإسلامية، ص١١-١٢.

(٢) المصدر نفسه: ص٦٦-٧١.

المعرفة مع اختلاف بسيط، كما يشرح بعض فقرات رؤيته الدكتور (عبد الرحمن بدوي) فيقول: (وأعلى وظائفِ العقلِ هي معرفةُ اللهِ، وأعظمُ خيراتِ العقلِ هو معرفةُ اللهِ، وآكَدُ فضيلةٍ للعقلِ هي معرفةُ اللهِ وذلكَ؛ لأنَّ الإنسانَ لا يستطيعُ أنْ يعقلَ شيئاً أعظمَ من اللامتناهي، وكُلَّما عقلَ اللهَ ازدادَ حُبّهُ له، ومن هذهِ المعرفةِ تنبثقُ لذةَ العقلِ ورضاهُ، واللذَّةُ المصحوبةُ بفكرةِ اللهِ بوصفهِ عِلَّةً سرمديَّةً هي (الحب العقلي لله)، وبالجملةِ فإنَّ حُبَّ اللهِ للناسِ والحبَّ العقليَّ للهِ فهما شيءٌ واحدٌ، ويقرِّرُ أنَّ هذا الحبَّ العقليَّ للهِ هو نجاتُنا وسعادتُنا وحريتُنا»[١]، وغيرها من رؤى لأعلام آخرين[٢].

وعلى أساس ما تقدم إجمالاً فإنَّ العلاقة بين المخلوق والخالق أعظم العلاقات التي تنظم حياة المخلوق عقديّاً وغيره، والوصية المباركة للإمام الحسن العسكري عليه السلام قد تضمنت موضوعات متعددة لها علاقة بالبناء العقدي للشخصية، والبناء التربوي في جوانبه الأخرى، فالعقيدة لها أثر في تهذيب النفس وتربيتها، من خلال الإيمان بالله تعالى، والامتثال لنظامه المتكامل في شرائعه المتوالية، الداعية إلى التفكر بحقيقة هذا الوجود في الحياة الدنيا، والغاية منه، وما يتعلق بما هو بعده في الدار الآخرة، وأهمية العمل في الدنيا بالنسبة لها؛ لذا «العقيدةُ الإسلاميةُ ليسَتْ كعقيدةِ الفلاسفةِ ـ باعتبارها نظرية فكرية تقبع في زوايا الدماغ ـ، بل هي قوةٌ تتحرَّكُ في القلبِ، وتنعكسُ إيجابيّاً على النفسِ والجوارحِ، فيعتنقُ معتنِقُها إلى ميادينِ الجهادِ والعملِ، وعليهِ فقد كانَتْ قوةً فاعلةً ومحرِّكةً، غيَّرَتْ مجرى التأريخِ، وبدَّلَتْ معالمَ الحضارةِ، وأحدثَتْ في حياةِ الإنسانِ الاجتماعيةِ والفكريةِ انقلاباتٍ رائعةً»[٣]، وما صدر عن النبي والأئمة عليهم السلام

---

(١) موسوعة الفلسفة، بدوي، عبد الرحمن، ج١، ص١٤٢.

(٢) ينظر، المصدر نفسه ج١، ص٢٤٩-٢٥٠ ما يتعلق بفلسفة أوغسطين في معرفة الله تعالى.

(٣) ذهبيات، عباس، دور العقيدة في بناء الإنسان، ص٨. ولأجل ترسيخ ذلك فلا بد من خطوات معرفية وعملية متعددة ومن أهمها بيان ضرورة إعادة دور العقيدة في بناء الإنسان المسلم؛ لتتجسد في فكره إيماناً عميقاً، وفي سلوكه عملاً صالحاً وأخلاقاً حميدة. المصدر نفسه ص١٠.

من معارف وسلوك عملي، شاهد على نضوج النظام الإسلامي في التربية العقدية للمؤمنين، والتي يمكنهم من خلالها الوصول إلى سعادتهم.

وهذا ما يحاول الباحث بيانه في هذه الصفحات التي لها ارتباط بعقيدة الإنسان الإيمانية بالله تعالى، من خلال معتقدات وممارسات معينة، قد حددتها تعاليم الشريعة المقدسة، في قراءة موجزة لها، وبيان أهم ما يتعلق بها في هذا البناء العقدي للشخصية، والتي لها آثار متعددة على النفس والسلوك، وإدخال السرور على الإمام العسكري عليه السلام، كما ورد عنه في أنَّ التمسك بهذه الخصال من موارد سروره.

نص وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام لشيعته:

«أُوْصِيْكُمْ **بِتَقْوَى اللهِ، وَالْوَرَعِ فِيْ دِيْنِكُمْ، وَالاجْتِهَادِ لله**، وَصِدْقِ الْحَدِيْثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكُمْ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَطُوْلِ السُّجُوْدِ، وَحُسْنِ الْجُوَارِ، فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، صَلُّوْا فِيْ عَشَائِرِكُمْ، وَاشْهَدُوْا جَنَائِزَهُمْ، وَعُوْدُوْا مَرْضَاهُمْ، وَأَدُّوْا حُقُوْقَهُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرِعَ فِيْ دِيْنِهِ، وَصَدَقَ فِيْ حَدِيْثِهِ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ، قِيْلَ: **هَذَا شِيْعِيٌّ فَيَسُرُّنِيْ ذَلِكَ**، اتَّقُوْا اللهَ، وَكُوْنُوْا زَيْناً، وَلَا تَكُوْنُوْا شَيْناً، جُرُّوْا إِلَيْنَا كُلَّ مَوَدَّةٍ، وَادْفَعُوْا عَنَّا كُلَّ قَبِيْحٍ، فَإِنَّهُ مَا قِيْلَ فِيْنَا مِنْ حُسْنٍ فَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَمَا قِيْلَ فِيْنَا مِنْ سُوْءٍ فَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ، لَنَا حَقٌّ فِيْ كِتَابِ اللهِ، وَقَرَابَةٌ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ، وَتَطْهِيْرٌ مِنَ اللهِ، لَا يَدَّعِيْهِ أَحَدٌ غَيْرُنَا إِلَّا كَذَّابٌ. **أَكْثِرُوْا ذِكْرَ اللهِ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ**، وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، احْفَظُوْا مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ، وَأَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ»[1].

(١) الحراني، الحسن بن شعبة، تحف العقول، ص٣٦١.

المطلب الأول: تقوى الله.

إنَّ التقوى من المفردات المهمة التي لها علاقة وثيقة ببناء عقيدة الإنسان المؤمن، وحقيقة التقوى كما ذكرها الأعلام، هو حفظ النفس وصيانتها عمَّا يؤدي بها إلى الانحراف عامة، وإنَّ تعاريفهم لها توحي إلى ذلك المفهوم عنها إجمالاً، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) في تعريفها: «كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بِغَيْرِهِ. وَاتَّقِ اللهَ تَوَقَّهُ، أَيْ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَالْوِقَايَةِ»(١)، وهذا المعنى اللغوي هو المستفاد كذلك في بيان المصطلح القرآني للتقوى، قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م): «جَعْلُ النَّفْسِ فِيْ وِقَايَةٍ مِمَّا يَخَافُ، وَصَارَ التَّقْوَى فِيْ تَعَارُفِ الشَّرْعِ حِفْظُ النَّفْسِ عَمَّا يُؤْثِمُ، وَيَتُمُّ ذَلِكَ بِتَرْكِ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ. لِمَا رُوِيَ الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الْحِمَى فَحَقِيْقٌ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ»(٢).

والتقوى كانت مورد عناية الشريعة المقدسة في جوانب متعددة، كما هو ظاهر من آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة، وبها يصل العبد إلى مرحلة مهمة من مراحل التكامل في العقيدة، والعلاقة الوثيقة مع الله تعالى، فيكون بها الله مع عبده، قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ**﴾(٣)، وهي سبيل حبه تعالى لعبده، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ**﴾(٤)، وبها يتقبل الله دعاء عبده، قال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ**﴾(٥)، وفي ذلك يقول السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره في بيان ما

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط مادة وقي.

(٢) الراغب، المفردات في غريب القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م ص٥٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٤) سورة التوبة، الآية ٧.

(٥) سورة المائدة، الآية ٢٧.

يتعلق بالتقوى: «وَهِيَ مِنْ أَعْلَى الصِّفَاتِ الَّتِي اعْتَنَى بِهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كَمَا أَنَّهَا مِنْ أَجَلِّ المَقَامَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَرْفَعِهَا، وَالتَّقْوَى تَدُوْرُ مَدَارَ الْإِيْمَانَ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ... وَالتَّقْوَى فَوْقَ الْإِيْمَانِ بِدَرَجَةٍ، وَقَدْ وَرَدَتْ جُمْلَةٌ مِنَ الْأَخْبَارِ فَعَنْ الرِّضَا عليه السلام «الْإِيْمَانُ فَوْقَ الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ، وَالتَّقْوَى فَوْقَ الْإِيْمَانِ بِدَرَجَةٍ، وَالْيَقِيْنُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ، وَمَا قُسِّمَ فِيْ النَّاسِ شَيْءُ أَقَلُّ مِنَ التَّقْوَى»(١).

فالتمسك والوصول إلى هذه المنزلة هو من أهم المطالب القرآنية العظيمة، والأحاديث الشريفة قد أكدت ذلك في كثير من الروايات المباركة، فالتقوى هي شرف الإنسان المؤمن في الدنيا والآخرة كما ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «التَّقْوَى ظَاهِرُهُ شَرَفُ الدُّنْيَا، وَبَاطِنُهُ شَرَفُ الْآخِرَةِ»(٢)، وهي من أعظم أسباب صلاح المؤمنين والحفاظ على العقيدة، حيث قال الإمام علي عليه السلام: «سَبَبُ صَلاحِ الْإِيْمَانِ التَّقْوَى»(٣)، وهي الحصن المنيع للمؤمن في الحفاظ على عقيدته، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمْنَعُ حُصُوْنِ الدِّيْنِ التَّقْوَى»(٤)، وغيرها من الروايات الشريفة الدالة على مقامها وفضلها، بل عُدَّت الوصية بالتقوى من أهم وصايا الأئمة عليهم السلام، فكان مما أوصى به الإمام علي عليه السلام ولده الحسن عليه السلام في وصيته المشهورة: «وَجَدْتُكَ بَعْضِيْ بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّيْ، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِيْ، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِيْ، فَعَنَانِيْ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِيْ مِنْ أَمْرِ نَفْسِيْ فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِيْ، وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ»(٥)، فضلاً عن خير ما ورد عنه في بيان عظيم هذه المنزلة وصفات أصحابها، ما ورد في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في (صفات المتقين)، فإنَّ فيها من المعاني

(١) السبزواري، السيد عبد الأعلى الموسوي، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٦٣.

(٢) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص٦٠.

(٣) الآمدي، عبد الواحد محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٨١.

(٤) المصدر نفسه، ص١١٨.

(٥) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، شرح، محمد عبده، ج٣، ص٤٢.

ما لا تدرك حقيقة وصفه الأقلام[1].

فكُلُّ ما تقدم يؤكد أهمية ما أوصى الإمام الحسن العسكري عليه السلام شيعته بذلك؛ لما فيه من أبلغ الأثر في بناء العقيدة، وإيمان الإنسان بما أعده الله تعالى للمتقين، وما يترتب على ذلك من إيمان وعمل صالح وسلوك مستقيم في المجتمع.

(١) ينظر، نهج البلاغة، ج٢، ص١٨٥. يراجع الخطبة ١٨٨ في «صفات المتقين» والتي أولها، أما بعد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّاً عن طاعته، آمناً من معصيته.

المطلب الثاني: الورع في الدين.

إنَّ الورع في الدين منزلة خاصة مهمة تؤكد عليها الوصية المباركة بعد التقوى، فالإمام عليه السلام يؤكد على السير التكاملي للإنسان في رحاب الله تعالى، والوصول إلى درجات القُرب الإلهي، فالورع أخص من التقوى كما يفهم من خلال تعريفه، فضلاً عن تأكيد الروايات الشريفة عليه، وبيان فضله وآثاره في بناء العقيدة الإيمانية، وفي بيان معنى (الورع)، نرى هناك توافقاً بين المعني اللغوي والاصطلاحي وتقارب ذلك من معنى (التقوى)، أو اشتراكهما من جهة معينة في المعنى، قال الفراهيدي (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م): «الْوَرَعُ: شِدَّةُ التَّحَرُّجِ، وَرَجُلٌ وَرِعٌ مُتَوَرِّعٌ، إِذَا كَانَ مُتَحَرِّجاً»[١]، فالتحرُّج عن المحرمات هو الأساس في التعريف، وهو الذي تناقله الأعلام في مؤلفاتهم، فمثلاً قال ابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) في بيان معنى الورع: «التَّحَرُّجُ، تَوَرَّعَ عَنْ كَذَا أَيْ تَحَرَّجَ، وَالْوَرِعُ بِكَسْرِ الرَّاءْ الرَّجُلُ التَّقِيُّ الْمُتَحَرِّجُ، وَهُوَ وَرِعٌ بَيِّنُ الْوَرَعِ، وَالْوَرَعُ فِيْ الْأَصْلِ الْكَفُّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالتَّحَرُّجُ مِنْهُ»[٢]، وفي الاصطلاح نرى تأثره بالمعنى اللغوي، قال الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م): «هُوَ اجْتِنَابُ الشُّبُهَاتِ خَوْفاً مِنَ الْوُقُوْعِ فِيْ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقِيْلَ: هِيَ مُلَازَمَةُ الْأَعْمَالِ الْجَمِيْلَةِ»[٣]، وقال قلعجي في بيان المراد من الورع: «الابْتِعَادُ عَنِ الْإِثْمِ وَالْمَعَاصِيْ، تَرْكُ الْمَعَاصِيْ وَالابْتِعَادُ عَنِ الشُّبُهَاتِ خَوْفَ الْوُقُوْعِ فِيْ الْحَرَامِ»[٤].

مما تقدم من تعريفات نرى مدى التوافق بين مصطلحي (التقوى والورع) والتأكيد على التحرُّج وكفِّ النفس عن المحرمات، وهذا ما دعا بعض العلماء إلى الجمع بينهما في التعريف، فقال الدكتور أحمد فتح الله: «الوَرَعُ» التَّقْوَى، التُّقَى، تَرْكُ

(١) ابن أحمد، الخليل، العين، مادة ورع.

(٢) ابن مكرَّم، محمد، لسان العرب، مادة ورع.

(٣) ابن محمد، علي، التعريفات، ص٢٥٢.

(٤) رواس، محمد، معجم لغة الفقهاء، ص٥٠١.

الْمَعَاصِيْ وَالابْتِعَادُ عَنِ الشُّبُهَاتِ خَوْفَ الْوُقُوْعِ فِيْ الْحَرَامِ»[١]، وإنَّ هذا التأكيد على بيان المعنى الحقيقي للورع، لأجل بيان الحد الفاصل بين التقوى والورع، وأهمية إفرادهما في الروايات الشريفة، فضلاً عمَّا عند الأعلام، ولكن عند الرجوع إلى ألفاظ الروايات التي تضمنت الحديث عن مقام الورع في تهذيب النفس الإنسانية سنرى أنها أخص من التقوى من جانب معيَّن، وهو اجتناب الشبهة وعدم ارتكابها، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «الْوَرِعُ الَّذِيْ يَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ»[٢]، ففي الحديث بيان المعنى الدقيق للورع وهو ما يدور أمره حول الشبهات، وقد أكد ذلك ما ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «لا وَرَعَ كَالْوُقُوْفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ»[٣]، فمن خلال هذين الحديثين وغيرهما يمكن الوصول إلى تعريف حقيقي للورع.

إنَّ تتبع الأحاديث الشريفة، وكلمات الأعلام حول مصطلح (الورع) يبيِّن لنا معرفة مدى تأكيد الأئمة عليهم السلام على هذه المنزلة، التي توصل الإنسان إلى مقامات عظيمة وخاصة عند الله تعالى[٤]، وما سيترتب على السلوك الإنساني عند التحلي بهذه الفضيلة، فالورع من أفضل الوصايا التي وردت عنهم في مناسبات مختلفة، ومنزلته عظيمة، ولا ينالها الإنسان إلا بالعمل الجاد الدؤوب، والمراقبة الشديدة للنفس.

وفي بيان مقام الورع ومنزلته قال النبي صلى الله عليه وآله: «أَفْضَلُ دِيْنِكُمُ الْوَرَعُ»[٥] ففيه بيان

---

(١) فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ص٤٤٣.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٨، ص٣٥١٠.

(٣) الرضي، نهج البلاغة ج٣، ص١٧٧.

(٤) إنَّ الروايات الواردة في بيان فضل ومقام الورع فهي كثيرة جدّاً، فقد أكدت على أنَّ الورع سيد العمل، وملاك الدين، ورأس الدين، وخير الدين، وأفضل الدين، وخير القرين، وأفضل اللباس، ومصباح النجاح، وسبب صلاح الدين، وسبب صلاح النفس، ومصباح النجاح، وغيرها. ينظر، ميزان الحكمة ٨/ ٣٥٠٨-٣٥١١.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١، ص١٦٧.

الأفضلية بالنسبة للأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، وقال الإمام علي عليه السلام: «عَلَيْكَ بِالْوَرَعِ فَإِنَّهُ خَيْرُ صِيَانَةٍ»(١)، فالحديث واضح البيان في مدى عظمة الورع في معرفة حقيقة أحكام دين الله تعالى، والتمسك بتعاليمه، وقوله عليه السلام في وصية أخرى: «عَلَيْكَ بِالْوَرَعِ فَإِنَّهُ عَوْنُ الدِّيْنِ، وَشِيْمَةُ الْمُخْلِصِيْنَ»(٢).

فتأكيد الإمام العسكري عليه السلام على التمسك بالورع لأجل ما تقدم من المقام العظيم، وأثره في بناء العقيدة والدعوة إلى الله تعالى، والتمسك بتعاليم الشريعة المقدسة، وأهمية تمسك شيعتهم بذلك؛ للوصول إلى الدرجات الرفيعة عند الله، تأكيداً لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بِالْوَرَعِ، فَإِنَّهُ لا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِالْوَرَعِ»(٣)، بل تأكيد لهم ـ الشيعة ـ على الورع كثيراً؛ لما عليهم من مسؤولية كبيرة في المجتمع وصلاحه، والدعوة إلى أهل البيت عليهم السلام، وتعريفهم بمقامهم وفضلهم على سواهم من خلال العلم والعمل، كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله لخيثمة: «أَبْلِغْ مَوَالِيْنَا السَّلَامَ عَنَّا، وَأَوْصِهِمْ بِتَقْوَى اللهِ الْعَظِيْمِ .... وَلَنْ يَنَالُوْا وِلَايَتَنَا إِلَّا بِوَرَعٍ»(٤)، فالورع شرط قبول ولاية الأئمة عليهم السلام، وأنَّ ولايتهم هي ولاية الله تعالى، وفي ذلك بيان حقيقي لمدى أثر الورع في العقيدة والإيمان بالله عزَّ وجلَّ.

---

(١) الآمدي، غرر الحكم، ص٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص١١٦.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار ج٦٧، ص٢٩٧.

المطلب الثالث: الإكثار من ذكر الله تعالى.

إنَّ ذكر الله تعالى هو إحياء للنفس عن غفلتها التي قد تطرأ عليها أحياناً، لأسباب مختلفة عامة تمرُّ على الإنسان، ولمَّا كان الله تعالى مصدر العطاء والحياة الحقيقية، فالذكر الحقيقي له هو استمداد للحياة الحقيقية للقلوب، والقلوب إذا كانت حية عامرة بذكره، كان له أثر كبير على العقيدة والسلوك.

قال الراغب الأصفهاني في بيان ما يتعلق بالذكر وأنواعه: «الذِّكْرُ تَارَةً يُقَالُ وَيُرَادُ بِهِ هَيْئَةً لِلنَّفْسِ بِهَا يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَظَ مَا يَقْتَنِيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَهُوَ كَالْحِفْظِ .... وَتَارَةً يُقَالُ لِحُضُوْرِ الشَّيْءِ الْقَلْبَ أَوِ الْقَوْلَ؛ وَلِذَلِكَ قِيْلَ: الذِّكْرُ ذِكْرَانُ: ذِكْرٌ بِالْقَلْبِ، وَذِكْرٌ بِاللِّسَانِ .... مِنَ الذِّكْرِ بِاللِّسَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ**﴾[٢]، وَمِنَ الذِّكْرِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ مَعاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَاذْكُرُوْا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً**﴾[٣]، وقوله: ﴿**فَاذْكُرُوْا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوْهُ كَمَا هَدَاكُمْ**﴾[٤]» [٥].

إنَّ الذكر بنوعيه المتقدمين اللساني والقلبي، له أثر في إيمان الإنسان وتعلقه بخالقه وأثر ذلك على عقيدته، بوجود خالق منعم مصدر العطاء، وذكره يؤدي إلى استذكار وجوده وعطائه الدال على خالقيته، وعبودية من سواه المفتقر إليه، والمؤمن عليه في سيره التكاملي النفسي ألَّا يُشغل مطلقاً عن وجود الخالق، وظهور آثاره في كُلِّ شيء من الموجودات، فهذا الانشغال عن الذكر الحقيقي الذي يؤدي إلى التفكر

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٥٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٠٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٨.

(٥) الراغب، مفردات غريب القرآن، ص١٨٦.

والتأمل في الخالق ومخلوقاته، يؤدي إلى غفلته عن الخالق المنعم المستحق للعبودية والشكر تارة، أو اللجوء إلى الأسباب المادية المجردة عن المسبب، وفي ذاك من الشرك الخفي تارة أخرى، فيكون للشيطان وجود في تفكيره وأعماله، وهذه أخطر من المرحلة السابقة، وقد حذر القرآن الكريم منها بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌ**﴾[١]، فالعشو يدل على ظلام وقِلَّة وضوح في الشيء، ثم يفرَّع منه ما يقاربه من التخبُّط في الظلام[٢]، فهذه الغفلة عن ذكر الله تعالى تجعل له قريناً من شياطين الجن أو الإنس، أو مصاديقهما كالانحراف العقدي، والابتعاد عن تعاليم الشريعة المقدسة بنكرانه وكفره بوجوب التمسك بها، أو الشك فيها، وغيرهما، قال السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) في بيان ما يتعلق بابتعاد العبد عن ذكر الله تعالى وآثاره: «أَيْ مَنْ تَعَامَى عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْأَعْشَى جِئْنَا إِلَيْهِ بِشَيْطَانٍ، وَإِضَافَةُ الذِّكْرِ إِلَى الرَّحْمَنِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ رَحْمَةٌ، وقوله: ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌ﴾ أَيْ مُصَاحِبٌ لَا يُفَارِقُهُ .... فَإِنَّ الْإِنْسَانَ بِطَبْعِهِ الْأَوَّلِيِّ مَفْطُوْرٌ عَلَى الْمَيْلِ إِلَى الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ، ثُمَّ إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ تِبَاعاً لِلْهَوَى وَدَامَ عَلَيْهِ، طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ وَأَعْمَى بَصَرَهُ، وَقَيَّضَ لَهُ الْقَرِيْنَ، فَلَمْ يَرَ الْحَقَّ الَّذِيْ تَرَاءَى لَهُ» [٣].

فالذي يكون الذكر غائباً عن حياته أو معرضاً عنه، فإنه يعيش حياة الذل والهوان، والافتقار إلى الراحة النفسية التي تعيش مع فطرته، وقد أشار الخالق إلى خطورة ذلك وآثاره، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِيْ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[٤]، فالآية جلية في أنَّ المراد بالذكر هو التأمل والتفكر في

(١) سورة الزخرف، الآية ٣٦

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة عشو.

(٣) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص١٠٣.

(٤) سورة طه، الآية ١٢٤.

الله تعالى، وما يتعلق به، وليس ذكره باللسان فقط فنقوم بتسبيحه وتهليله وتكبيره، بل المقصود هو التوجه القلبي له وإدراك علمه، وبأنه الحاضر والناظر، وهذا التوجه هو مبدأ الحركة والعمل والجهاد والسعي نحو الخير وهذا سدٌّ منيعٌ عن الذنوب [١].

إذاً فليس المراد بالذكر كما يفهمه بعضٌ أنه مجردُ أذكارٍ ترد على اللسان، بل هو أعمق من ذلك وأدق، إنما هو ذكره تعالى في كُلِّ أحواله، حيث لا يرى شيء إلا ويرى الله تعالى فيه موجوداً حاضراً، فلا يغيب الله تعالى عنه آناً فيكون العبد بين يديه دائماً، وتحت رعايته أبداً، الذكر الذي له أثر بليغ على القلب، فتكون الحياة الحقيقية للقلب إنما بوجوده تعالى فيه، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوْبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ**﴾[٢]، فاطمئنان القلب من كُلِّ انحراف واضطراب، إنما يكون حصراً بذكر الله تعالى في جوانبه المختلفة، ومما قاله المفسرون في ذلك «لكِنَّ الظَّاهِرَ أَنْ يَكُوْنَ الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ أَعَمَّ مِنَ الذِّكْرِ اللَّفْظِيِّ، وَأَعْنِيْ بِهِ مُطْلَقُ انْتِقَالِ الذِّهْنِ وَالْخُطُوْرِ بِالْبَالِ، سَوَاءٌ كَانَ بِمُشَاهَدَةِ آيَةٍ، أَوْ الْعُثُوْرِ عَلَى حُجَّةٍ، أَوِ اسْتِمَاعِ كَلِمَةٍ، وَمِنَ الشَّاهِدِ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَهُ: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ فَإِنَّهُ كَضَرْبِ الْقَاعِدَةِ، يَشْمَلُ كُلَّ ذِكْرٍ سَوَاءٌ كَانَ لفظيّاً أَوْ غَيْرَهُ، وَسَوَاءٌ كَانَ قُرْآناً أَوْ غَيْرَهُ، وَفِيْهِ تَنْبِيْهٌ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَوَجَّهُوْا إِلَيْهِ، وَيُرِيْحُوْا قُلُوْبَهُمْ بِذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا هَمَّ لِلْإِنْسَانِ فِيْ حَيَاتِهِ إِلَّا الْفَوْزُ بِالسَّعَادَةِ وَالنِّعْمَةِ، وَلَا خَوْفٌ لَهُ إِلَّا مِنْ أَنْ تَغْتَالَهُ الشِّقْوَةُ وَالنِّقْمَةُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ السَّبَبُ الْوَحِيْدُ الَّذِيْ بِيَدِهِ زِمَامُ الْخَيْرِ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ»[٣].

والروايات الشريفة قد أكدت ما تقدم من معانٍ عظيمة، لها علاقة بحياة القلوب بذكر الله عزَّ وجلَّ، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ذِكْرُ اللهِ

(١) ينظر، الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٧، ص٢٩٣.

(٢) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٣) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ص٣٥٧-٣٥٨.

جَلَاءُ الصُّدُوْرِ، وَطَمَأْنِيْنَةُ الْقُلُوْبِ»[١]، وفيه إشارة بينة إلى علاقة صلاح القلب بذكر الله وما فيه من آثار مباركة على القلب من جهة، وعلى سلوك الإنسان من جهة أخرى، وهناك أحاديث أخرى متعددة تتعلق بحياة القلب بذكره تعالى[٢]، ونختم ذلك بما أوصى النبي صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام حيث يقول: «يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ لَا تُطِيْقُهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ: الْمُوَاسَاةُ لِلْأَخِ فِيْ مَالِهِ، وَإِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِهِ، وَذِكْرُ اللهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَيْسَ هُوَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَكِنْ إِذَا وَرَدَ عَلَى مَا يُحَرَّمُ عَلَيْهِ خَافَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ وُتَرَكَهُ»[٣] وفي الحديث تمام بيان المراد من الذكر في أعظم مصاديقه وآثار ذلك.

فمن خلال هذه الفقرة المباركة لوصية الإمام العسكري عليه السلام وتأكيده على الإكثار من ذكر الله تعالى، يمكننا معرفة بعد ما تقدم أنَّ للذكر أثراً عظيماً في تكامل الإنسان وتربيته العقدية تجاه الله تعالى، والوصول إلى مقامات رفيعة، فضلاً عن آثار ذلك في سلوكه الفردي والاجتماعي، فعلينا أنْ نكون من الذاكرين المخبتين إليه، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِيْنَ * الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِيْنَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيْمِيْ الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ**﴾[٤]، ومن الخاشعين لذكره المهتدين إلى رضوانه، كما قال تعالى في الثناء عليهم: ﴿**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيْثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُوْدُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِيْ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[٥]، وأنْ نحذر نهيه

---

(١) غرر الحكم، ص٢٠٨.

(٢) وقد فصلت الحديث عن أثر عمارة القلب بذكر الله تعالى، والأحاديث التي لها علاقة وثيقة بذلك. ينظر، الكاظمي، عماد، الملامح التربوية في نهج البلاغة، معالم الفكر، ص٣٣-٣٥.

(٣) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، الخصال، ص١٢٥.

(٤) سورة الحج، الآيتان ٣٤- ٣٥.

(٥) سورة الزمر، الآية ٢٣.

تعالى في الإعراض عن ذكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَ﴾[1].

(١) سورة المنافقون، الآية ٩.

المطلب الرابع: الاجتهاد لله تعالى.

إنَّ مصطلح الاجتهاد وما يتعلق به، قد ورد كثيراً في تعاليم الشريعة المقدسة من خلال النصوص القرآنية والروائية، ومقام المتصفين به، وآثاره على الإنسان عقديّاً وتربويّاً، وما يحتاجه المؤمن من بذل جهود كبيرة من أجل الوصول إلى تلك الغايات العظيمة، وهذا ما أكدته كلمات الأعلام في بيان المراد من الاجتهاد.

قال الفراهيدي: «الْجَهْدُ مَا جَهَدَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ أَمْرٍ شَاقٍّ فَهُوَ مَجْهُوْدٌ، والْجُهْدُ: شَيْءٌ قَلِيْلٌ يَعِيْشُ بِهِ الْمُقِلُّ عَلَى جَهْدِ الْعَيْشِ. وَالْجَهْدُ: بُلُوْغُكَ غَايَةَ الْأَمْرِ الَّذِيْ لَا تَأْلُوْ عَنِ الْجُهْدِ فِيْهِ، تَقُوْلُ: جَهَدْتُ جَهْدِيْ، وَاجْتَهَدْتُ رَأْيِيْ وَنَفْسِيْ حَتَّى بَلَغْتُ مَجْهُوْدِيْ. وَجَهَدْتُ فُلَاناً: بَلَغْتُ مَشَقَّتَهُ، وَأَجْهَدْتُهُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ كَذَا»[1]، فالتعريف اللغوي يبيِّن ما يجب أنْ يبذله الإنسان من أجل القيام بما أمره الله تعالى، في جهاده لنفسه والوصول إلى تلك المقامات الرفيعة، وهذا ما يؤكده الأعلام المختصون بذلك، قال الراغب الأصفهاني: «الْجُهْدُ وَالْجَهْدُ الطَّاقَةُ وَالْمَشَقَّةُ. وَقِيْلَ: الْجَهْدُ بِالْفَتْحِ الْمَشَقَّةُ، وَالْجُهْدُ الْوَاسِعُ. وَقِيْلَ: الْجُهْدُ لِلْإِنْسَانِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِيْنَ لَا يَجِدُوْنَ إِلَّا جُهْدَهُمْ**﴾[2] .... وَالْاجْتِهَادُ أَخْذُ النَّفْسِ بِبَذْلِ الطَّاقَةِ وَتَحَمُّلُ الْمَشَقَّةِ. يُقَالُ: جَهَدْتُ رَأْيِيْ وَأَجْهَدْتُهُ أَتْعَبْتُهُ بِالْفِكْرِ، وَالْجِهَادُ وَالْمُجَاهَدَةُ اسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ فِيْ مُدَافَعَةِ الْعَدُوِّ»[3]، فعند التأمل في قول الراغب لتعريفه الجهد، نرى مدى التطابق بين ما ذكره وما تقدم من قول الفراهيدي، وفي ذلك دلالة على أنَّ الاجتهاد والجهد يدور حول المشقة التي يبذلها الإنسان من أجل الوصول في تكامله، والجهاد والمجاهدة والتغلب على عدوه الظاهر والباطن، لذلك نرى أنَّ الراغب يقسم الجهاد على أقسام ثلاثة، إذ

---

(١) العين مادة جهد. وقال مثل ذلك ابن فارس مادة جهد.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٩.

(٣) الراغب، مفردات غريب القرآن ص١٠٦، وينظر، مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، ج٣، ص٣٠.

يقول: «وَالْجِهَادُ ثَلَاثَةُ أَضْرُبٍ: مُجَاهَدَةُ الْعَدُوِّ الظَّاهِرِ، وَمُجَاهَدَةُ الشَّيْطَانِ، وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ، وَتَدْخُلُ ثَلَاثَتُهَا فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾[١] ﴿**وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾[٢] ﴿**انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾[٣]، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ: «جَاهِدُوْا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تُجَاهِدُوْنَ أَعْدَاءَكُمْ»، وَالْمُجَاهَدَةُ تَكُوْنُ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، قَالَ صلى الله عليه وآله: «جَاهِدُوْا الْكُفَّارَ بِأَيْدِيْكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»[٤].

إنَّ تأكيد وصايا وروايات النبي والأئمة عليهم السلام حول الاجتهاد لله تعالى، ومنها هذه الوصية المباركة للإمام الحسن العسكري عليه السلام، فبذل الجهد والعمل المتواصل يؤكد مدى الاستعداد الذي يجب أنْ يكون فيه الإنسان تجاه تعاليم الله تعالى، وإيثار ذلك على طاعة النفس، وفيه يكمن الجهاد الأكبر للنفس، ومما لا يخفى عند التفكر والتدبر فيما تقدم فإنه –حقيقة– لا يكون الإنسان مجتهداً إلا إذا كان مراقباً لنفسه، مجاهداً لهواه عن حب الدنيا ولذاتها وهواها، قال تعالى بعد أقسام متعددة في بيان ذلك وتأكيده، والحث على الآثار العظيمة لذلك: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[٥]، فجهاد النفس من أعظم الأعمال التي لها أثر في التربية العقدية والأخلاقية الفردية والاجتماعية.

ومن الآيات المباركة التي أكدت أهمية المجاهدة والاجتهاد في التكامل الإيماني قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ**﴾[٦]، وقد

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٤) مفردات غريب القرآن، ص١٠٦.

(٥) سورة الشمس، الآيات ٧-١٠.

(٦) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

بيَّن المفسرون أبعاد تلك المجاهدة وعلاقتها بالهداية عامة، قال الشيخ الطبرسي: «أَيْ جَاهَدُوْا الْكُفَّارَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِنَا، وَطَاعَةً لَنَا، وَجَاهَدُوْا أَنْفُسَهُمْ فِيْ هَوَاهَا خَوْفاً مِنَّا، وَقِيْلَ: مَعْنَاهُ اجْتَهَدُوْا فِيْ عِبَادَتِنَا رَغْبَةً فِيْ ثَوَابِنَا، وَرَهْبَةً فِيْ عِقَابِنَا، ﴿**لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ أَيْ لَنَهْدِيَنَّهُمْ السُّبُلَ الْمُوصِلَةَ إِلَى ثَوَابِنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَ قِيْلَ: لَنُوَفِّقَنَّهُمْ لِازْدِيَادِ الطَّاعَاتِ فَيَزْدَادُ ثَوَابُهُمْ .... ﴿**وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ**﴾ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ فِيْ دُنْيَاهُمْ، وَالثَّوَابِ وَالْمَغْفِرَةِ فِيْ عُقْبَاهُمْ وَبِاللهِ التَّوْفِيْقُ» [١]، وهذا ما ذكره السيد محمد حسين الطباطبائي عند تفسيره لهذه الآية المباركة بعد بيانه لجزء من كلام الراغب الأصفهاني وتقسيماته الثلاثة المتقدمة للجهاد، فيقول: «وَقَوْلُهُ: ﴿**جَاهَدُوْا فِيْنَا**﴾ أَيْ اسْتَقَرَّ جِهَادُهُمْ فِيْنَا، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ كِنَائِيَّةٌ عَنْ كَوْنِ جُهْدُهُ مَبْذُوْلاً فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَعَالَى مِن اعْتِقَادِ عَمَلٍ، فَلَا يَنْصَرِفُ عَنِ الْإِيْمَانِ بِهِ، وَالْائْتِمَارِ بِأَوَامِرِهِ، وَالانْتِهَاءِ عَنْ نَوَاهِيْهِ بِصَارِفٍ يَصْرِفُهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿**لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ سُبُلاً وَهِيَ أَيّاً مَا كَانَتْ تَنْتَهِيْ إِلَيْهِ تَعَالَى، فَإِنَّمَا السَّبِيْلُ سَبِيْلٌ لِتَأْدِيَتِهِ إِلَى ذِيْ السَّبِيْلِ وَهُوَ غَايَتُهَا، فَسُبُلُهُ هِيَ الطُّرُقُ الْمُقَرِّبَةُ مِنْهُ، وَالْهَادِيَةُ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَ إِذْ كَانَتْ نَفْسُ الْمُجَاهَدَةِ مِنَ الْهِدَايَةِ كَانَتِ الْهِدَايَةُ إِلَى السُّبُلِ هِدَايَةٌ عَلَى هِدَايَةٍ، فَتَنْطَبِقُ عَلَى مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾[٢] .... وَقَوْلُهُ: ﴿**وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ**﴾ قِيْلَ: أَيْ مَعِيَّةُ النُّصْرَةِ وَالْمَعُونَةِ، وَتَقَدَّمَ الْجِهَادُ الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِمَا قَرِينَةٌ قَوِيَتْ عَلَى إِرَادَةِ ذَلِكَ» [٣].

وأما ما أكدته الروايات الشريفة في بيان عظمة الاجتهاد وبذل الوسع في محاسبة النفس وترويضها، فهي كثيرة ونقتصر على بعض منها لبيان آثارها المعرفية والعملية في التربية العقدية، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله في بذل الإنسان وسعه لمحاسبة نفسه ومجاهدتها في إيثار طاعة الله تعالى على طاعة النفس وهواها، قال: «حَاسِبُوْا أَنْفُسَكُمْ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن، ج٨، ص٤١.

(٢) سورة محمد، الآية ١٧.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص١٥٦-١٥٧.

قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْا، وَزِنُوْهَا قَبْلَ أَنْ تُوْزَنُوْا، وَتَجَهَّزُوْا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ»[١]، فالحديث واضح الدلالة في بيان آثار تلك المحاسبة على العقيدة، والإيمان بأهمية العمل الصالح في الدنيا وآثاره، فضلاً عن مقام ذلك في المعاد، وعرض الأعمال على الله تعالى، فالعلاقة واضحة وثيقة بين العمل والاعتقاد بآثاره، وما في هذه الثنائية من ارتباط وثيق لا يمكن الانفكاك بينهما عقديّاً، ومما يروى عن الإمام علي عليه السلام في بيان الأبعاد الكبيرة للجد والاجتهاد في طاعة الله تعالى، والتقرب إليه بمجاهدة النفس والعمل الصالح قوله: «طَاعَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ لا يَحُوْزُهَا إِلَّا مَنْ بَذَلَ الْجِدَّ، وَاسْتَفْرَغَ الْجُهْدَ»[٢]، وحديثه عليه السلام فيه بيان جلي لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيْهِ**﴾[٣]، فالكدح هو السعي و العناء وجهد النفس في العمل، وترتيب الملاقاة على الكدح فيه بيان غاية هذا السير والسعي والعناء وهو الله سبحانه [٤]، فالاجتهاد يحتاج إلى معرفة وجهاد دائم ومراقبة للنفس وعدم الغفلة عنها، أو الوقوع في الشبهات بارتكابها فضلاً عن المحرمات كما تقدم في الورع؛ إذ بينهما علاقة كما في بعض الروايات فعن الإمام الصادق عليه السلام قوله في بيان هذه العلاقة، وأهمية الورع: «لَا يَنْفَعُ اجْتِهَادٌ لا وَرَعَ فِيْهِ»[٥].

فإذاً إنَّ تضمين وصية الإمام العسكري عليه السلام للاجتهاد لله تعالى، لما في ذلك من سبيل الهداية والابتعاد عن المحرمات، والاستعداد للقاء الله تعالى، وأثر ذلك على ارتباط المؤمن بالله سبحانه، وأثر هذا الارتباط بالعمل الصالح.

---

(١) العاملي، محمد بن الحسن الحر، وسائل الشيعة، ج١٦، ص٨٣.

(٢) ميزان الحكمة ج١، ص٤٥٨.

(٣) سورة الانشقاق، الآية ٦.

(٤) ينظر، الميزان في تفسير القرآن ج٢٠، ص٢٧٠.

(٥) الكافي، ج٢، ص١١٦.

المطلب الخامس: الإكثار من ذكر الموت.

إنَّ استذكار الموت من الموضوعات المهمة التي لها أعظم الأثر في عقيدة الإنسان، وعلاقة ذلك بيوم المعاد، ووقوف الخلائق بين يدي الله تعالى للحساب، والموت من الحقائق التي لا يمكن للإنسان أنْ ينكرها، مهما كانت عقيدته، فالواقع قد أثبت وجود هذه الحقيقة بأبلغ صورها، ووصية الإمام العسكري عليه السلام تتجلى في أمرين مهمين، أحدهما استذكار الموت ابتداء وعدم الغفلة عنه، والأخرى الإكثار من ذكره، ومما لا يخفى أنَّ الإكثار من ذكر الشيء وحضوره لديه لا يكون إلا بعد تحقق موضوعات مهمة، منها: معرفته، والإيمان به، ومحبته، وعلى أساس ذلك يكون الانتظار والشوق لتحققه والتعلق به.

فمثلاً عند تطبيق ما تقدم من هذه الخطوات الثلاث على إحدى اللذات الدنيوية كالمال والنساء والجاه وغيرها بتفاوت فيما بينها في الرغبات نحوها، ولكن يغلب على طبيعة النفس الإنسانية الرغبات الواضحة نحو ما ذكر من الأمثلة، وعلى أساسها تكون المغريات التي يحاول الشيطان من خلالها التأثير على الإنسان ومحاولة سيطرة تلك الشهوات والرغبات على النفس الإنسانية، قال تعالى في بيان هذه الحقيقة: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[1]، فكُلُّ إنسان يمكنه اختبار نفسه على أساس الخطوات الثلاث (المعرفة، والإيمان، والمحبة)، ليرى مدى التعلُّق والشوق نحو أي رغبة من تلك الرغبات، وهكذا الأمر في غير تلك الرغبات في رغبات أخرى يعتني بها الإنسان ويدور حولها لأجل الوصول إلى غايتها.

فعلى أساس ذلك وعند تطبيق تلك الخطوات على الموت يمكن للإنسان

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤.

المؤمن أنْ يرى مدى شوقه وتعلقه بالموت، وفي الحقيقة هناك بون كبير بين المثال الأخير والأمثلة المتقدمة، حيث الإقبال على الأول والإدبار عن الآخر، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في آيات متعددة، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيْكُمْ**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوْا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾(٢)، فهذه الحقيقة العامة عند الإنسان التي يعرضها القرآن الكريم بسبب تعلقه بالأسباب المادية التي يعيش في محيطها، وعدم اليقين أو الإيمان على الأقل بما وراء هذا العالم، ونصوص الشريعة المقدسة حاولت بيان ضعف تلك العلاقات المادية التي يعيش الإنسان منغمساً فيها، وبيان عظمة ما وراء هذا العالم وهو عالم الآخرة، وأثر هذه المعرفة في الاستعداد ليوم المعاد حيث الجزاء الأوفى لأعماله التي يقوم بها في الدنيا، وعلى مدى عقيدة الإنسان بذلك وإيمانه يكون لذكر الموت تأثير في التربية الإيمانية والأخلاقية عليه؛ لما في ذلك العالَم من خلود عظيم للإنسان المؤمن، وهذا ما أكده القرآن الكريم في بيان حال الشهداء عند الله تعالى، فالشهداء لم يضحُّوا بأرواحهم في سبيل الله إلا وقد آمنوا بتلك الخطوات الثلاث المتقدمة، فكان ذلك العشق لله تعالى وما أعده لهم، حيث قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ * فَرِحِيْنَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُوْنَ بِالَّذِيْنَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُوْنَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ**﴾(٣).

فالتربية العقدية تجعل الإنسان يبحث عن محبة الله تعالى، ويترجم ذلك من خلال سيرته، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِيْنَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلهِ**﴾(٤)، والوصول إلى المعرفة

(١) سورة الجمعة، الآية ٨.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٨.

(٣) سورة آل عمران، الآيات ١٦٩-١٧١.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٦٥.

الحقيقية القائمة على أنَّ الموت هو انتقال من عالم زائل إلى عالم خالد، وليس انعداماً للحياة، بل انتقال إلى عالم أعده الله تعالى لعباده وهو أعظم مما كان في الدنيا، حيث قال تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[١]، فذكر المفسرون في بيان المراد بـ﴿**الْحَيَوَانُ**﴾، إنها الحياة الحقيقة الدائمة الباقية التي لا زوال لها ولا موت فيها، والحياة التي لا تنغيص فيها ولا تكدير [٢].

وعلى هذا فإنَّ وصية الإمام العسكري عليه السلام في الإكثار من ذكر الموت لأجل الوصول إلى حقيقة أنَّ الدار الآخرة هي الدار الحقيقية التي يجب العمل لها، والاستعداد للقائها استعداد العاشق للمعشوق، وفي هذا الأمر هناك وصايا للأئمة عليهم السلام في ذلك، حيث ورد في الأمر نفسه في وصية أمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام قوله فيما يتعلق بقلب المؤمن: «وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ»[٣]، فذكر الموت ومحاولة تذليل الإنسان نفسه بذكره لأجل استذكار النهاية الحتمية لكُلِّ مخلوقٍ؛ لئلا يُصاب ذلك القلب بالغرور والانخداع، ولكن مع اعترافه بالموت وتذلله بذكره دائماً فإنه سوف لا ينخدع، بل يضل مشغولاً بذلك المصير المحتوم، الذي سينقله من هذا العالم الضيق المحدود إلى عالَمٍ لا يمكن للعقل الإنساني أنْ يدرك حقيقته، فالإنسانُ يحتاج دائماً إلى أنْ يتفكَّر في هذه الحقيقة التي تبين خاتمة وجوده ليكون على يقينٍ في أعماله وتفكيره، وما في ذلك من أثر بليغ على صلاح الأعمال في الدنيا.

والسنة الشريفة قد أكدت أهمية ذكر الموت، وما يتعلق به من خلال روايات متعددة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله ما يتعلق بالآثار العملية المباركة للموت قوله: «أَفْضَلُ الزُّهْدِ فِيْ الدُّنْيَا ذِكْرُ المَوْتِ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ ذِكْرُ المَوْتِ، وَأَفْضَلُ التَّفَكُّرِ ذِكْرُ

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٨، ص٤٠.

(٣) نهج البلاغة، ج٣، ص٤٤.

المَوْتِ، فَمَنْ أَثْقَلَهُ ذِكْرُ المَوْتِ وَجَدَ قَبْرَهُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»[١]، وفي الحديث بيان جلي في بيان عظمة ذكر الموت على تربية الإنسان وتكامله، فثمار ذلك الذكر هو (الزهد، والعبادة، والتفكير، والاطمئنان)، وهذه كلها نتائج كبيرة نحتاجها في حياتنا جميعاً، وقال صلى الله عليه وآله في بيان أهمية ذكر الموت المتمثلة بتخفيف شدة الموت على صاحبه: «أَكْثِرُوْا ذِكْرَ المَوْتِ، فَمَا مِنْ عَبْدٍ أَكْثَرَ ذِكْرَهُ إِلَّا أَحْيَى اللهُ قَلْبَهُ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ المَوْتَ»[٢]، فحياة القلوب إنما تكون باستذكار الموت وعدم الغفلة عنه، من خلال الاستعداد للآخرة والعمل الصالح، والإقبال على الآخرة والزهد في الدنيا، والكفاف منها بما يطيق، وعدم الركون إليها، قال الإمام علي عليه السلام: «مَنْ أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا بالكفاف»[٣].

إذاً فذكر الموت له دور في إحياء القلب، والتفكير، والزهد، والعمل الصالح، كما أكدت عليه الروايات، وهذا ما يبغيه الإمام عليه السلام من وصيته؛ لما في ذلك من الآثار الكبيرة الظاهرة والباطنة؛ فضلاً عن العقيدة بيوم القيامة وما يتعلق به.

وبختام هذه الفقرة المباركة لوصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام،

نختم بحثنا الموجز عن هذه الوصية الخالدة التي تضمنت موضوعات

متعددة، ولكن هذا ما استطعت بيانه في صفحات هذا البحث

المتواضع، أملاً أنْ أوفَّق لإتمام ما يتعلق بها في بحوث

قادمة إنْ شاء الله تعالى

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص١٣٧.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٧، ٢٩٦٥.

(٣) الآمدي، غرر الحكم، ص٣٣٣.

الخاتمة والتوصيات:

- إنَّ تراث الأئمة عليهم السلام تراث عظيم له آثار كبيرة على الإنسان في جوانبه المتعددة والمختلفة، الفردية والاجتماعية، ونصوصه حيوية خالدة، يمكن لكُلِّ إنسان رؤية ذلك من خلال فطرته السليمة؛ لعلاقة قدسية تلك النصوص بسلامة الفطرة.

- إنَّ الروايات الشريفة الواردة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد تضمنت جوانب إنسانية وإسلامية متعددة، انبثقت نصوصها من القرآن الكريم، وما ورد عن آبائه عليهم السلام.

- لقد تضمنت الوصية المباركة للإمام الحسن العسكري عليه السلام مفردات عظيمة، لا يمكن معرفة أبعاد آثارها الأخروية والدنيوية، والفردية والمجتمعية إلا من خلال دراستها، وتحليل مفرداتها، وما يتعلق بعلاقتها بنصوص القرآن الكريم؛ لأنهم عِدل القرآن وترجمانه.

- حاول الباحث أنْ تكون قراءة الوصية قراءة قرآنية لبيان أهمية المنهج المتبع، ووحدة المنهج بين كتاب الله تعالى والأئمة عليهم السلام، وما في ذلك من بيان عظمة هذا التراث الذي يجب تسليط الضوء عليه من جوانبه المشرقة المتعددة، فضلاً عن الدراسات النفسية والاجتماعية، وبيان أهمية ما خلَّفه المعصومون للأمة من إرث حضاري وتربوي.

- يوصي الباحث بأهمية جمع الروايات العقائدية بالمعنى الخاص والعام الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وطباعتها مستقلة بعنوان التراث العقدي للأئمة عليهم السلام، وكذلك التربوي والأخلاقي، كما هو المنهج في الموسوعات الفقهية.

- يوصي الباحث بضرورة تضمين المناهج الدراسية للمراحل المتعددة تراث الأئمة عليهم السلام، وتعريف الجيل بهذه الوصايا المباركة التي لها أبلغ الأثر في بناء الفرد والمجتمع، وترسيخ مبادىء الشخصية الإسلامية، من خلال مراسلة الوزارات

المعنية بتوصيات المؤتمر.

- أهمية ترجمة مجموعة من روايات الإمامين العسكريين عليهما السلام إلى اللغات الأجنبية والتي تتضمن المعاني الإنسانية، لدعوة البشرية نحو هذه التراث الإنساني، وتوحيدهم ضمن حدود المبادىء الإنسانية السامية العامة ابتداءً؛ فضلاً عن تعريفهم بخلفاء الله تعالى في أرضه.

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.

١. ابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم، لسان العرب، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ).

٢. الأصفهاني (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، مفردات غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٨م).

٣. الآمدي، أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، غرر الحكم ودرر الكلم، تدقيق: عبد الحسن دهيني، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م).

٤. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، (مط سليمان زاده، قم، ط١، ١٤٢٧هـ).

٥. ابن زكريا (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، د.ط).

٦. الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، (ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م)، تصحيح: مجموعة من العلماء، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٧. الحراني (ق ٤هـ)، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة تحف العقول، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

٨. ذهبيات، عباس، دور العقيدة في بناء الإنسان، (مط ستاره، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ).

٩. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث (مط دار الحديث، قم،

ط٢، ١٤١٦هـ).

١٠. السبزواري (ت١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، عبد الأعلى الموسوي، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، (مط الديواني، بغداد، ط٣، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

١١. الصدر (١٤٠٠/ ١٩٨٠م)، محمد باقر، المدرسة الإسلامية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١٢. الصدوق (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه، الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (منشورات جماعة المدرسين، قم، د.ط، د.ت).

١٣. الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ١٩٨٢م)، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

١٤. الطبرسي (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، أبو علي الفضل بن الحسن مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء والمحققين، تق: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

١٥. الطريحي (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)، الشيخ فخر الدين، مجمع البحرين، (مط طراوت، طهران، ط٢، ١٣٦٢هـ).

١٦. العاملي (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م)، محمد بن الحسن الحر، وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مط ستارة، قم، ط٣، ١٤١٦هـ).

١٧. فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، (مط المدوخل، الدمام، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

١٨. الفراهيدي (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تصحيح: أسعد الطيِّب، (مط أسوة،

قم، ط٢، ١٤٢٥هـ).

١٩. قلعجي، محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، (دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٢٠. الكاظمي، عماد، الملامح التربوية في نهج البلاغة، (معالم الفكر، بيروت، ط١، ٢٠١٢م).

٢١. الكليني، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)، الكافي، تصحيح و تعليق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ).

٢٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، (ت١١١٠هـ/ ١٦٩٨م)، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م).

٢٣. محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) نهج البلاغة: شرح: محمد عبده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت).

٢٤. مكارم الشيرازي، الشيخ ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

٢٥. الواسطي (ت ق٦هـ)، كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، (مط دار الحديث، قم، ط١، ١٣٧٦ش).

البحث الخامس والعشرون

البعد العقائدي لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام ودوره في ترسيخ مفاهيم الوحدة الإسلامية

أ.م.د. محمد حسين عبود

جامعة كربلاء

كلية العلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا وحبيبنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

يشكل هاجس الوحدة الإسلامية محورية مهمة في الفكر الإسلامي، تناولها القرآن الكريم والسنة الشريفة في طائفة واسعة من الآيات والروايات، كشفت عن أهميتها ـ الوحدة ـ ومكانتها في حفظ بيضة الإسلام وصيانة حريمة، وقد شخصت الشريعة أسباب الوحدة وحددت الدواعي التي أمرت المسلمين باتباعها والاعتصام بها، وهما القرآن الكريم الثقل الأكبر الذي أمرنا الله بالتمسك به، وأهل البيت عليهم السلام الثقل الأصغر.

إن من أهم ما يميّز ديننا الإسلامي الحنيف من دون سائر الأديان ـ مضافاً إلى كونه خاتم الأديان ـ هو تلك الحيوية التي تتمتع بها أحكامه المباركة، التي أوكل المولى سبحانه أمر رعايتها وحماية شرع الله الحنيف، إلى أهل البيت عليهم السلام خلفاء رسول الرحمة صلى الله عليه وآله بنص القرآن وتصريح السنة.

والحق فإنه في الوقت الذي أناط به الباري جلّ شأنه مهمة حفظ الدين إلى أهل بيته، فقد جعلهم قطب الرحى في وحدة المسلمين وعز الإسلام، وهو ما يفسر لنا تواتر الروايات وكثرة طرقها الحاكمة، بضرورة اتباع أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وعدم مخالفتهم؛ لأنهم الأمان لتحقق الوحدة والضمان في صون حدود الشريعة.

لقد جعل الباري سبحانه أفئدة الناس تهوي إلى تلك الذوات الطاهرة،

التي أفنت أعمارها من أجل حياة الدين وسعادة المسلمين، وتلوذ بقبورهم الطاهرة وتتقرب إلى الله بزيارتها ونوال البركات والرحمات في فنائها.

من هنا اختار الباحث واحداً من المراقد الطاهرة لأئمة الهدى عليهم السلام، وهو مرقد الإمام العسكري عليه السلام، مسلطا الضوء على البعد العقائدي لهذا المرقد الطاهر، وأثره في ترسيخ مفاهيم الوحدة الإسلامية بين المسلمين.

وقد استلزمت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين، تناول المبحث الأول، مكانة الإمامين العسكريين عليهما السلام عند المسلمين، وقد انفرط عقده في مطلبين تناول المطلب الأول: دور الاعتصام بأهل البيت عليهم السلام في توطيد معاني الوحدة بين المسلمين، فيما تكلف المطلب الثاني: بمكانة الإمامين العسكريين عليهما السلام عند المسلمين.

أما المبحث الثاني، فقد كان في الدور الفكري لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في ترسيخ معاني الوحدة الإسلامية، وقد انقسم على مطالب ثلاثة، المطلب الأول: شعيرة الزيارة المباركة في المنظور الإسلامي، فيما كان المطلب الثاني: في المكانة العلمية لسامراء، أما المطلب الثالث: فقد خاض هاجس الوحدة ودوره في درء الفتنة، ثم نتائج البحث فمصادره، داعياً المولى سبحانه التوفيق العاجل لي ولكل الباحثين المشاركين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وأصحابه المخلصين.

المبحث الأول، مكانة الإمامين العسكريين عليهما السلام عند المسلمين

وقد انتظم في مطلبين،

المطلب الأول: دور الاعتصام بأهل البيت عليهم السلام في توطيد معاني الوحدة بين المسلمين.

لم يكن الهجران المتعمد ـ من قبل الأمة ـ لأهل البيت عليهم السلام وتجريدهم من السلطة التنفيذية، والحؤول بينهم وبين ممارسة حقهم الإلهي في قيادة الأمة وإدارة شؤونها، ليؤثر على مكانتهم التي خصتهم بها السماء ويزحزحها من النفوس، ومما زاد في تعلق الناس بهم واتجاه العواطف نحوهم وتعلق القلوب بحبهم، هو تلك المظلومية التي لحقت بهم جراء التهميش والمحاربة لهم ولأتباعهم، ولاحقتهم تحت كل حجر ومدر، وليت الأمر انتهى عند هذا الحد، بل إن حكام بني أمية ومن بعدهم بنو العباس تمعنوا في عدائهم، فراحوا يشنون الحرب الشعواء ليس على كل من والى أهل بيت محمد فحسب، بل من روى شيئاً من فضائلهم، إذ يحدثنا المؤرخون أن معاوية كتب نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة، أن برئت الذمة ممن روى شيئا في فضل أبي تراب وأهل بيته[1]، وكيفما يكن الأمر فإن مكانة أهل البيت ظلت راسخة في نفوس المسلمين، وبقيت سبباً مهماً من أسباب الوحدة بين المسلمين على الرغم من تنحيهم وإقصائهم منذ الأيام الأولى لرحيل المصطفى صلى الله عليه وآله، فهم أهل بيت الوحي وحملة العلم ورعاة الحق وعدلاء القرآن، وهم مثل ما وصفهم النبي صلى الله عليه وآله بقوله ـ كما ينقل الحاكم النيسابوري وغيره في حديث صحيح ـ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»، ولا يخال المتمعن لخطاب النبي صلى الله عليه وآله أن هناك أبلغ وأوضح

(١) ينظر، مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤.

وأوفر بيان منه في وجوب اتباع عترته وعدم مخالفتهم، وأنه صلى الله عليه وآله قد ألزم المسلمين الدليل وأقام عليهم الحجة إن هم انحرفوا عن ولاية أهل البيت عليهم السلام.

من هنا ترى المسلمين عبر التأريخ ـ على مختلف طبقاتهم ـ يلوذون بالمعصوم إذا داهمتهم الخطوب، وانقطعت دونهم السبل، فقد اشتهر عن عمر بن الخطاب قوله في أكثر من موقف في حق علي عليه السلام: « لولا علي لهلك عمر»(١)، وقول عثمان بن عفان كذلك: «لولا علي لهلك عثمان»(٢).

والحق إن رجوع عمر وعثمان لأمير المؤمنين عليه السلام مع كونهم خلفاء المسلمين، نابعة من احتياجهم واعترافهم الصريح بمكانته عليه السلام، ولا غرو في ذلك فقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي»(٣)، وقوله صلى الله عليه وآله: «علي مع القرآن والقرآن مع علي»(٤)، وقوله صلى الله عليه وآله: «أقضاكم علي»(٥)، وعندما هرع الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام لمبايعته، بعد مقتل عثمان بن عفان ـ حسب ما نقله الطبري(ت٣١٠هـ) في تأريخه ـ أخبرهم بأن لا يفعلوا، وذلك حين (أتاه أصحاب النبي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا إن هذا الرجل قد قُتل ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله)(٦)، وهو ما يعكس عمق معرفة الناس بأمير المؤمنين عليه السلام وعظيم تمسكهم به، ولم يكن أمام أهل العراق من سبيل للخلاص من جور بني أمية وظلمهم، سوى مكاتبة الإمام الحسين عليه السلام، ليحكم فيهم بحكم الله، وما كان أمام السبط الشهيد إلا ليلبي، ويضحي بروحه وأرواح أهل بيته وأصحابه

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١، ص١٨، الأيجي، المواقف، ج٣، ص٦٢٧، وغيرهم.

(٢) الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ج٨، ص١٨٩.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٧، ص٢٣٥.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٨، ص٣٥، وغيره كثير.

(٥) الأيجي، المواقف، ج٣، ص٦٢٧، وغيره كثير.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٥٠.

في أرض كربلاء، إعلاء لكلمة الله، وكلما تقادم الدهر كلما تجذرت محبة أهل البيت في الأفكار واستقرت في العقول.

خلاصة القول إنَّ الاعتصام بالله متوقف على الاعتصام بأهل بيته عليهم السلام، فقد نقل الحاكم الحسكاني، «من أحب أن يركب سفينة النجاة ويتمسك بالعروة الوثقى يعتصم بحبل الله المتين، فليوال علياً وليأتم بالهداة من ولده»[١]؛ لذا فليس ثمة سبيل أمام الأمة، إن هي رامت المجد وسعت إلى العلياء ـ إلا بوحدة الصف وجمع الكلمة ورأب الصدع، ولا يمكن لتلك المعاني أن تتحقق مالم تنطلق من حرم أهل البيت عليهم السلام، فالتعلق بهم أساس المجد ورأس الوحدة والسبب المتصل بين الأرض والسماء.

المطلب الثاني، مكانة الإمامين العسكريين عليهما السلام عند علماء المسلمين.

لقد حاول أئمة الجور وفقهاء الضلالة تحريف المراد من الإمامة، وخلعها عن أهلها، بيْد أن الآيات اللائحة والروايات الواضحة تصرّح بتلبسها ـ الإمامة ـ بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله دون غيرهم، كونهم المعصومين الذين وقع عليهم النص، ومنهم الإمامان العسكريان عليهما السلام، اللذان بلغت روحاهما من الشأو العالي والاستعداد النفسي، ما جعلها أهلاً لحمل الأمانة الربانية في قيادة الأمة، وحفْظ تعاليم الدين وأحكام الشريعة من الضياع، وسيقف البحث على طائفة من الروايات الحديثية والتقييمات الرجالية لطائفة من علماء الفريقين، إذ يترحم الذهبي(ت٧٤٨هـ) على الإمامين العسكريين عليهما السلام، ويصف الإمام الهادي عليه السلام بقوله: «وكذلك ولده الملقب بالهادي شريف جليل)[٢]، وكذا ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ) الذي ترحم أيضاً على الإمامين العسكريين عليهما السلام[٣] وذكر بعضاً ممن روي عن الإمام الهادي عليه السلام.

---

(١) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج١، ص١٦٨.

(٢) الذهبي، سير أعلام الذهبي، ج١٣، ص١٢١.

(٣) العسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، ج٢، ص٢٥٨.

فيما يذكر ابن الصباغ المالكي (ت٨٥٥هـ) أنه عندما حُبس المطر عن الناس أيام المعتمد العباسي أمرهم بالخروج إلى الاستسقاء ثلاثة أيام، فلم يُسقوا، وعندما خرج النصارى، غيّمت السماء وأمطرت، فشك بعض الناس وارتد آخرون، فلم يكن أمام المعتمد إلا أن يلوذ بالإمام الحسن العسكري عليه السلام قائلاً: (أدرك أمة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يهلكوا)[1].

والحق أن هذه الرواية تكشف عن أمريين، الأول، المقام العرفاني والروحي والشرعي الذي يتمتع به الإمام عليه السلام في الوسط الإسلامي، والثاني حاجة الأمة إلى إمكانات الإمام عليه السلام وعلمه، وهو ما يبين بالتالي استحقاقه للإمامة من جانب، ووجوب رجوع الأمة إليه من جانب آخر.

أ.م.د. محمد حسين عبود

(١) يروي الواقعة بتمامها ابن الصباغ المالكي والقندوزي الحنفي. ينظر، ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص٦٨١، القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، ج٣، ص١٣٠.

المبحث الثاني، الأثر الفكري لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في ترسيخ معاني الوحدة الإسلامية

وينتظم في مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: شعيرة الزيارة المباركة في المنظور الإسلامي.

إن من أعظم أنواع التعظيم والتكريم التي كافأ بها المولى سبحانه وتعالى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، جزاء لهم لما لاقوه في سبيل نشْر شرعه المقدس، هو ذلك الذكر الدائم والولاء المستمر في قلوب المسلمين ـ عبر التأريخ ـ، فأودع جل شأنه حب عترة نبيه صلى الله عليه وآله في نفوس الناس، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، ليقدموا فروض الطاعة والولاء لهم، من خلال الوقوف على مراقدهم المقدسة، والانغماس في تلك المعاني الملكوتية التي ترجمتها نصوص الزيارات المباركة، التي أوصى بها أهل البيت عليهم السلام.

من هنا فقد تضافرت الروايات من الفريقين الدالة على استحباب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من ولده عليهم السلام، فقد أورد الدارقطني(ت٣٥٨هـ) في سننه، وغيره ما يؤيد هذا المعنى، إذ يروي عن حاطب قائلاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»[١]، بل روى الطبراني في معجمه الأوسط(ت٣٦٠هـ) عن عبد الله بن عمر عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «من زارني في المنام فكأنما زارني في اليقظة»[٢].

أما الروايات التي تؤكد استحباب زيارة أمير المؤمنين وسيد الشهداء عليهما السلام فهي لا تعد كثرة ولا تحصى عدداً، لعل منها: «أن من زار أمير المؤمنين عليه السلام كان له الجنة»[٣]، وروي: «أن من زار الحسين عليه السلام مُحّصت ذنوبه كما يُمّحص الثوب الماء،

---

(١) العسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، ج٦، ص١٨١.

(٢) الطبراني، ج١، ص١٩٢.

(٣) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ج١، ص٢٩١.

ويُكتب له بكل خطوة حجة، وكلما رفع قدمه عمرة»[١].

ورُوي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «من زار الحسين بن علي عليهما السلام عارفا بحقه كان من محدثي الله تعالى فوق عرشه، ثم قرأ ﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾، وكذلك ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أُخلصه من أهوالها إذا تطايرت الكتب يمينا وشمالا، وعند الصراط، وعند الميزان»[٢].

ولا يخفى ما في الوعد الذي قطعه الإمام الرضا عليه السلام لزائريه بتخليصهم من أشد أهوال الآخرة ـ وهو الصادق المصدق ـ من ترغيب مرّكز في زيارة قبره الشريف، بل وتحفيزه على زيارة قبور سائر أئمة الهدى عليهم السلام؛ لنوال المطلب نفسه؛ لأنهم جميعاً أبواب رحمة الله ورضوانه.

وأما بخصوص زيارة المرقد[٣] الطاهر للإمامين العسكريين عليهما السلام اللذين ينتميان إلى تلك الدوحة المحمدية الطاهرة، فقد ورد عن الإمام العسكري عليه السلام قوله لأبي هاشم الجعفري: «قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين»[٤]، وقد ورد على لسان الفقهاء أن لزيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام أوقاتاً مختصة هي أفضل وأنسب من غيرها كيوم ولادة الإمام الهادي وولادة الإمام العسكري، أو يوم وفاتهما عليهما السلام[٥].

---

(١) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ج١، ص٢٩١.

(٢) الصدوق، كتاب الخصال، ص١٦٨.

(٣) الذي يضم في كنفه الجثامين الطاهرة للإمامين الإمام الحسن العسكري عليه السلام ووالده الإمام علي الهادي عليه السلام ابن الإمام الجواد عليه السلام ابن الإمام الرضا عليه السلام ابن الإمام الكاظم عليه السلام ابن الإمام الصادق عليه السلام ابن الإمام الباقر عليه السلام ابن الإمام السجاد عليه السلام ابن الإمام الحسين عليه السلام ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن السيدة الزهراء عليها السلام بنت الرسول صلى الله عليه وآله.

(٤) الصدوق، كتاب الخصال، ص١٦٨.

(٥) ولد الإمام العسكري عليه السلام يوم الثلاثاء النصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومئتين في

والواقع أنَّ الأئمة عليهم السلام يُضاف إلى حثهم المتكرر على زيارة قبورهم الطاهرة، فقد وضعوا السنن والآداب الفقهية والأخلاقية والاجتماعية التي أرادوا من خلالها إبراز الوجه المشرق للشيعة والتشيع، وإيصال الرسالة السماوية إلى كل الأجيال التي فاتها أن تكون حاضرة في ساحة المعصوم عليه السلام، ثم إنَّ سنن الزيارات تبعث في النفوس أسباب التعلق بالله، وتستنقذها من براثن البعد عن ملكوته سبحانه بما تحتوي في طياتها من أنواع الأدعية العرفانية والروحية، التي لا يمكن عدها إلا دواء ناجعاً لكل العاهات والآهات التي تضطرم بها النفس البشرية، مضافاً إلى كل ذلك فإن من شأن تلك المراقد المقدسة أن تكون مصدراً من مصادر الإشعاع الفكري والوحدوي بين أطياف المسلمين، وموطناً مهماً من مواطن الأمان للأمة.

ولا يخفى ما في قول الإمام العسكري عليه السلام: «أمان لأهل الجانبين» من تصريح بيّن عن المكانة السماوية والموقع الروحي، الذي جعل من قبره ملاذاً آمناً لكل من يعيش بفنائه من أهل سامراء، التي تشرفت بأن جعلها الله مثوى قبره الطاهر، ولقد كان للوجود المبارك للقبور الطاهرة في تلك المدينة، دورٌ كبيرٌ عبر الأزمان في تقريب الأفكار والنفوس بين طوائف المسلمين، لا سيما أن أغلب ساكنيها من غير المنتمين إلى مدرسة أهل البيت، ومما زاد في شرف هذه المدينة هو احتضانها لولادة ولي الله الأعظم أمل المستضعفين في الأرض الإمام الثاني عشر عليه السلام أبي القاسم الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف عام(٢٥٥هـ)، حتى غيبته الكبرى عام(٣٢٩هـ).

ومن نافلة القول إن لوجود المراقد المقدسة في سامراء، السبب الأكبر في الانتعاش التجاري لتلك المنطقة، وذلك بسبب توافد ملايين الزوار ومن مختلف دول العالم في كل عام، كما أن الاحتكاك الاجتماعي الناتج عن تلك الزيارات المباركة، والتلاقح الفكري المتمثل بالحوزة العلمية التي اتخذت من سامراء مركزاً لها لفترة من

مدينة جده صلى الله عليه وآله، واستشهد في سر من رأى سنة أربع وخمسين ومئتين. ظ، الفتال النيسابوري، ص٢٤٦.

الزمن ـ كما سيأتي ـ ، كان له دورٌ مهمٌ في تقريب وجهات النظر بين الشيعة وغيرهم من أبناء المذاهب الأخرى، وتوحيد الرؤى والأهداف، وغير ذلك من الخيرات التي ترشحت عن الحضور المقدس لتلك المشاهد المشرفة في سامراء.

المطلب الثاني: المكانة العلمية لسامراء:

لقد كان القرن الرابع الهجري قرن انبعاث الحضارة الإسلامية بعامة، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام بخاصة، وقد حظيت النجف الأشرف بنصيب وافر من تلك النهضة، وذلك حين قدم إليها الشيخ الطوسي وحط رحاله في رحابها عام (٤٤٩هـ)[١]، ووضع فيها اللبنات الأولى لحوزة النجف الأشرف، وانشغل في سبيل تحقيق ذلك حتى وفاته عام (٤٦٠هـ)، وبقيت مدينة أمير المؤمنين عليه السلام حاضنة العلم والعلماء شامخة معطاء حتى عام (١٢٩١هـ) حين انتقلت مرجعيتها إلى سامراء في عهد المجدد الميرزا حسن الشيرازي، والذي كان المرجع الأكبر آنذاك، وقد هاجر معه جم غفير من تلامذته وأصحابه، فكانت سامراء شرعة الوارد وبغية القاصد، وأصبحت مكتظة بطلاب العلم الذين يؤمونها من كل حدب وصوب.

ويمكن القول إن من أهم الأسباب التي دعت السيد الشيرازي إلى التوجه إلى سامراء، واتخاذها مركزاً للحوزة العلمية هو سعيه إلى وحدة الكلمة في سامراء[٢]، وهو ما يُنبئ عن معايشته الواعية لوضع العالم الإسلامي آنذاك، والذي كان يَئِنُّ تحت وطأة الاستعمار، واحساسه العميق بضرورة مواجهته من خلال الوحدة والتآلف بين أبناء الإسلام.

والحق إن السيد الشيرازي واجه خطط الاستعمار في السيطرة على مقدرات

(١) ينظر، الشاكري، حسين(معاصر)، الكشكول، ص٧٥.

(٢) بحر العلوم، محمد صادق(معاصر)، الإمام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف، المقدمة ١٧.

المسلمين وتفريقهم على نحوين نظري وعملي، أما النظري فكان بالفتوى، ويكفينا في المقام فتواه الشهيرة بتحريم التنباك[١]، التي ألزمت بريطانيا العظمى بفسخ تعاقدها مع إيران، وما نتج عن ذلك من خسارتها الكبرى.

وأما النحو العملي فهو ما نقله تلميذه السيد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ) حين هاجم بعض العوام من أبناء سامراء دار السيد الشيرازي لغرض زرع الفتنة بين المسلمين، فتجاوب صدى الفتنة في آفاق العراق وإيران، وجلجل في العالم الإسلامي غضباً جامحاً على وجه أثار نهم الطامعين في العراق من دول الاستعمار، ووجدوا في ذلك فرصة سانحة للعب على وتر الطائفية، فاتخذت بريطانيا سبيل التزلف للسيد الشيرازي وكسب وده، وأسرعت إلى إرسال سفيرها إلى سامراء، ليطرق أبوابه بكل خضوع، حاملاً من دولته رسالة الإطاعة لأوامره على أي وجه شاء، غير إنَّ فطنة السيد وحيطته على وحدة المسلمين وحرصه على مصلحة الإسلام، حالت دون تحقيق المآرب فرد سفيرها خاسراً خائباً.

ومما تجدر الإشارة إليه في المقام أن المراجع الشيعية ـ على الدوام ـ كان دأبهم الحفاظ على النسيج الاجتماعي الإسلامي، ما وسعهم الأمر، وقد كان لهم موقفٌ تأريخي في الأحداث التي تلت عام (٢٠٠٣) ـ كما سيتبين ـ حين سعت المنظمات التكفيرية إلى إدخال العراق في إتون الحرب الأهلية، من خلال التفجير الطائفي للمرقد الطاهر للإمامين العسكريين عليهما السلام.

(١) ينظر، الصدر، حسن (ت١٣٥٤هـ)، تكملة أمل الآمل، تحقيق أحمد الحسيني، «١٤٠٦هـ)، مطبعة الخيام ــ قم، ٢١.

المطلب الثالث: هاجس الوحدة ودوره في درء الفتنة

مع ما كانت تختزنه السنوات ـ التي أعقبت (٢٠٠٣م) ـ من آلام وآهات ومخاوف من انزلاق العراق في نفق الحرب الطائفية، غير أنها ـ وبفضل المواقف الرصينة لمرجعية النجف الأشرف ـ لم تكن تُوحي بوقوع نزاع طائفي، لكن شبح الحرب الأهلية، بدا قريباً أكثر من أي وقت مضى، وبات السلم الاجتماعي مهدداً بالخطر، حين أقدم زعماء الإبادة الإنسانية من خلايا تنظيم القاعدة[1] الدموي على اقتراف جريمة العصر، بهدم القبة المطهرة للإمامين العسكريين عليهما السلام، فتصاعدت أعمال العنف يومها، وتفاقم أمرها بشكل مروّع ومخيف، حتى أصبح العراق قاب قوسين أو أدنى من الدخول في نفق الاقتتال المذهبي، وتراءى أن بصيص الأمل في الخلاص من تداعيات تلك الأزمة، بات يخفت شيئاً فشيئاً، وذلك أن المصيبة تمثل ـ في واقعها ـ تحدّياً غير مسبوق للشعور الإسلامي عموماً، وللوجود الشيعي على الخصوص، فتهديم المراقد المقدسة ظاهرة دخيلة على النسيج العراقي، تنطوي على خلاصة المكر واللؤم والخبث، أُريد من ورائها تمزيق هذا النسيج، وإشعال فتيل أزمة كارثية إنسانية على مستوى إقليمي، وليس على مستوى العراق.

فعمدوا إلى تهديم القبة المطهرة لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام؛ لذا كان تحرُك الحوزة بمستوى خطورة الحدث، فسارع مراجع الحوزة الكبار وهم آيات الله العظام السيد محمد سعيد الحكيم، والشيخ محمد إسحاق الفياض، والشيخ بشير النجفي إلى الإجتماع بالسيد السيستاني، واتخاذ الإجراءات المناسبة، لوقف أعمال العنف والإمساك بزمام الأمور قبل أن تخرج من السيطرة، وتنتهي إلى ما لا تُحمد عقباه فبادر مكتب السيد السيستاني إلى إصدار البيان الذي أدان به تلك الجريمة النكراء، وأعلن الحداد سبعة أيام جاء فيه، «إن الكلمات قاصرة عن إدانة هذه الجريمة

(١) كان قد أعلن التنظيم المشؤوم، عبر مواقعه في الانترنيت – بصلافة ووقاحة – عن مسؤوليته في هذا العمل المشين، وهو هدم القبة المطهرة للإمامين العسكريين عليهما السلام.

النكراء التي قصد التكفيريون من ورائها إيقاع الفتنة بين أبناء الشعب العراقي ... إننا إذ نعزي إمامنا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ... ندعو المؤمنين ليعبّروا خلالها بالأساليب السلمية عن احتجاجهم وإدانتهم لانتهاك الحرمات مؤكدين على ... أن لا يبلغ بهم ذلك مبلغاً يجرهم إلى اتخاذ ما يؤدي إلى ما يريده الأعداء من فتنة طائفية طالما عمدوا على إدخال العراق في أتونها »[1]، والحق لقد تعاملت المرجعية في النجف الأشرف مع هذه الأزمة بوعي وحكمة عاليتين، فلم تسمح بردات الفعل العفوية من أن تتحكم بحركة الشارع، ويُلاحظ أنها شخّصت الجهة المنفذة لتلك الجريمة وهم التكفيريون، وربما أرادت من وراء ذلك امتصاص ردود الأفعال الغاضبة وحماية أهل أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى منها، وتبرئتهم من اقتراف تلك الجريمة، كما أن المرجعية لم تغفل عن بركان الغضب الذي كان يموج به الشارع العراقي؛ لذا ومن أجل التنفيس عن ذلك الكبْت، ومواساة الناس بتلك الصدمة دعت المؤمنين إلى التعبير عن ذلك بالأساليب السلمية، وكي لا تكون الاحتجاجات أداة طيّعة بيد الانتقام، وتخرج عن سلميتها فقد ذكّر المراجع وحذّروا من أن يبلغ بالناس ذلك مبلغاً يحقق مآرب الأعداء من فتنة طائفية، ومع كل تلك التحوطات التي بادرت الحوزة لاتخاذها، غير أن بعض ردود الأفعال فرضت وجودها في الساحة، وازدادت عمليات القتل والتهجير بشكل كبير، الأمر الذي استدعى ذوي الحل والعقد من علماء الشيعة والسنة وساستها إلى عقْد المؤتمرات السلمية، لوقف نزيف الدم العراقي الذي باتت إباحته أمراً مألوفاً في كل زمان ومكان، ولا يمكن تفسير مواقف مراجع الشيعة، إلا على أنها أنموذج حي يسعى إلى جمع الكلمة ورأب الصدع، هذا مع فداحة الخطب الذي ألم بالوجود الشيعي عامة، وبشيعة العراق خاصة.

ومن الجدير بالذكر أن محاولة الإعتداء على المراقد المقدسة في سامراء وكربلاء

(١) ينظر، الخفاف، حامد (معاصر) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، ص٣٨٤.

وغيرها، لم تكن الأولى في تاريخ المراقد المقدسة في العراق ـ في العصور المتأخرة ـ إذ هاجم الوهابيون عام(١٢٥٨هـ) كربلاء والنجف، وسلبوا الحرمين المطهرين واقتلعوا ما فيهما من أبواب ومعلقات وذهب ونفائس، وقتلوا قرابة خمسة آلاف من أهلها، ولم يرحموا صغيراً ولا كبيراً[١].

خاتمة القول إن موقف مراجع الشيعة من هدْم المرقد الطاهر للإمامين العسكريين عليهما السلام كان مستنبطاً من وحي شعورهم التام بأهمية الوحدة بين المسلمين، سواء في تلك الظروف، أم في غيرها.

(١) ينظر، آل شبيب، تحسين (معاصر)، مرقد الإمام الحسين عليه السلام، ص١٦٥.

النتائج:

بعد أن منّ الله على الباحث بإكمال بحثه المتواضع، فقد انتهى إلى جملة نتائج، على النحو الآتي:

١. إن القرآن والسنة حافلان بالآيات والروايات الدالة على إمامة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

٢. بناء على ذلك فقد اكتسب أهل بيت النبي عليهم السلام مقاماً عظيماً في الوجود الإسلامي عبر التأريخ.

٣. إن الإمامة من أهم مراكز القوة ومعاقل العزة وأسباب الوحدة لدى المسلمين.

٤. اكتست مراقد العترة الطاهرة عليهم السلام المنتشرة في أنحاء الأرض، ومنها مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام بحلة التقديس عند مذاهب المسلمين جميعاً.

٥. تميز المرقد الطاهر للإمامين العسكريين، بأنه كان سبباً من أسباب التقارب الاجتماعي بين المسلمين.

٦. لم يكن تعرض المرقد الطاهر للإمامين العسكريين عليهما السلام، للتفجير من قبل المجموعات الظلامية من أتباع القاعدة التكفيريين، ليؤثر على مقومات الوحدة الإسلامية بين الشيعة وغيرهم من المسلمين.

٧. اتسمت ـ على الدوام ـ مواقف المرجعيات الشيعية بالحضور الديني والوطني، والشعور القوي تجاه قضايا الأمة المصيرية، وعلى رأسها مسألة الوحدة بين أطياف المسلمين ومذاهبهم، ولقد كانت فتواهم ترجماناً حياً وميدانياً لذلك، وقد اتضح جلياً في فتاويهم التي حقنت الدم العراقي، ووأدت الفتنة التي أُريد لها أن تكون عاملاً من عوامل تفتيت العالم الإسلامي وتفريقه، خصوصاً بعد تفجير المرقد الطاهر للإمامين العسكريين عليهما السلام.

المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم

١. ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد(ت٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق سامي الغريري، ط١(١٤٢٢هـ)، دار الحديث للطباعة والنشر.

٢. آل شبيب، تحسين (معاصر)، مرقد الإمام الحسين عليه السلام، مطبعة شريعة ـ قم، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).

٣. الأميني، عبد الحسين(ت١٣٩٢هـ)، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط٣(١٣٨٧هـ)، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان.

٤. الأيجي(ت٧٥٦هـ)، المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١(١٤١٧هـ)، لبنان ـ بيروت، دار الجيل.

٥. بحر العلوم، محمد صادق(معاصر)، الإمام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف.

٦. الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد(ت ٤٩٠هـ)،شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمد باقر المحمودي، ط١(١٤١١هـ)، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

٧. الخفاف، حامد(معاصر)، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي بيروت ـ لبنان، ط ١(١٤٢٨هـ).

٨. الشاكري، حسين(معاصر)، الكشكول المبوب، ط٥(١٤١٨هـ)، مطبعة ستارة.

٩. الصدر، حسن (ت١٣٥٤هـ)، تكملة أمل الآمل، تحقيق أحمد الحسيني، «١٤٠٦هـ)، مطبعة الخيام ـ قم.

١٠. الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان.

١١. العسقلاني، ابن حجر، شهاب الدين(ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، ط٢ (١٣٩٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

١٢. العيني(ت٨٥٥هـ)، عمدة القاري، طبع ونشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٣. الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال(ت٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

١٤. القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم(ت١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط١(ت١٤١٦هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر.

١٥. المجلسي، محمد باقر(ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، محمد الباقر البهبودي، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٢(١٤٠٣هـ)، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان.

١٦. المعتزلي، ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ (١٣٨٧هـ)، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٧. المعجم الأوسط، ط(١٤١٥هـ)، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع.

١٨. مؤلف مجهول (ت ق ٣هـ)، أخبار الدولة العباسية، تحقيق د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي، مطابع دار صادر بيروت ـ لبنان.

١٩. الميرزا النوري، حسين(ت١٣٢٠هـ)، مستدر الوسائل ومستنبط المسائل، ط٢(١٤٠٨هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت ـ لبنان.

٢٠. النيسابوري، علي بن محمد(٤٦٨هـ)، طبعة (١٣٨٨هـ)، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع وشركاؤه ـ القاهرة.

البحث السادس والعشرون

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وعطاؤه العلمي والفكري

أزهار جبر هادي

العتبة العلوية المقدسة

شعبة المكتبة الفكرية

المستخلص

الحديث عن سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام ذات أهمية بالغة من جهة أن دراسة سيرتهم العطرة تعّد الأساس القويم للبناء الفكري والمنهج السلوكي للمجتمع الإسلامي، بوصفهم الامتداد الحقيقي لنهج النبوة وسيرتها المعطاء، فقد كانت حياتهم دفاعاً عن مثل الرسالة وقيم الحق، وتبياناً لحقائق الدين وتفسيراً للقرآن الكريم، وسالت دماؤهم الطاهرة ودماء ذريتهم وشيعتهم، لترسم على الأفق لوحة الخلق الرفيع وجمال التضحية في الله من أجل الحق والحرية، ومن بين الأئمة الذين وهبهم الله إلى عباده، هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين حملوا رسالة الإسلام وتبنوا أهدافه وقيمه.

فقد كان آية من آيات الله تعالى بمواهبه وقيمه وجهاده وعطائه العلمي والفكري، فقد قام الإمام العسكري عليه السلام، بأدوار عديدة، وأنشطته العلمية والفكرية والعقائدية، أسهمت في نشر الثقافة الإسلامية، وتعزيز دور الدين في المجتمع، برغم ما كان يعترض الإمام من ضغوط ومضايقات من قبل الحكم العباسي، وتمثلت هذه الضغوط، بفرض الإقامة الجبرية على الإمام عليه السلام في سامراء، وكذلك منع الكتاب والمؤرخين من نشر مناقب وفضائل الإمام عليه السلام، بالإضافة إلى قصر مدة إمامته التي لم تتجاوز الست سنوات، واغتياله وهو في ريعان شباب، لكن مع ذلك كله وصل إلينا شذرات مهمة من علومه ومعارفه، وعلى الرغم من إقصاء الإمام العسكري عليه السلام، عن موقعه الريادي والقيادي، فقد استطاع أن ينهض بمهمته الرسالية، فكان له رصيد علمي وعطاء معرفي واسع، إذ واصل نشاط مدرسة آبائه المعصومين عليهم السلام من

حيث المنهج والمصدر والمادة، فكان لها دور بارز في رفد تلك المدرسة بالمادة العلمية على مختلف الاصعدة.

ولسنا ندعي هنا بأننا قد أحطنا بكل جوانب الحياة الفكرية والعلمية لهذا الإمام الهمام وسيرته المعطاء، ولكنا قدمنا جهداً متواضعاً نرجو أن يفي بعض الحق الذي في أعناقنا لأئمتنا الهداة الميامين عليهم السلام.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعترته الطاهرين الميامين، وصحبه المنتجبين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، من الآن إلى يوم الدين وبعد.

من نعم الله الكبرى على أمتنا الإسلامية وعلى أتباع أهل البيت ومحبيهم عليهم السلام تحديداً، هو وجود أهل البيت عليهم السلام في حياتنا، ومن هذا الوجود المشع بالخير واليمن والبركة ما يكمن في عطاءاتهم التي تنهل علينا إلى يومنا هذا، ومن بين الأئمة الذين وهبهم الله إلى عباده، هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين حملوا رسالة الإسلام وتبنوا أهدافه وقيمه.

فقد كان آية من آيات الله تعالى بمواهبه وقيمه وجهاده وعطائه العلمي والفكري، فقد قام الإمام العسكري عليه السلام بأدوار عديدة، وأنشطته العلمية والفكرية والعقائدية أسهمت في نشر الثقافة الإسلامية، وتعزيز دور الدين في المجتمع، برغم ما كان يعترض الإمام من ضغوط ومضايقات من قبل الحكم العباسي، وتمثلت هذه الضغوط، بفرض الإقامة الجبرية على الإمام عليه السلام في سامراء، وكذلك منع الكتاب والمؤرخين من نشر مناقب وفضائل الإمام عليه السلام، بالإضافة إلى قصر مدة إمامته التي لم تتجاوز الست سنوات، واغتياله وهو في ريعان شباب، لكن مع ذلك كله وصلت إلينا شذرات مهمة من علومه ومعارفه.

وعلى أساس ذلك جاء هذا البحث حول الإمام الحسن العسكري عليه السلام والذي أسميته، (**الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعطاؤه العلمي والفكري**) واقتضت طبيعة الدراسة ان تقسم إلى: مقدمة، وخاتمة، وثلاثة مباحث وقائمة المصادر والمراجع. اشتمل المبحث الأول: (السيرة الشخصية العطرة للإمام الحسن العسكري عليه السلام، وذكرت فيه اسمه ونسبه، ولادته، وفاته، مدفنه، وأسرته والنص على إمامته عليه السلام، وذكرت في المبحث الثاني: (عطاء الإمام العسكري عليه السلام في علم الكلام)، وتضمن

ثلاثة مطالب، المطلب الأول: عطاؤه في مسألة التوحيد، والمطلب الثاني: كان عن عطائه حول النصوص الواردة حول النبوة، والمطلب الثالث كان عن الإمامة، أما المبحث الثالث: (العطاء الفكري للإمام الحسن العسكري عليه السلام، فتضمن ثلاثة مطالب أيضاً، المطلب الأول: كان عن مدرسة الإمام العسكري عليه السلام، والمطلب الثاني: عن معرفته باللغات، والمطلب الأخير كان عن تلامذة الإمام العسكري عليه السلام ودورهم الايجابي.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع والتي من أبرزها كتاب الكافي للكليني، والبحار للمجلسي، وكتاب الإرشاد للمفيد، وإثبات الوصية للمسعودي، وكشف الغمة، واعلام الورى للطبرسي، وكتاب اخبار الدول، وكتاب المناقب لابن شهرآشوب، فضلاً عن كتاب حياة الإمام العسكري عليه السلام للقرشي، الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد للقزويني، ودراسة للكاتب أحمد اليوسف سيرة الامام الحسن العسكري عليه السلام، وغيرها من المصادر والمراجع.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي والتحليلي، الذي لا يخلو من إبداء وجهة نظر وإن كانت قاصرة إلا إننا نرجو أن تكون مفيدة، ولا ندعي أنَّنا جئنا بنتائج عظيمة وقيمة بقدر ما كان عرضنا للموضوع منحصراً في بيان بعض الجوانب من شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وعطائه الفكري والعلمي والذي يعد معيناً لا ينضب.

ولا بد لنا من تقديم خالص الشكر والامتنان للعتبة العسكرية المقدسة، ولكل الأخوة الأعزاء الذين بذلوا جهداً وافراً وشاركوا في إنجاز هذا المؤتمر المبارك وإخراجه إلى النور، ولا سيما أعضاء لجنة المؤتمر الموقرين.

وأملي الكبير أن يحظى هذا البحث بالقبول لدى الإمام عليه السلام، عسى أن يكون لي وسيلة أتقرب فيها إلى الله رب العالمين، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأول، السيرة الشخصية العطرة للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

يعد الحديث عن سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام ذا أهمية بالغة، من جهة أن دراسة سيرتهم العطرة تعتبر الأساس القويم للبناء الفكري والمنهج السلوكي للمجتمع الإسلامي، باعتبارهم الامتداد الحقيقي لنهج النبوة وسيرتها المعطاء، فقد كانت حياتهم دفاعاً عن مثل الرسالة وقيم الحق، وتبياناً لحقائق الدين، وتفسيراً للقرآن الكريم، وسالت دماؤهم الطاهرة ودماء ذريتهم وشيعتهم، لترسم على الأفق لوحة الخلق الرفيع وجمال التضحية في الله من أجل الحق والحرية[1].

إن مسيرة أهل البيت الأطهار تعطي الإنسانية على مدى الدهور عزماً راسخاً لاقتحام المستقبل، واكتشاف المزيد من إمكانات الإنسان الكبير، وبالذات الآفاق الروحية التي لا تعد.

لذلك فإنَّ الكتابة عنها لا تنتهي، مهما تعددت الدراسات وتنوعت أساليبها، ذلك مما يجده الباحثون من حالة التواصل مع دلالتها التي تتسع بسعة الحياة وتستغرق كل مفرداتها، وتسير بها باتجاه حركة التكامل المطلوب على صعيد الفرد والأئمة، والإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام أحد أعلام هذا البيت الطاهر، وهذه شذرات من حياته المباركة.

ولسنا ندعي هنا بأننا قد أحطنا بكل جوانب حياة هذا الإمام الهمام وسيرته المعطاء، ولكنا قدمنا جهداً متواضعاً نرجو أن يفي بعض الحق الذي في أعناقنا لأئمتنا الهداة الميامين.

أولاً: النسب الشريف.

الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام هو المعصوم الثالث عشر والإمام الحادي

---

(١) ينظر، الباني، عصري، الحياة السياسية للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٧.

عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أما نسب الإمام عليه السلام فهو من صميم الأسرة النبوية التي أعز الله بها المسلمين، والتي تبنت الحق والعدل وإشاعتهما بين جميع شعوب الأرض، ولا اعتقد أن هناك أسرة في العالم قد عملت على خدمة الحق ونشر الفضيلة بين الناس كالأسرة النبوية، إنَّه ابن الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي بن موسى الرضا ابن الإمام موسى بن جعفر ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي ابن الحسين ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهؤلاء أئمة الهدى ومصباح الدجى وأعلام التقى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعلهم النبي صلى الله عليه وآله سفن النجاة وأمن العباد. إنه ليس في دنيا الأنساب مثل هذا النسب الكريم.

لكن الرواة والكتاب اختلفوا في اسم أمه، إذ ذكرت بعض المصادر أن اسمها (حديث) أو (حديثة) وقالت أخرى: إن اسمها (سوسن)[١]، وقيل: (سمانة)[٢]، ومنغوسة[٣].

واعتبر كتاب عيون المعجزات ان اسمها الصحيح هو (سليل) ووصفها أنَّها كانت من العارفات الصالحات[٤].

---

(١) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، الأصول من الكافي، ج١، ص٥٠٣؛ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، كمال الدين وتمام النعمة، قدم له محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، ص٤٤١؛ ابن الصباغ، على بن محمد بن أحمد المالكي المكي، الفصول المهمة في أحول الأئمة عليهم السلام، ص٢٧٦؛ والإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأمة، ج٢ ص٤٠٢.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٣.

(٣) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذيلي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ص٢٤٤.

(٤) ينظر، عبد الوهاب، حسين، عيون المعجزات، ص١٣٤.

ثانياً: ولادته.

اختلف المؤرخون والكتاب في مكان الولادة، فقد قال المسعودي في إثبات الوصية، «حملت به بالمدينة وولدته بها فكانت ولادته ومنشؤه مثل ولادة آبائه عليهم السلام ومنشئهم، وولد في سنة إحدى وثلاثين ومئتين من الهجرة، وسنّ أبي الحسن عليه السلام، في ذلك الوقت ست عشرة سنة وشهوراً، وشخص بشخوصه إلى العراق في سنة ست وثلاثين وله أربع سنين وشهور»[١]، وقيل: ولد في سامراء[٢]. والصحيح الأول.

واختلف الرواة أيضاً في زمن الولادة وقالوا، إنَّه ربما يوم الجمعة[٣]، أو السبت[٤]، أو الاثنين[٥]، أو الخميس[٦]، من أيام شهر ربيع الأول[٧]، أو ربيع الآخر[٨]،

(١) المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٥٨.

(٢) ابن شهرآشوب، رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن علي ابن نصر بن أبي الجيش السروي المازندراني، مناقب ال أبي طالب عليهم السلام، ج١٢، ص٣٩٦؛ ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن الحنفي، تذكرة الخواص، المعروف، تذكرة خواص الأمة، ص٣٢٦.

(٣) ابن شهرآشوب، المناقب، ج١٢، ص٣٦٩؛ والطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن اعلام الورى بأعلام الهدى، ص٣٦٧؛ والإربلي، كشف الغمة في معرفة الأمة، ج٢، ص٩٠٩؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ج٥٠، ص٢٣٦.

(٤) ينظر، الكاظمي، حيدر الحسني، عمدة الزائر في الأدعية والزيارات، ص٣٢٧.

(٥) ينظر المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٣٨؛ النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ج٢٠، ص٩٩.

(٦) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر أبي العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٢.

(٧) المجلسي، بحار الانور، ج٥٠، ص٢٣٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٢؛ الكاظمي، عمدة الزائر، ص٣٢٧.

(٨) الطبرسي، إعلام الورى، ص٣٦٧؛ المفيد، الإرشاد، ص٤٥٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٢.

أو رمضان[١]، لسنة ثلاثين ومئتين[٢]، أو احدى وثلاثين[٣]، أو اثنتين وثلاثين[٤].

ولعل يوم (الجمعة) بين الأيام المذكورة، و(شهر ربيع الآخر) من بين الشهور هو الأرجح في تلك التواريخ، لكثرة رواتها ونقلة خبرهما في مؤلفات السلف، كما أنّ سنة ٢٣٢هـ، هي الأرجح أيضاً بين السنين المتقدمة؛ لشهرتها وشيوع ذكرها في المصادر المعنية[٥].

وأيّا ما كان تاريخ الولادة على وجه القطع واليقين، فقد كانت إطلالة هذا الشبل الكريم مدعاة للفرح والسرور، وقام الإمام الهادي عليه السلام بتنفيذ مراسم السنة النبوية في استقبال هذا الوليد المبارك، بما تداوله أهل البيت عليهم السلام، مأثوراً عن جدهم الأعظم من مستحبات شؤون الولادة وشعائرها الشرعية المندوبة[٦].

وتوفي بسر من رأى يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وقيل: يوم الأربعاء، وقيل: يوم الأحد، في ٨ ربيع الأول، وقيل: أول يوم منه سنة ٢٦٠، مرض في أوله وبقي مريضاً ثمانية أيام، وتوفي وعمره ٢٩ أو ٢٨ سنة، أقام منها مع أبيه ٢٣ سنة وأشهراً وبعد أبيه خمس سنين وشهوراً، وقيل: ثمانية أشهر و١٣ يوماً، وقيل: ست سنين، وهي مدة إمامته وخلافته، وهي بقية ملك المعتز أشهراً، ثم ملك المهتدي ١١ شهراً و٢٨ يوماً، وتوفي بعد مضي خمس سنين من ملك المعتمد، ودفن في داره بسامراء إلى جانب قبر أبيه، وذهب كثير من الرواة إلى أنّه عليه السلام مضى مسموماً، وكذلك أبوه وجدّه وجميع الأئمة عليهم السلام

---

(١) الكليني، الكافي، ج١، ٥٠٣

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٣٦؛ والكاظمي، عمدة الزائر، ص٣٢٧.

(٣) المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٥٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٢.

(٤) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٣.

(٥) الكليني، الكافي، ج١، ٥٠٣؛ المفيد، الإرشاد، ص٤٥٥.

(٦) ينظر، آل ياسين، محمد حسن، الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ص٢١.

خرجوا من الدنيا بالشهادة واستدلوا على ذلك بما روي عن الصادق عليه السلام: «ما منا إلا مقتول أو شهيد»، والله أعلم بحقيقة ذلك[١].

ثالثاً: الاسم والكنى والألقاب.

تسميته عليه السلام: وسمى الإمام علي الهادي عليه السلام وليده المبارك بـ (الحسن)، وحقاً أنّه من أجمل الأسماء، وهو كاسم عمه الأعلى سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، الإمام الحسين ابن الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام وقد سمّاه الله بهذا الاسم.

كنيته عليه السلام (أبو محمد)[٢]، وهو اسم ولده الإمام المنتظر محمد المهدي عجل الله فرجه وسهل مخرجه المصلح الأعظم للبشرية أمل المحرومين والمستضعفين في الأرض، وقيل: أبو الحسن[٣]، وقيل: ابن الرضا[٤]، كان الحسن العسكري هو وأبوه وجده عليهم السلام يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا[٥].

ألقابه عليه السلام:

للإمام الحسن العسكري عليه السلام ألقاب كثيرة جاءت بها النصوص المأثورة عن أهل العصمة عليهم السلام، وألقاب أطلقها عليه الراوون عنه، ووردت في كتاب الرجال، ومما جاءت به النصوص من ألقابه:

(١) ينظر، المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٧١؛ المفيد، الإرشاد، ص٤٢٤؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٢٧٨؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٤، ص٤٥٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٣٧؛ الطبرسي، اعلام الورى، ص٣٦٧.

(٢) الاشهب، منصور الباز، بحر الأنساب الكبير في أنساب العلويين، ص٣.

(٣) ابن جرير، أبو جعفر محمد بن رستم الطبري، من أعلام القرن الرابع الهجري، دلائل الإمامة، ص٢١٩.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٣٦.

(٥) الحسيني، محسن الأمين، في رحاب أهل البيت عليهم السلام، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٢م، ص١٨٥.

العسكري: اشتهر الإمام عليه السلام بالعسكري وذلك لأن الإمام كان يسكن في مدينة سامراء في محلة تسمى بـ (العسكر)[١]، و**الزكي**، فقد كان أزكى إنسان في زمانه، فقد زكى نفسه وهذَّبها، **والخالص**؛ لأنه كان مخلصاً من كل دنس وعيب، ومنزهاً من كلِّ عيب، و**التقي**، فقد كان أتقى إنسان في عصره، وأكثر الناس انقطاعاً إلى الله، و**الصامت**، كان كثير الصمت لا ينطق إلّا بذكر الله والحكمة والعلم، و**السراج**؛ لأنه نور يضيء للناس معالم الحق، و**الهادي**، كان عالماً لهداية الناس وارشادهم إلى طريق الحق، **المرضي** عند الله تعالى لتمسكه بالحق[٢]. وقد أشار ابن شهرآشوب إلى ألقاب أخرى فأضاف إلى ألقابه عليه السلام، **الشافي**، **والرفيق**[٣]، وأضاف ابن جرير في دلائل الإمامة **المهتدي**[٤]، أما الخصيب فقد أضاف، **الشفيع**، **والنقي**، **والسخي**، **والمستودع**[٥].

وترى الباحثة أنَّ هذه الألقاب الكثيرة للإمام الحسن العسكري عليه السلام إن دلَّت على شيء فهي تدل على ملامح شخصيته المباركة وصفاته الحميدة ومناقبه الشريفة.

رابعاً: نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (سبحان من له مقاليد السماوات والأرض)[٦]، وقيل: (أنا لله

---

(١) تسمى هذه المحلة بـ العسكر لأنها كانت قد أعدت لإسكان الجيش من الاتراك في البلاط العباسي. ينظر، ابن الوردي، زين الدين عمر، تتمة المختصر في اخبار البشر، تاريخ ابن الوردي، تحقيق وإشراف: أحمد رفعت البدري، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٠م، ج١، ص٣٤٨.

(٢) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٢٢٦؛ والإربلي، كشف الغمة، صج٣، ص١٩٦؛ والمجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٣٦.

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب، ج١٢، ص٣٩٦.

(٤) ابن جرير، دلائل الإمامة، ص٢١٩.

(٥) الخصيبي، أبو عبد الله الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، ص٣٢٧.

(٦) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٢٧٣.

شهيد)[١]، (أن الله شهيد)[٢]، وذكر الطبري (كان له خاتم فصه: الله وليي)[٣].

خامساً: النص عليه عليه السلام بالإمامة.

ورد النص على إمامة الإمام الحسين بن علي العسكري عليه السلام ضمن ما ورد من الروايات الكثيرة في النص على الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام صريحة بأسمائهم وغير صريحة، من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام في النص عليه بصورة مستقلة.

وقد نص النبي صلى الله عليه وآله بإجماع المسلمين ـ وهو يحدد الإطار العام لموضوع الإمامة من بعده ـ أن الأئمة من قريش، وأن عددهم اثنا عشر، وأن هؤلاء الأئمة الاثني عشر من لباب عترته تحديداً، ومن صميم أهل بيته خاصة، حيث لا يشاركهم غيرهم من سائر الناس، بل سمى هؤلاء الاثني عشر في روايته بعض الحفاظ ـ واحداً بعد واحد[٤].

وروى الكليني بسنده عن يحيى بن يسار قال: «أوصى أبو الحسن علي بن محمد إلى ابنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر وأشار إليه بالأمر من بعد هو أشهدني على ذلك وجماعة من الموالي» (وبسنده) عن النوفلي قال: «كنت مع أبي الحسن «يعني الهادي عليه السلام» فمر بنا محمد ابنه، فقلت: جعلت فداك، هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا، صاحبكم من بعدي الحسن»[٥].

وأورد الشيخ الصدوق بسنده عن ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن حمدان بن

---

(١) شبر، عبد الله، ١٢٤٢هـ، جلاء العيون، ج٣، ص١٣٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٣٨.

(٣) ابن جرير، دلائل الإمامة، ص٤٢٥.

(٤) ينظر، الصغير، محمد حسين علي، الإمام الحسن العسكري عليه السلام وحدة الهدف وتعدد الأساليب، ص٢٧.

(٥) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٣، ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٢٧٧.

سليمان، عن الصقر بن أبي دلف ـ راوياً عن الإمام محمد الجواد عليه السلام، قال: «سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام يقول: إن الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن»(١).

وأما الإمام الهادي عليه السلام، فقد نص على إمامته، وإمامة ولده القائم بصفته التحريرية للأرض من الجور والظلم، فذكر الصدوق في إكمال الدين قال: فعن الصقر بن أبي دلف قال: «سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: «الإمام بعدي الحسن، وبعد الحسن ابنه القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً(٢).

وهذا يعني أنَّ الإمام الهادي عليه السلام معني عناية ملتزمة بولده وحفيده معاً، وهو مبشر بهذا الحفيد المنقذ نصاً، لقد مهد لإمامة ولده العسكري عليه السلام، والبشارة بحفيده الامام محمد المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بشيء من التفصيل، وبالإشارة إلى شدة الطلب له من قبل طواغيت الأمة، حتى لا يحل ذكر اسمه في تلك الظروف الحرجة فقال عليه السلام: «الإمام من بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده...»(٣).

عن أبي بكر الفهفكي قال: كتب إلي أبو الحسن عليه السلام: «أبو محمد ابني أصح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي عنه فاسأله عنه، فعنده ما تحتاج إليه»(٤).

الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي رواها الرواة والمحدثون في النص عليه من أبيه بالإمامة من بعده بالإضافة إلى النصوص التي رواها الرواة عن النبي

---

(١) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٥٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٣٩.

(٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠.

(٤) المفيد، الإرشاد، ص٤٢٦؛ الطبرسي، إعلام الورى، ص٣٦٩.

والأئمة عليهم السلام من بعده على إمامة الاثني عشر بأسمائهم وأوصافهم.

ولا أظن أن هناك بين من تسنى لهم الوقوف على ما أسلفنا ذكره من شهادات المؤرخين والمعنيين بالسير والأخبار، من يحس بوجود أدنى ريب أو تردد في الإقرار بإمامته، وإنه المستحق الوحيد لهذا المقام في عصره.

سادساً: قبره وضريحه الشريف

دفن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في سامراء إلى جنب والده الإمام علي الهادي عليه السلام، ومكان القبر دار الإمام الهادي عليه السلام[1].

وقد أصبح مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء مقصد الزوار من المؤمنين والمحبين من كل انحاء العالم، لزيارة إمامين من أئمة المسلمين وهما: الإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري عليهما السلام، وقد تعرض المقام الشريف لتفجير إرهابي في اليوم الثاني والعشرين من شهر شباط سنة ٢٠٠٦م، وفي ١٣ حزيران تعرضت مئذنتا مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام إلى انفجارين أسفرا عن إنهيار المئذنتين وتدميرهما بالكامل، بهدف زرع الفتنة بين المسلمين، ولولا حكمة المراجع الكبار في النجف الأشرف لحدث بالفعل فتنة عظيمة كادت تأكل الأخضر واليابس في العراق[2].

وهذا الحادث ليس الأول الذي يتعرض له المشهد الشريف من محاولات لتدميره وحرقه وسلبه ونهبه، فقد ذكر السيد محسن الأمين في أعيانه أنَّه في سنة ١١٠٦هـ، قد وقعت داهية عظمى وفتنة كبرى في المشهد المقدس بسامراء، وذلك انه لغلبة ملوك الترك العثمانيين وأجلاف العرب على سر من رأى، وبسبب ظلم العثمانيين، وضعوا ليلة من الليالي سراجاً داخل المشهد في غير الموضع المناسب له

(١) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة٤٦٣هـ، ج٧، ص٣٦٦.

(٢) ينظر، الكاظمي، سامي جواد المنذري، راقدون عند العسكريين عليهما السلام، ص١٠١.

فسقطت منه نار على الفرش، ولم يكن أحد داخل المشهد الشريف ليطفئها، فاحترقت الفرش والصناديق التي على القبر الشريف والأخشاب والأبواب[١].

وتعرض المشهد الشريف إلى السطو عدة مرات، ولكن يبقى التفجير الإرهابي الذي طال الضريح من أخطر ما تعرض له من استباحة للمكان المقدس، وهتك حرمات أئمة المسلمين، وانتهاك صارخ لبيت من بيوت الله.

(١) ينظر، الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٢، ص٥٩١.

المبحث الثاني: (عطاء الإمام العسكري عليه السلام في علم الكلام)

أجمع المترجمون للإمام أبي محمد عليه السلام أنه كان أعلم أهل عصره وأفضلهم لا في شؤون الشريعة وأحكام الدين، وإنما في جميع أنواع العلوم والمعارف، يقول بختيوشع الطبيب المسيحي لتلميذه بطريق في شأن الإمام العسكري عليه السلام: هو أعلم في يومنا هذا ممن هو تحت السماء، ومعنى ذلك أنه أعلم من في الدنيا، وأنه يملك طاقات هائلة من العلوم لا يملكها غيره، وهذا ما تذهب إليه الشيعة من أن أئمة أهل البيت عليهم السلام، قد منحهم الله تعالى جميع أنواع العلوم[1].

لقد كان للإمام الحسن العسكري عليه السلام دور مهم في تثقيف الأمة عقائدياً، والتصدي للانحرافات العقائدية التي حدثت في عصره، خصوصاً وأن الأمة منيت في زمانه ببعض المنحرفين من المسلمين، الذين أرادوا بث الشبهات لإفساد عقائد المسلمين، كما قام علماء من غير المسلمين، بالعمل لأجل إبعاد المسلمين عن إسلامهم، واعتناق ديانات أخرى، وقد تصدى الإمام العسكري عليه السلام لكلِّ ذلك، ودافع عن عقائد الإسلام، ورد الشبهات والإشكاليات التي تطرح حول العقيدة الإسلامية.

وسنشير إلى نماذج من دوره العقائدي المهم في ثلاثة مطالب مهمة وهي، (التوحيد، والنبوة، والإمامة).

---

(١) ينظر: القرشي، باقر شريف، نفحات من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ص٣٦٧.

المطلب الأول: عطاؤه في مسألة التوحيد

جاء الإسلام لينشر العدل والسلام بين الناس، ليرسخ أصول الاعتقاد والذب عن مبادئ الإسلام ومثله العليا، وكان لأئمة أهل البيت عليهم السلام، الأثر البارز في تثبيت قواعده وتشيد أركانه بما يوافق الفطرة والعقل.

ففي باب التوحيد هناك عدة أحاديث في جانب العقيدة بالله سبحانه وتعالى حيث كان الجدل يدور في صفات الله، ورؤية الله والتجسيم، وكان الإمام عليه السلام يتبع في توجيه الناس منهجاً يعتمد لغة القرآن بأسلوبه ومفرداته نحو العقيدة، ومن الأمثلة على ذلك:

حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رحمه الله، عن أبيه، عن سهل بن زياد، قال: «كتبت إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومئتين: قد اختلف ـ يا سيدي ـ أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول هو جسم، ومنهم من يقول هو صورة، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك. فوقع عليه السلام بخطه: سألت عن التوحيد، وهذا عنكم معزول، الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، ويصور ما يشاء وليس بمصور، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتعالى عن أن يكون له شبيه، هو لا غيره ليس كمثله شيء وهو السمع البصير»[1].

يعّد التوحيد من أهم أبواب العقائد الإسلامية، ومن هنا نجد أن الإمام العسكري عليه السلام يوجه أصحابه إلى التوحيد الخالص والتحذير من الشرك، وهذا المعنى أشارت إليه المروية عن أبي هشام الجعفري قال: «سمعت أبا محمد عليه السلام يقول: من الذنوب التي لا تغتفر قول الرجل ليتني لا أواخذ إلا بهذا. فقلت في نفسي: إنَّ

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص١٥٦؛ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، التوحيد، ص١٠٨.

هذا لهو الدقيق ينبغي للرجل أن يتفقد من أمره ومن نفسه كل شيء، فأقبل أبو محمد فقال: يا أبا هاشم صدقت، فالزم ما حدثت به نفسك، فإن الإشراك في الناس أخفى من دبيب الذر على الصفا»[١].

وروى الكليني مسنداً عن يعقوب بن إسحاق قال: «كتب إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربَّه وهو لا يراه؟ فوقع عليه السلام: يا أبا يوسف، جلَّ سيدي ومولاي والمنعم عليَّ وعلى آبائي أن يُرى. قال: وسألته هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربَّه؟ فوقع عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله من نور عظمته ما أحبَّ[٢].

ومن المسائل الاعتقادية ذات العلاقة بأصل التوحيد والتي كثر حولها الجدل والحوار، هي مسألة البداء[٣] الدائرة حول فهم الآية القرآنية الكريمة، ﴿**يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ**﴾[٤]، فقد أجاب الإمام العسكري عليه السلام حين سأله أحمد بن صالح عن هذه الآية، بقوله، هل يمحو إلا ما كان، وهل يثبت إلا ما لم يكن، فقلت: في نفسي هذا خلاف قول هشام بن الحكم، إنه لا يعلم بالشيء حتى يكون، فنظر إلي، فقال: تعالى الجبار الحاكم العالم بالأشياء قبل كونها. قلت: اشهد أنك حجة الله[٥].

ولم يدع الإمام عليه السلام أدنى مناسبة دون أن يوجه أصحابه إلى التوحيد الخالص وتصحيح اتجاه نفوسهم والتحذير من الرواسب الخفية التي تدفع بالإنسان إلى غير ذلك.

---

(١) الطوسي، عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي، الثاقب في المناقب، ص٥٢٧.

(٢) ينظر، الكليني، الكافي، ج١، ص٩٥، والتوحيد، ص١٠٨.

(٣) البداء، هو إظهار الخفي من علم الله تعالى وقضائه وقدره للخلق، وليس بمعنى العلم بعد الجهل كما يقال والعياذ بالله، فإن ذلك لا يجوز على الخالق العزيز.

(٤) سورة الرعد، الآية ٣٩.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٥٧.

المطلب الثاني: عطاؤه حول مسألة النبوة

وقد وردت مجموعة من النصوص عن الإمام العسكري عليه السلام، في ما يخص سيرة النبي صلى الله عليه وآله، مما يشير إلى ضرورة اهتمامه بهذا الجانب في عصره، وإليك بعضاً منها:

روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي، قال: «سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام يقول: المنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمن أنكر جميع أنبياء الله؛ لأن طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا»(١).

بين الإمام عليه السلام في هذا الحديث أن من أنكر نبوة الرسول صلى الله عليه وآله فيكون كمن أنكر جميع الأنبياء عليهم السلام.

وفي التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، قال الإمام عليه السلام: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من أنواع ثمارها وأطعمتها ﴿حَلَالاً طَيِّباً﴾ لكم إذا أطعتم ربكم في تعظيم من عظمه، والاستخفاف بمن أهانه وصغره ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ما يخطو بكم إليه، ويغركم به من مخالفة من جعله الله رسولا أفضل المرسلين، وأمره بنصب من جعله الله أفضل الوصيين، وسائر من جعل خلفاءه وأولياءه. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ يبين لكم العداوة ويأمركم إلى مخالفة أفضل النبيين ومعاندة أشرف الوصيين. ﴿إنما يأمركم﴾ الشيطان ﴿بالسوء﴾ بسوء المذهب والاعتقاد في خير خلق الله [محمد رسول الله](٢).

وهنا قد بين الإمام عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله أفضل النبيين والمرسلين عليهم السلام.

أما عن كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وثمرتها، فعن ابن شعبة الحراني رحمه الله: قال

---

(١) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٠٩.

(٢) الإمام العسكري عليه السلام، تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٥٨٠.

أبو محمد العسكري عليه السلام: «أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات»[١]

قال أبو هاشم: ثم لم تطل مدة أبي محمد الحسن في الحبس إلا أن قحط الناس بسر من رأى قحطاً شديداً، فأمر الخليفة المعتمد على الله ابن المتوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فلم يسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مد يده إلى السماء ورفعها هطلت بالمطر، ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر وسقوا سقياً شديداً حتى استعفوا، فعجب الناس من ذلك وداخلهم الشكّ وصغا بعضهم إلى دين النصرانية، فشق ذلك على الخليفة فأنفذ إلى صالح بن وصيف أن أخرج أبا محمد الحسن بن علي من السجن وائتني به، فلما حضر أبو محمد الحسن عليه السلام عند الخليفة قال له: أدرك أمة جدك محمد صلى الله عليه وآله فيما لحق بعضهم في هذه النازلة. فقال أبو محمد: دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث، قال: قد استعفى الناس من المطر واستكفوا فما فائدة خروجهم؟ قال: لأُزيل الشك عن الناس وما وقعوا فيه من هذه الورطة التي أفسدوا فيها عقولاً ضعيفة. فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن يخرجوا الناس، فخرج النصارى وخرج لهم أبو محمد الحسن ومعه خلق كثير، فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون إلّا أن ذلك الراهب مد يديه رافعاً لهما إلى السماء، ورفعت النصارى والرهبان أيديهم على جاري عادتهم فغيمت السماء في الوقت ونزل المطر، فأمر أبو محمد الحسن القبض على يد الراهب وأخذ ما فيها؛ فإذا بين أصابعه عظم آدمي، فأخذه أبو محمد الحسن ولفّه في خرقة وقال: استسق، فانكشف السحاب وانقشع الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك وقال الخليفة: ما هذا يا أبا

(١) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ص٤٨٨.

محمد؟ فقال: عظم نبي من أنبياء الله عزَّ وجلَّ ظفر به هؤلاء من بعض قبور الأنبياء، وما كشف نبيّ عن عظم تحت السماء إلّا هطلت بالمطر، واستحسنوا ذلك فامتحنوه فوجدوه كما قال فرجع أبو محمّد الحسن إلى داره بسرّ من رأى وقد أزال عن الناس هذه الشبهة، وقد سر الخليفة والمسلمون ذلك[١].

المطلب الثالث: عطاؤه حول مسألة الإمامة

تعتبر الإمامة القاعدة الصلبة للتطور السياسي والاجتماعي في الإسلام، وهي من أهم الركائز التي تبتني عليها حضارة الإنسان، إنَّها هي التي توفر له الحياة الكريمة التي ينعم في ظلالها، أن الإمامة بمعناها الصحيح لطف من ألطاف الله، ونفحة من رحمانيته[٢].

فحين أرادت الحكومات الجائرة حرف أذهان الأمة عن عقيدة الإمامة الإلهية، وصرفت في ذلك الأموال والإمكانيات، مما اقتضى جهداً استثنائياً لهداية الأمة وإرجاعها إلى المنبع الحق، وقد أكد الإمام العسكري عليه السلام في الكثير من كلماته على فرض الولاية لأهل البيت عليهم السلام، وضرورة معرفتهم والتصديق بهم والتمسك بهديهم وأداء حقوقهم التي جعلها الله لهم، ولولا ذلك لا يستكمل المرء خصال الإيمان[٣].

ومن ذلك ما جاء عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري أنَّ العالم كتب إليه ـ يعني الحسن بن علي عليهما السلام ـ قال: «إنّ الله تعالى بمنّه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه، بل رحمة منه إليكم لا إله إلا هو؛ ليميز الخبيث من الطيب وليبتلي ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم ولتتسابقوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنته ففوض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

(١) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٢٧٦.

(٢) ينظر، القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة وتحليل، ص٤٣.

(٣) ينظر، الباني، الحياة السياسية للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٣٢٥.

والصوم والولاية، وجعل لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرايض، ومفتاحاً إلى سبيله، ولولا محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء من ولده كنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضا من الفرايض وهل تدخل قرية إلا من بابها، فلما من الله عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم صلى الله عليه وآله قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾[١]، وفرض عليكم لأوليائه حقوقاً فأمركم بأدائها إليهم ليحل لكم ما وراء ظهوركم، من أزواجكم وأموالكم ومأكلكم ومشربكم ويعرفكم بذلك البركة والنماء والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب وقال الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾[٢]، فاعلموا أنَّ من يبخل فإنما يبخل على نفسه إنَّ الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه لا إله إلا هو، فاعملوا من بعد ما شئتم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين»[٣].

وعن أبي منصور الطبرسي مسنداً قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، قال: حدثني أبي عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أشد من يتم اليتيم الذي انقطع من أمه وأبيه، يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه في ما يبتلى به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى»[٤].

وقد أشاد الإمام عليه السلام بفضل أهل البيت عليهم السلام الذين هم مصدر الوعي، والإيمان في دنيا الإسلام، حيث قال عليه السلام: «قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية،

(١) سورة المائدة، الآية٣.

(٢) سورة الشورى، الآية٢٣.

(٣) الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٤٩. باب علل الشرائع وأصول الإسلام.

(٤) الطوسي، الاحتجاج، ج١، ص٧.

ونورنا السبع الطرائق بأعلام الفتوة، فنحن ليوث الوغى، وغيوث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل، وأسباطنا خلفاء الدين وحلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم، فالكليم ألبس حلّة الأصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة[١] ذاق من حدائقنا الباكورة[٢] وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا ردءاً وصوناً وعلى الظلمة إلباً وعوناً، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران»[٣].

تأكد هذه الرواية أن الأئمة عليهم السلام لم يفتخروا بمنصب دنيوي، أو ثروة وشهرة، إنما كان فخرهم بحب الله، والانتساب إلى رسوله بالعلم والتقوى.

وروي أيضاً عن الحسن بن ظريف قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «من كنت مولاه فهذا مولاه، قال: أراد بذلك أن جعله علماً يعرف به حزب الله عند الفرقة»[٤].

في هذه الرواية بين الإمام العسكري عليه السلام معنى المولى المراد من قول النبي صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه»، مبيناً حقيقة ذلك من تعيين ولاية الولي ما صرف إلى غير معناه[٥].

هذه بعض النصوص المهمة التي وردت عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام حول الإمامة، وهي تمثل بمجموعها معرفة عقائدية مهمة لبيان الاعتقادات الحقة؛ ومن جهة أخرى تكشف عن الدور المهم الذي قام به الإمام العسكري عليه السلام في تثقيف

---

(١) الصاقورة: السماء الثالثة.

(٢) الباكورة: أول ما يدرك من الفاكهة.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٨. باب ان لكل شيء مقداراً.

(٤) الإربلي، كشف الغمة، ص٩٩؛ والمجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠ ص٢٩٠.

(٥) الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي، موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والآداب، ج١، ص٣٦٢- ٣٧٠.

الأمة عقائدياً ودينياً.

وكان لا بد لهذه الإمامة ـالتي كانت امتداد للرسالة الإلهيةـ من كيان اجتماعي على الأرض، وهم الشيعة المخلصون، وكان لا بد لهؤلاء من نظام اجتماعي راسخ قادر على مواجهة التحديات، وقد تمثل في القيادة المرجعية، والتي تعني تمحور الطائفة حول العلماء بدين الله الأمناء على حلاله وحرامه؛ لذلك ترسخ في عهد الإمام العسكري عليه السلام نظام المرجعية حيث تعاظم دور علماء الشيعة بوصفهم وكلاء ونواباً وسفراء عن الإمام المعصوم عليه السلام[1].

(١) ينظر، المدرسي، محمد تقي، الإمام العسكري عليه السلام قدوة وأسوة، ص٤٦.

المبحث الثالث: العطاء الفكري للإمام العسكري عليه السلام

من خلال النصوص الواصلة إلينا عن الإمام العسكري عليه السلام، نلحظ اهتماماً عملياً متشعب الجوانب، فهو يهتم بالقرآن الكريم؛ لأنه سند الشريعة ومصدرها الأساسي، كما اهتم بحفظ السنة الشريفة وسنة أهل البيت عليهم السلام وتاريخهم، وكذلك اهتم بتعريفه للشخصيات ونقدها، التي يتوجه إليها الناس لأخذ العلوم والأحكام منهم أو مراجعتهم لغرض الارتباط بالإمام عليه السلام، أو توكيلهم لإيصال الحقوق الشرعية إليه فهو يعرف وكلاءه ويوليهم ثقة، ويعلن من ينحرف منهم ويحذر شيعته ومواليه من الغفلة عن رصد أحوالهم في حالة استقامتهم أو انحرافهم[1].

ولم يكن الإمام عليه السلام ليغفل عن تربية الأمة على محاسن الأخلاق، وسقيهم ثمرة العلم الذي ورثه عن آبائه بالتخلق بأخلاقهم، بسقي شجرة معرفتهم بروائع مواعظه ووصاياه وكلماته، وكان بحق العدل الذي لا يفارقه القرآن والذاب عن حماه، فتراه يرد على شبهات الفلاسفة في نقض القرآن، وكذلك إجاباته الفقهية التي أثرت عنه في أغلب أبواب الفقه الإسلامي استنبط منها الفقهاء أحكام الدين.

وسنعرض في هذا المبحث ومطالبه بعضاً من عطايا الإمام عليه السلام الفكرية إلى الناس كافة.

(١) ينظر، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، إعلام الهداية الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، ص٢٠٠.

المطلب الأول: مدرسة الإمام العسكري عليه السلام

عاش الإمام العسكري عليه السلام في القرن الثالث الهجري، حيث كانت المدارس الفكرية فيه قد اكتملت معالمها في المجالات المختلفة كالفقه ومذاهبه، والتفسير والكلام وأصول الفقه والفلسفة والحديث وغيرها، وقد تحددت معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال ما قام به الأئمة السابقون، وكذلك خلال النشاطات العلمية للإمام العسكري عليه السلام؛ إذ قام بإعداد ثلة من الرواة والتلاميذ، وما قام به من مراسلات ومحاورات وأجوبة على المسائل المختلفة، وما روى من أحاديث، وبث من علوم ومعارف، فقد نقلت ذلك عنه عليه السلام كتب الأحاديث والتفسير، والمناظرة وعلم الكلام وغيرها(١).

لقد اعتنى الإمام العسكري عليه السلام ببناء كوادر علمية مؤهلة في مختلف التخصصات العلمية المهمة، كي يقوموا بأدوار قيادية ودينية وعلمية وفكرية، ومن أهم هذه الأدوار نشر العلوم والمعارف الإسلامية في أصقاع الدنيا، وإيصال منهج أهل البيت عليهم السلام وفكرهم للناس، وربط المجتمع بالقيادة الشرعية، وتدوين الأحاديث والروايات، وبثها بين العلماء والفقهاء، وتأسيس المدارس العلمية لتأهيل علماء وفقهاء ينتمون لمدرسة أهل البيت عليهم السلام(٢).

وبناء الكوادر العلمية ليس بالأمر السهل في ظروف سياسية بالغة التعقيد كعصر الإمام العسكري عليه السلام، حيث وضع تحت المراقبة الشديدة، ومع ذلك تجاوز كل القيود والسدود من خلال المكاتبة لأصحابه وتلامذته، وتزيدهم بتوجيهات

(١) ينظر، شعبة التبليغ، شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٢٣.

(٢) ينظر، اليوسف، أحمد، سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية والعلمية والسياسية للإمام العسكري عليه السلام، ص١٨٥.

إرشاداته الدينية والعلمية، والالتقاء بهم متى سمحت له الظروف بذلك[١].

إنَّ مدرسة الإمام العسكري عليه السلام كانت تتابع بدقة الساحة الفكرية، وتلاحق الأفكار التي تطرح هنا وهناك في مواجهة الفكر الإسلامي الأصيل، فكان الإمام عليه السلام يواجهها بالحجة والأسلوب العلمي والجدل الموضوعي[٢].

ولبيان دور الإمام عليه السلام في إحباط محاولة الكندي في تأليف كتاب في متناقضات القرآن من ذلك ما نقله ابن شهرآشوب في كتابه، عن أبي القاسم الكوفي في كتاب التبديل أنَّ إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه، أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله، وان بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال له أبو محمد عليه السلام: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله القرآن! فقال التلميذ: نحن من تلامذته، كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أوفى غيره! فقال له أبو محمد عليه السلام: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال، نعم، قال: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها. فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنَّك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول لك أنّه من الجائز؛ لأنَّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له، فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه. فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن القى عليه هذه المسألة فقال له: أعد علي، فأعاد عليه فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملا في اللغة وسائغا في النظر فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك. فقال: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه

(١) اليوسف، أحمد، المصدر السابق، ص١٨٥.

(٢) الحداد، عبد السادة، الإمام الحسن العسكري عليه السلام ورواياته الفقهية دراسة في دلالات المتون، ص٥٤.

المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد. فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت. ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه[١].

لقد أدى الخلط بين عالمين متعاصرين، ومتحدين في الاسم واللقب إلى أن يعّد بعض الاشخاص الرواية المذكورة أعلاه تخص الفيلسوف المسلم يعقوب بن إسحاق الكندي، وهذه النسبة مضافاً إلى أنها لا تنسجم مع عهد إمامة الإمام العسكري عليه السلام؛ حيث إنَّ وفاة الكندي كانت في العام٢٥٢هـ، فإنها تواجه إشكالاً مهماً هو استبعاد صدور مثل هذا العمل القبيح من قبل فيلسوف مسلم، ومع معرفتنا بوجود عالم مسيحي يحمل اسم عبد المسيح الكندي معاصر للفيلسوف المعروف بالكندي ندرك أنَّ الرواية المذكورة تخصه[٢].

على الرغم من الاختلاف بين العلماء إلا أنَّ في هذه الرواية دلالات مهمة منها:

١. الذي يستشف من هذه الرواية أنك عندما تريد أن تحاور إنساناً وتجادله، فلا يكن العنف سبيلك إلى ذلك، ولا يكن القلب القاسي وسيلتك إلى الانفتاح عليه، بل حاول أن تتلطف به أولاً وأن تؤانسه ثانياً.

٢. الأسلوب في مخاطبة هذا العالم هو الانفتاح على علمه وتفكير، حيث ألقى إليه الفكر على سبيل الاحتمال ليدفعه إلى التأمل.

٣. أن قول الكندي: (لقد علمت انه لا يخرج هذا إلا من أهل هذا البيت)، يدل على الثقة العالية التي كان يحملها الكندي في علم أهل البيت عليهم السلام، مما يوحي أنهم كانوا قد بلغوا القمة في العلم حتى خضع الآخرون لعلمهم، واعترفوا بهذا المستوى الكبير من الثقافة[٣].

---

(١) ينظر ابن شهر آشوب، المناقب، ج١٢، ص٣٦٩.

(٢) جعفريان، رسول، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، ص١٩٩- ٢٠٠.

(٣) فضل الله، محمد حسين، في رحاب أهل البيت عليهم السلام، ج٢، ص٤٦٧- ٤٧٧.

وهذا يكشف أن الإمام العسكري عليه السلام كان يرصد الحركة الثقافية والعلمية في زمانه، ويتتبع المنابع التي يصدر منها الشك والتشكيك في الإسلام وأصوله ومما لا شك فيه أن الطعن في القرآن الكريم، هو طعن في الإسلام نفسه، والمس به مس بالإسلام، لذلك تصدى الإمام العسكري عليه السلام.

الإمام العسكري عليه السلام مدرسته مليئة بالدرر، وصدقوني لو أردنا أن نتكلم عن زاوية من زوايا مدرسة الإمام العسكري عليه السلام لاحتجنا أن نقضي عمرنا كله ولا نكمل! وهذا كلام ليس فيه أي مبالغة.

المطلب الثاني: علم الإمام باللغات

قال أبو هاشم الجعفري: «كنت بالمدينة حتى مر بها بغا[١]، أيام الواثق في طلب الأعراب، فقال أبو الحسن: أخرجوا بنا حتى ننظر إلى تعبية هذا التركي فخرجنا فوقفنا، فمرت بنا تعبيته فمر بنا تركي فكلمه أبو الحسن بالتركية فنزل عن فرسه فقبل حافر دابته، قال: فحلفت التركي وقلت له: ما قال لك الرجل؟ قال: هذا نبي؟ قلت: ليس هذا بنبي. قال: دعاني باسم سميت به في صغري في بلاد الترك ما علمه أحد إلى الساعة»[٢].

وقال علي بن مهزيار: «عن الطيب الهادي عليه السلام قال: دخلت عليه فابتدأني فكلمني بالفارسية»[٣].

وأورد المجلسي في بحاره، قال أبو هشام: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام وهو محدر، فقلت للمتطبب، (آب كرفت) ثم التفت إلي وتبسم، وقال: تظن أن لا يحسن الفارسية

(١) بغا، اسم رجل من قادة المتوكل.

(٢) الطبرسي، إعلام الورى، ص٣٦٠.

(٣) الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات، ص٣٣٣.

غيرك؟ فقال له المتطبب: جعلت فداك تحسنها؟ فقال: أما فارسية هذا فنعم»[١].

وكان الإمام عليه السلام يكلم غلمانه وغيرهم بلغاتهم، فعن أبي حمزة نصير الخادم، قال: «سمعت أبا محمد غير مرة يكلم غلمانه بلغاتهم، ترك وروم وصقالبة، فتعجبت من ذلك وقلت: هذا ولد بالمدينة ولم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن عليه السلام ولا رآه أحد فكيف هذا؟ أحدث نفسي بذلك، فأقبل عليَّ فقال: إن الله تبارك وتعالى بين حجته من سائر خلقه بكل شيء ويعطيه اللغات ومعرفة الأنساب والآجال والحوادث، ولولا ذلك لم يكن بين الحجة والمحجوج فرق»[٢].

ومما يؤيد أن الإمام وجب أن يكون عالماً بجميع اللغات، أنه لو حضر عنده خصمان بغير لسانه ولم يوجد هناك مترجم لزم تعطيل الأحكام[٣].

المطلب الثالث: تلامذة الإمام العسكري ودورهم الإيجابي.

على الرغم من أن الإمام العسكري عليه السلام، وبسبب الظروف العصيبة والمضايقات الكبيرة التي كان يتلقاها من الحكم العباسي، لم ينجح في بث معارفه الواسعة على نطاق المجتمع بشكل عام، غير أنّه ورغم تلك الظروف ربَّى وعلَّم طلاباً، كان لكل واحد منهم دور في نشر المعارف الإسلامية ومواجهة شبهات الأعداء.

وذكر الشيخ الطوسي في رجاله أنَّ تلامذة الإمام عليه السلام يزيدون على المئة منهم من أدرك الإمام الرضا والأئمة من بعده عليهم السلام، ومنهم من أدرك أباه الإمام الهادي عليه السلام فقط، وتشرف بعضهم بالوكالة من الإمام الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف[٤]، وكان

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٨٥؛ والمسعودي، إثبات الوصية، ص٢٥١؛ والهاشمي، علي بن الحسين، المطالب المهمة في تاريخ النبي والزهراء والأئمة مجالس مرتبة، ص٣١٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، ج٦، ص١٥٦.

(٤) ينظر، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، رجال الطوسي، ص٤٢٧ ـ ٤٣٨.

من بينهم شخصيات بارزة ووجوه معروفة ورجال فضلاء، مثل أحمد بن إسحاق القمي، وأبي هاشم داود بن قاسم الجعفري، وعبد الله بن جعفر الحميري، وأبي عمرو عثمان بن سعيد العمري، وعلي بن جعفر، ومحمد بن الحسن الصفار ...[١].

إنَّ عدد هؤلاء التلاميذ مختلف فيه من حيث القلة والكثرة، وقد قام الشيخ باقر شريف القرشي بإحصاء (١٠٧) من تلامذة الإمام ورواته وثقاته، وترجم لأغلبهم ترجمة جيدة، ويعدّ هذا العمل موفقاً وسديداً[٢].

وجاء بعده القزويني رحمه الله، فكانوا عنده (٢٦٣) راوياً ومحدثاً وصاحباً وتلميذاً، وعدّ مجلداً خاصاً بهم اشتمل على ثروة فكرية بناءة[٣].

وحقق الأستاذ محمد حسن آل ياسين في ذلك، فبلغت عدّتهم لديه (١٠٣)، راوياً ومحدثاً وصحابياً، إلّا أنّه ركز على ذوي المؤلفات منهم[٤].

ولقد أحصى الدكتور محمد حسين علي الصغير هذه المصنفات التي أوردها آل ياسين، لأصحاب الإمام العسكري عليه السلام، فكانت أربعة وتسعين كتاباً[٥].

أما الأستاذ الطبسي فيقول: وقد أحصيت أسماء أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام ورواة حديثه، فبلغت (٢١٣) محدثاً وراوياً[٦]، أما الشيخ المجلسي

(١) ينظر، البيشوائي، مهدي، سيرة الأئمة عليهم السلام ـ عرض وتحليل للحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية للأئمة المعصومين عليهم السلام، ص٥٥٧.

(٢) ينظر، القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٣١ - ١٧٥.

(٣) ينظر، القزويني، محمد كاظم، الإمام الحسين من العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص٢٥٠-٢٧٥.

(٤) ينظر، آل ياسين، محمد حسن، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٩٢-١٠٥.

(٥) ينظر، المصدر نفسه، ص٩٢-١٠٥.

(٦) ينظر، الطبسي، محمد جواد، حياة الإمام العسكري عليه السلام دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة

فأورد جملة صالحة من تلامذة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وثقاته وأصحابه والمقربين لديه، نقلا من المصادر المعتمدة، حيث ذكر (١٥) منهم، وهذا التعداد اختيار لأبرز الأصحاب[١].

يقول الشيخ آل ياسين: «أن الفضل الأكبر في وقوف الأجيال التالية لعصر الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام على تراثه العظيم وما حمل من فكر وعطاء إنما يعود إلى أولئك الرواة عنه والمشافهين له، الذين سمعوا منه ذلك فحدثوا به وأبلغوه إلى من جاء بعدهم فأنعموا علينا بالاطلاع عليه والإفادة منه والاهتداء بهديه، ونخصّ منهم أولئك النوابغ الواعين الذين بادروا إلى تدوين تلك الأمالي والأحاديث في كتب ومؤلفات حفظتها من الضياع وحمتها من النسيان، وكان فيهم من بوّب تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها، وفيهم من اكتفى بإيداع ما سمع من مجموعات أطلق عليها في فهارس تلك العصور اسم النوادر أو كتاب المسائل»[٢].

إنَّ ما قدمه هؤلاء التلاميذ والأصحاب والنواب والوكلاء والفقهاء والثقات والمصنفون، بالإمكان عده مصدراً رئيساً من مصادر الاطلاع على ظواهر علم الإمام في شتى حقول المعرفة الإنسانية، فلهم يعود الفضل، بما رووه ودونوه وما حدثوا به وما حبّروه بأقلامهم، من مدونات الإمام عليه السلام، وما نشروه، رغم ما منعوا به من التضييق الصارم والإجراءات العنيفة، ومع ذلك استطاعوا بدقة وأمانة وذكاء إيصال جملة من المكنونات الثمينة التي تشمل فتاوي الإمام عليه السلام، وآراءه ومخزونه الثقافي العظيم[٣].

الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٢٦٠-٣٠٦.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٦-٨٧.

(٣) ينظر، الصغير، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٧٩.

ولا يسع هذا البحث لبحث جهود هؤلاء الرجال ومساعيهم وخدماتهم، نظراً لكثرة هذه الأسماء وتشعب النشاطات التي قاموا بها وطول شرحها، فسنكتفي بهذا القدر الذي ذكرناه، ومن الجدير بالذكر أنه قد تم إعداد هذا الجيل من الرواة والثقات والأصحاب من قبل الإمام العسكري عليه السلام تمهيداً لأحوال الغيبة، واستعداداً للشأن المستقبلي الذي ستواجهه الأمة.

عوداً على بدء، وخير ما نختم به كلامنا أنَّ التراث الفكري والعلمي للإمام العسكري عليه السلام المشهود له بما عرف عنه من امتياز وتقدم وانفراد في العلم والفضل، كان على هذا المستوى الرفيع من سمو الشأن وتدفق الفيض وسعة الامتداد ووفرة العطاء، وعلى تلك الدرجة العليا من عمق النظر ودقة التحقيق والتحليل، فقد ثبت أنَّ الإمام عليه السلام كان يسقي جميع المعارف والأفكار من منابعها، ويستمدها من معادنها المرتبطة بوحي الله تعالى وكتابه المنزل، وبالصحيح المسند من سنة نبيه المرسل صلى الله عليه وآله.

كما يخطئ من يظن أن الأئمة الاثنى عشر من آل رسول الله صلى الله عليه وآله هم أئمة للشيعة الإمامية الاثني عشرية، وأن تراثهم العلمي، وعطاءهم الفكري، وجهادهم العظيم للدفاع عن حياض القرآن الكريم والسنة الشريفة، هو دفاع عن الشيعة والتشيع لا غير، وإنما هم رحمة الله تعالى لهذه الأمة من الخلاف والاختلاف[1].

(١) ينظر، عمرو، يوسف، أهل البيت عليهم السلام بنظرة وحدوية حديثة، ص١٥٣.

الخاتمة:

عبر هذا البحث، حاولت إبراز أهم النقاط الاتية:

١. إنَّ دراسة سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام تعتبر من الأُسس القويمة للبناء الفكري والمنهج السلوكي لديننا الحنيف؛ لأنهم الامتداد الحقيقي لنهج النبوة وسيرتها المعطاء، والحماة الأمناء لمفاهيم الرسالة وعقائدها من حالة التردي والتحريف والضلال.

٢. إنَّ أهم ما يستوقف الباحث في حياة الإمام العسكري عليه السلام هو كونه آخر إمام ختمت به الإمامة الظاهرة، ليبدأ بعده عصر الغيبة الذي بدأت تباشيره وأوشك زمانه، لذلك وقع على الإمام العسكري عليه السلام العبء الأكبر في ترسيخ مبدأ الغيبة وتأصيله في نفوس شيعته للحفاظ على خطهم الرسالي من الضياع والإنهيار.

٣. في عهد الإمام العسكري عليه السلام، حققت إمامة أهل البيت أكبر أهدافها وبلغت أوسع مداها في مجال صيانة الشريعة الإسلامية ونشر المذهب الحق، وبناء الجماعة الصالحة، فقد انتشرت دعوة أهل البيت عليهم السلام، في عموم العالم الإسلامي، وقد تأهل على يد الأئمة الأطهار عليهم السلام عدد كبير من العلماء والفقهاء ليسدوا جانباً كبيراً من حاجات الأمة.

٤. من أهم الجوانب المضيئة في حياة الإمام عليه السلام هو الجانب العلمي والفكري الذي أولاهما اهتماماً كبيراً لما لهما من أهمية قصوى في حياة الأمة، فكان ملاذ العلماء ومفزع المتكلمين ومصباح هداية للطلاب والمسترشدين.

٥. على الرغم من إقصاء الإمام العسكري عليه السلام، عن موقعه الريادي والقيادي، فقد استطاع أن ينهض بمهمته الرسالية، فكان له رصيد علمي وعطاء معرفي واسع، حيث واصل نشاط مدرسة آبائه المعصومين عليهم السلام من حيث المنهج والمصدر والمادة، فكان لها دور بارز في رفد تلك المدرسة بالمادة العلمية اللازمة على مختلف الأصعدة.

٦. إن ما قدمه تلاميذ الإمام عليه السلام والأصحاب والنواب والوكلاء والفقهاء والثقات والمصنفون بالإمكان عدّه مصدراً رئيساً من مصادر الاطلاع على ظواهر علم الإمام عليه السلام في شتى حقول المعرفة الإنسانية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن الحنفي، (ت ٦٥٤هـ) تذكرة الخواص، المعروف بـ (تذكرة خواص الأمة)، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٤).

٢. ابن الصباغ، على بن محمد بن أحمد المالكي المكي، (ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في أحوال الأئمة عليهم السلام، ط٢، (بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٨م).

٣. ابن الوردي، زين الدين عمر، تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي، تحقيق وإشراف: أحمد رفعت البدري، ط١، (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٠م).

٤. ابن جرير، أبو جعفر محمد بن رستم الطبري، (من أعلام القرن الرابع الهجري)، دلائل الإمامة، ط٢، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٨م).

٥. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، (القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٤٨م).

٦. ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن نصر بن أبي الجيش السروي المازندراني، (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، تحقيق: علي السيد جمال أشرف الحسيني، ط١، (قم، شريعت، ١٤٣٢هـ).

٧. الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأمة، قدم له: أحمد الحسيني، ط١، (قم، مطبعة شريعت، ١٤٢١هـ).

٨. الاشهب، منصور الباز، بحر الأنساب الكبير في أنساب العلويين، تحقيق وتصحيح: قيس آل قيس، ط١، (طهران، د، مط، ١٣٨٥ش).

٩. آل ياسين، محمد حسن، الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ط٣، (بغداد، دار نرجس، ٢٠١١م).

١٠. الإمام العسكري عليه السلام (ت ٢٦٠هـ)، تفسير الإمام العسكري عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ط١، (قم، مهر، ١٤٠٩هـ).

١١. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق وإخراج: حسن الأمين، ط٥، (بيروت، دار التعارف، ١٩٩٨م).

١٢. الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي، (ت١٣٩٠م)، موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والآداب، (قم، مؤسسة دائرة المعارف، ٢٠٠٥م).

١٣. الباني، عصري، الحياة السياسية للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ط١، (قم، مطبعة عترة، ١٤٣٢هـ).

١٤. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، (٤٣٦هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة٤٦٣هـ، (بيروت، دار الكتب العلمية، د، ت).

١٥. البيشوائي، مهدي، سيرة الأئمة عليهم السلام ـ عرض وتحليل للحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية للأئمة المعصومين عليهم السلام، قدم له: جعفر السبحاني، تعريب: حسين الواسطي، (قم، مطبعة اعتماد، ١٤٢٣هـ).

١٦. جعفريان، رسول، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، ط١، (بيروت، دار الحق، ١٩٩٤م).

١٧. الحداد، عبد السادة، الإمام الحسن العسكري عليه السلام ورواياته الفقهية ـ دراسة في دلالات المتون، ط١، (كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٥م).

١٨. الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، صححه وعلق عليه: على أكبر الغفاري، (قم، مؤسسة النشر

الإسلامي، ١٤٠٤هـ).

١٩. الحسيني، محسن الأمين، في رحاب أهل البيت عليهم السلام، (بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٢م).

٢٠. الخصيبي، أبو عبد الله الحسين بن حمدان، (ت، ٣٣٤هـ)، الهداية الكبرى، ط٢، (بيروت، مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٥م).

٢١. شبر، عبد الله (١٢٤٢هـ)، جلاء العيون، حققه وعلق عليه: علي بن محمد بن علي بن حسين بن المؤلف السيد عبد الله، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٤م).

٢٢. شعبة التبليغ، شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري، ط٢، (النجف، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٦م).

٢٣. الصدوق، (ت ٣٨١) علل الشرائع، تحقيق وتقديم: محمد صادق بحر العلوم، (النجف، مطبعة المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦م).

٢٤. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، قدم له: محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٦٦٩م).

٢٥. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، التوحيد، صححه وعلق عليه: هاشم الحسيني الطهراني، ط٨، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٣هـ).

٢٦. الصغير، محمد حسين علي، الإمام الحسن العسكري عليه السلام وحدة الهدف وتعدد الأساليب، ط١، (بيروت، مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٩هـ).

٢٧. الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ، (ت ٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات، ط١، (بيروت، الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٠م).

٢٨. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس) إعلام الورى بأعلام الهدى، قدم له: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٣، (النجف، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ١٩٧٠م).

٢٩. الطبسي، محمد جواد، حياة الإمام العسكري عليه السلام دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ط٣، (قم، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٢٤هـ).

٣٠. الطوسي، (ت٥٤٨هـ)، الاحتجاج، تحقيق وملاحظات: محمد باقر الخرسان، (النجف، دار النعمان للطباعة، ١٩٦٦م).

٣١. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، رجال الطوسي، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد صادق آل بحر العلوم، ط١، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦١م).

٣٢. الطوسي، عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي، المعروف بابن حمزة، (من أعلام القرن السادس)، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط٢، (قم، مؤسسة انصاريان، ١٤١٢هـ).

٣٣. عبد الوهاب، حسين، عيون المعجزات، (د، م، د، مط، د، ت).

٣٤. عمرو، يوسف، أهل البيت عليهم السلام بنظرة وحدوية حديثة، ط١، (بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٨م).

٣٥. فضل الله، محمد حسين، في رحاب أهل البيت عليهم السلام، إعداد: شفيق محمد الموسوي، وسليم الحسني، ط١، (بيروت، دار الملاك، ٢٠٠١م).

٣٦. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة وتحليل، ط١، (بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٨م).

٣٧. القرشي، باقر شريف، نفحات من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ط٦، (قم، مطبعة شريعت، ٢٠٠٧م).

٣٨. القزويني، محمد كاظم، الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد، ط١، (قم، لسان الصدق، ٢٠٠٥م).

٣٩. الكاظمي، حيدر الحسني، (ت، ١٢٦٥هـ)، عمدة الزائر في الأدعية والزيارات، ط٣، (بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٩م).

٤٠. الكاظمي، سامي جواد المنذري، راقدون عند العسكريين عليهما السلام، ط١، (قم، مطبعة شريعت، ٢٠١٤م).

٤١. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، (ت، ٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، ط٧، (قم، حيدري، ١٣٨٣ش).

٤٢. المجلسي، محمد باقر (ت،١١١١هـ)، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، تحقيق وتقديم: مرتضى العسكري، ط٢، (طهران، مطبعة خورشيد، ١٤٠٤ه).

٤٣. المجلسي، محمد باقر، (ت، ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ط٣، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م).

٤٤. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، إعلام الهداية الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، ط١، (بيروت، دار الاميرات، ٢٠٠٥م).

٤٥. المدرسي، محمد تقي، الإمام العسكري عليه السلام قدوة وأسوة، ط٢، (بيروت، دار كميل للطباعة، ٢٠١٠م).

٤٦. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذيلي، (ت، ٣٤٦هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط٢، (بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٨م).

٤٧. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، (ت٤٣١هـ)، الإرشاد،

ط١، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٨م).

٤٨. النجفي، محمد حسن (ت١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، علق عليه: عباس القوجاني، ونهض بشروعه: علي الآخوند، ط٧، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨١م).

٤٩. الهاشمي، علي بن الحسين، المطالب المهمة في تاريخ النبي والزهراء والأئمة مجالس مرتبة، ط١، (النجف، مطبعة المكتبة الحيدرية، ١٩٦٨م).

٥٠. اليوسف، أحمد، سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية والعلمية والسياسية للإمام العسكري (٢٣٢ـ ٢٦٠هـ/ ٨٤٦ـ ٨٧٣م)، ط١، (بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠١٤م).

البحث السابع والعشرون

التنشئة الاجتماعية في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام

م.م. ستار جليل عجيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

تعد الحياة الاجتماعيّة جانباً مهماً من جوانِب الحياة الإنسانية والتي لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها، وكلما بنيت على أسس قوية كلما كانت أكثر تماسكاً، مما سينعكس إيجابا ذلك على المجتمع الذي سيصبح مجتمعاً آمناً تسود فيه القيم التي تنشدها الشرائع السماوية، وذلك لن يتم إلّا عند الاتصاف بمحاسِن الأخلاق والتعامُل بـ الصِّدق والأمانة والإخلاص وتقديم يد المساعدَة والابتعاد عن الغيبة والنميمة وأذى الآخرين؛ فالحياة الاجتماعيّة السليمة يجب أنْ تسودها الأخلاق الفاضِلة، ومعرِفة كلّ شخصٍ حدوده فيها لا يمكنه تجاوزها؛ لأنَّ في ذلك تجاوزاً على حرمات الآخرين، ولهذا فقد اشتمَل القرآن على إشارات كثيرة تعالج مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، بدءاً من الأسرة بجميع مكوناتها ومروراً بالمجتمع بجميع فئاته، وقد أردنا تتبع النشاط الاجتماعي للإمام عليه السلام ضمن هذا الجانب الإنساني القائم على التعاليم القرآنية والسنة النبوية، والهدف من هذا البحث هو إظهار المنهج الاجتماعي الذي نهجه الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأهم النقاط الاجتماعية التي توقف عندها الإمام بأقواله وأفعاله وأثرها على المجتمع الإسلامي، فوجدنا الإمام في أقواله غالباً ما يركز على الفرد ويعده الحلقة الأساسية بين الأسرة والمجتمع، فإذا صلح الفرد صلحت الأسرة وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وقد اقتضت الدراسة تتبع هذا الجانب من خلال المفردات التالية (مواجهة الانحرافات الاجتماعية والتحذير منها، الدعوة إلى الفعل الحسن، الجانب الأسري المتمثل بـ (الزواج ـ وتنشئة الاطفال)،

صلة الأرحام، الصديق والصداقة، حقوق الجار، الفقر والفقراء، اليتامى) .

وبلا شك فهي من المواضيع المهمة التي تمثل الجانب الآخر من نشاط الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي لم يسلط عليه الضوء بشكل واضح، ولم نجد من الدراسات التاريخية التي تتبعت النشاط الاجتماعي للإمام عليه السلام، فقد جرى تركيز معظم الدراسات على الجانب السياسي والديني في حياة الإمام عليه السلام دون التركيز على الجوانب الأخرى ذات الأهمية والتي تعكس دور الأئمة عليهم السلام ونشاطهم في المجتمع .

المقدمة:

حظيت التنشئة الاجتماعية باهتمام كبير في مختلف مجالات الحياة، لأن الاهتمام بها من شأنه، أن يحول الإنسان تلك المادة العضوية إلى فرد اجتماعي قادر على التفاعل والاندماج بسهولة مع أفراد المجتمع، فهي عملية تعلم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف في منظور أهل البيت عليهم السلام إلى إكساب الفرد أكان (طفلاً ـ مراهقاً ـ راشداً أو شيخاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة، لأدوار اجتماعية مهنية تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معاً وتكسبه الطابع الاجتماعي وتسير له الاندماج في الحياة الاجتماعية، وقد ركز الإمام الحسن العسكري في أفعاله وأقواله ووصاياه على فئات المجتمع كافة، لذلك جاء البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

أما التمهيد فتناول التنشئة الاجتماعية بشكل عام متمثلة في النهي عن الآفات الاجتماعية القاتلة التي تودي بالمجتمع إلى الهاوية ان استشرت به ـ لا قدر الله ـ فشخصها الإمام عليه السلام بأقواله ووصاياه ووضع لها حلولاً، فجعل التقوى علاجاً ناجعاً لها، وبعدها جاءت الدعوة إلى الفعل الحسن مستنداً فيه إلى القرآن الكريم والى أقوال الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته؛ لذلك نجد دائماً ما تكون دعوته مؤثرة في المجتمع، وهو ما ظهر جلياً في ثنايا البحث.

أما المبحث الأول فقد خصصناه بأهم مقوّم من مقومات المجتمع ألا وهي الأسرة، فظهرت على شكل متسلسل في أقوال وأفعال الإمام عليه السلام، فبدأنا أولاً باختيار الزوجة؛ لأنها أساس البيت والمجتمع، فإذا صلحت الزوجة صلح البيت وإذا صلح البيت صلح المجتمع، وبعدها انطلقنا إلى علاقته الأبناء بالآباء وعلاقتهما بالأرحام.

والمبحث الثاني تكلمنا فيه عن فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام في بناء المجتمع ابتداءً من اختيار الصديق، وقد بين الإمام عليه السلام أسس اختيار الصديق، كذلك علاقة الأسرة مع الجار، على اعتبار أنه وصية الرسول الكريم، وتكلمنا فيه عن الفقر ورعاية

الايتام وكيف كان الإمام يوصي أصحابه بضرورة محاربة الفقر من خلال التكافل الاجتماعي، وكذلك حثه على رعاية الايتام ولاسيما أيتام آل محمد عليهم السلام.

أما المبحث الثالث فقد أفردته للحديث عن المعلم في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام على اعتبار انه باني أساسات المجتمع وكيفية العلاقة معه، وبعدها جاءت الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

أولاً: مواجهة الانحرافات الاجتماعية:

يرتبط منهج أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الانحرافات الاجتماعية بالمنهج القرآني؛ لأنَّ القرآن الكريم يمثل حلقة الوصل بين جميع فئات المجتمع؛ لذا كان أهل البيت عليهم السلام يبحثون عن أقصر الطرق للوصول إلى المجتمع، ولا شك أنَّ ديناً متكاملاً كالإسلام لا بد وان يطرح للإنسانية نظاماً يعالج فيه مختلف زوايا الانحراف، ويحلل بكل دقة دوافع الانحراف الاجتماعي في المجتمع الإنساني، ويشرع على ضوء ذلك أحكاماً دينية لقلع منشأ الانحراف من جذوره الغائرة في عمق النفس البشرية. وهو بذلك يتميز عن كلّ الأنظمة الموجودة على الساحة الاجتماعية بشموليته ودقته وعدالته وتكامله في معالجة الانحرافات الاجتماعية معالجة حقيقية.

وكان النهج القرآني في معالجة الانحرافات الاجتماعية نهجاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، فقد ذكر القرآن الكريم الانحرافات بمسمياتها كالزنا وشرب الخمر والربا والنفاق والكذب والرياء والظلم وغيرها من المفردات الصريحة، وأكد القرآن الكريم في منهجه على مواجهة الانحرافات الاجتماعية بمنهج وقائي قائم على أساس التقوى التي تمنع الإنسان من الانحراف، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٨ – ٢٧٩.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

وفي سنّة النبي محمد صلى الله عليه وآله الكثير من الموارد التي تدعو إلى التقوى وتجنب الانحراف بشتى أشكاله، وقد جاء عنه صلى الله عليه وآله: «أمركم بالورع والاجتهاد وأداء الأمانة وصدق الحديث، وطول السجود والركوع، والتهجد بالليل، وإطعام الطعام وإفشاء السلام[١].

وقال صلى الله عليه وآله: «عليك بتقوى الله ما استطعت، واذكر الله عند كل حجر وشجر، وما عملت من سوء فأحدث لله فيه توبة السرّ بالسرّ والعلانية بالعلانية[٢].

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام جزءاً من هذه المنظومة الاجتماعية، التي حاربت الانحراف الاجتماعي ودعت للرجوع إلى الفطرة النقية التي فطر الله الناس عليها.

فقد كان عليه السلام دائماً ما يحذر أصحابه ويوصيهم بتقوى الله ويحذرهم من الابتعاد عن الأحكام الإلهية، وبلا شك فإنَّ الابتعاد عن تلك الاحكام يؤدي إلى الانحراف الاجتماعي الذي يجرّ المجتمع إلى حالة من التمزق والتشرذم.

فقال عليه السلام من وصية له لأصحابه جامعة لكل معاني الخير: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه، وأدى الأمانة، وحَسُن خلقه من الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك. اتقوا الله وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حَسنٍ فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما

(١) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص٢٥، الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٤، ص٤٢٦.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٠، ص١٥٩، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٤، ص٢١٨، الهندي، المتقي، كنز العمال، ج١٥، ص٨٢٦.

نحن كذلك... احفظوا ما وصيّتكم به، واستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام»[١].

وبلا شك فإنَّ كلَّ ما أوصى به الإمام عليه السلام يهدف ومما لا شك فيه أنَّ الإمام في تلك الوصية حريص على ضرورة تنشئة المجتمع تنشئة اجتماعية صحيحة، وهي تقبل الآخر وعدّه جزءاً من ذلك المجتمع.

وقال عليه السلام في وصية أخرى لأحد أصحابه، وهي بلا شك وصية عامة لجميع المؤمنين، نجد فيها جميع المضامين الإصلاحية التي تعود بالنفع على الأفراد بشكل خاص والمجتمع بشكل عام ومما جاء فيها: «عليك بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإنه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم **الغيظ** وصلة الرحم، ومواساة الأخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ واجتناب الفواحش كلها.

ثانياً: محاربة آفات المجتمع:

وكان عليه السلام ينهى عن الإسراف المذموم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾[٢]، وفي وصية له عليه السلام لأحد أصحابه، وهو محمد بن حمزة الدوري يقول له: «عليك بالاقتصاد، وإياك والإسراف فإنَّه من فعل الشيطان، وقد عمل محمد بوصية الإمام عليه السلام فقال: «زال عني الفقر، فأديت حق الله تعالى

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧، العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٢، الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤١، الريشهري، ميزان الحكمة، ج٤، ص٣٥٤٧.

(٢) سورة غافر، الآية٤٣.

وبررت اخواني وتماسكت بعد ذلك وكنت مسرفاً»[١].

ومن الانحرافات الأخرى التي تصدى لها الإمام عليه السلام هي شرب الخمر، والتي كانت كما يبدو ظاهرة مستشرية في المجتمع حتى في قصور بني العباس، فقد ذكر لنا الرواة حادثة وقعت مع أحد العلويين، وهو الحسين بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، الذي كان كما يبدو من الرواية مجاهراً في شرب الخمر، وفي ذلك يقول العلّامة المجلسي: (**كان ... يشرب الخمر علانية**)[٢] وبتأثير من الإمام الحسن العسكري عليه السلام ندم على فعله وتاب عن شرب الخمر ورجع إلى بيته، فأهرق الخمور وكسر آلاتها وصار من الأتقياء الورعين والصلحاء المتعبدين معتكفاً حتى أدركه الموت ودفن قريباً من مزار السيدة فاطمة المعصومة[٣].

ولا يختلف اثنان في الأثر الاجتماعي الذي يترتب على شرب الخمر والمفاسد التي تتفشى في المجتمع، فقد نهى الله تعالى عنها وأمر باجتنابها في أكثر من موضع، ومنها قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ**﴾[٤].

كما تصدى عليه السلام للظواهر الاجتماعية الأخرى ومنها الكذب، الذي يتنافى مع صفة الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ**

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٢٣.

(٢) المالكي، ابن الصباغ، الفصول المهمة ج٢، ص١٠٨٣، الشبلنجي الشافعي، نور الابصار، ص٣٤٤.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٢٣، محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٥، ص٤٨٩.

(٤) سورة المائدة، الآية٩٠ – ٩١.

﴿وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾[١] إذ جعلها الإمام الحسن العسكري عليه السلام بمثابة أم الخبائث فقال: «جعلت الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحها الكذب»[٢].

وكان يحذر أتباعه من مخالفة أوامر القرآن الكريم ونواهيه، ففي مجلس له ضم جماعة من العلويين وبني هاشم خاطبهم محذراً لهم: «إياكم أن تكونوا من الذين قال تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٣].

وهو منهج أتبعه أهل البيت عليهم السلام في التأكيد على ربط المؤمنين بالقرآن فهو مجمع لكل الفضائل، ومن أراد بناء مجتمع سليم معافى من الأمراض الاجتماعية فعليه بالقران، وقد كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المدافعين عن القرآن الكريم بما يحاوله بعض الناس من اللبس على الجماهير بمحاولة الإساءة إلى القرآن الكريم، فقد تعاهد أئمّة أهل البيت عليهم السلام حفظ كتاب الله تعالى، والوقوف بوجه مَن أراد النيل منه، والإساءة إليه، ولعلّ من أوضح الوقائع ما حدث في زمنه عليه السلام، فقد وقف الإمام بوجه أكبر محاولة تخريبية استهدفت القرآن الكريم من قبل الفيلسوف الكندي (١٨٥ هـ/ ٨٠٥ - ٢٥٦ هـ/ ٨٧٣)، فتصدّى له الإمام عليه السلام بحزم وأنهى محاولته التخريبية تلك، إذ ورد في الروايات أنَّ هذا الفيلسوف قد جمع جملة من الآيات المتشابهة التي يبدو للناظر فيه أنّها تنطوي على نوع من التناقض، وكان ينوي نشرها تحت عنوان: (تناقضات القرآن الكريم)، وهذه المحاولة قد استهدفت سند الرسالة والنبوّة، ورمز الكيان الإسلامي الأوّل، وأساس وحدة المسلمين، فلم يلتفت أحدٌ إلى مدى خطورة هذه المحاولة وتأثيرها السلبي على عامّة المسلمين، بالإضافة إلى ما تعطيه هذه

(١) سورة النحل، الآية١٠٥.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٩، ص٢٦٣، النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ج٢، ص٢٤٩، الشيخ الأنصاري، المكاسب، ج٢، ص١٢.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٤٥٥.

المحاولة من ذريعة بيد أعداء الإسلام والمسلمين، غير أن الإمام عليه السلام قد اطّلع على هذه المحاولة وأجهضها وهي في مهدها، حيث دخل أحد تلامذة الكندي على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال له الإمام عليه السلام «أما فيكم رجل رشيد يردع أُستاذكم الكندي عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟

قال التلميذ: نحن تلامذته كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟

فقال له الإمام عليه السلام «أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم.

قال الإمام عليه السلام: فصر إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأُنسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنّه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلّم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلّم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنّك ذهبت إليها؟

فإنّه سيقول لك: إنّه من الجائز؛ لأنّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعلّه أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فيكون واضعاً لغير معانيه.

ثمّ إن الرجل صار إلى الكندي، ولمّا حصلت المؤانسة ألقى عليه تلك المسألة، فقال الكندي: أعد عَلَيَّ، فتفكّر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر.

فقال الكندي: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟

فقال تلميذه: إنّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلّا ما مثلك مَن اهتدى إلى هذا، ولا مَن بلغ هذه المنزلة، فعرّفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام فقال: الآن جئت به، ما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت. ثم دعا بالنار وأحرق ما كان ألّفه»[1].

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٢٦، العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠، ص٣٩٢؛ القمي، عباس، الأنوار البهية، ص٣١٦.

مما لا شك فيه عندما يتأزم الوضع السياسي، وتتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، يكون المناخ العام مهيَّأ لاستقبال موجات الانحراف والسلوك المنحرف مما يتنافى مع العقيدة الإسلامية، ويتقاطع مع الفكر السليم، حينذاك تكثر الدعوات الضالة وتجتمع الفرق المنحرفة بين حين وآخر.

كما حذر من النفاق وهو أحد الأمراض الاجتماعية، التي تؤدي إلى تفكيك المجتمع وانعدام الثقة بين افراده، وقد ذمه الله تعالى في كتابه الكريم في مواضع عدة مبينا مفاسده وعاقبته ووعد المنافقين الدرك الأسفل من النار، فقال عز من قائل: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً، مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلْ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾[2] ودائماً ما تأتي إشارات الإمام عليه السلام متلائمة مع القرآن الكريم لتكون أقرب إلى القلب فيتقبلها المقابل، فقد ذم المنافق بقول: «بئس العبد عبد يكون ذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إنْ أعطي حسده وإنْ ابتلي خذله»[3] وكان عليه السلام دائماً ما كان يحذر أتباعه من الإنصراف إلى الهوى أو التخاصم، مذكراً إياهم ومحذراً مما أوجب الله لمن عصاه، فقد أوصى عليه السلام أحد أصحابه، وهو إسحاق بن إسماعيل، محذراً إياه وأصحابه مما انتهى إليه منهم وتكاسلهم عن إخراج الحقوق الشرعية التي أوجبها الله تعالى عليهم، فقال عليه السلام: «ولقد طالت المخاطبة فيما بيننا وبينكم فيما هو لكم وعليكم، ولولا ما يجب من تمام النعمة من الله عزَّ وجلَّ عليكم لما أريتكم لي خطاً ولا سمعتم مني حرفاً من بعد الماضي، أنتم في غفلة عما إليه معادكم».

---

(١) سورة النساء، الآية ١٤٢ – ١٤٣.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٥.

(٣) الشهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج١، ص٢٧٥؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤١.

ومما جاء فيها: «ولقد كانت منكم أمور في أيام الماضي عليه السلام[١] إلى أن مضى لسبيله، صلى الله على روحه، وفي أيامي هذه كنتم بها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق. واعلم يقيناً يا إسحاق أنَّ من خرج من هذه الحياة أعمى فهو في الاخرة أعمى وأضل سبيلاً، إنَّها يا ابن إسماعيل ليس تعمى الأبصار لكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه للظالم «رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً»، وقال الله عزَّ وجلَّ «كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ... فتذهبون كالأنعام على وجوهكم عن الحق تصدفون، وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون، أو تكذبون، ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم إلا خزي في الحياة الدنيا الفانية، وطول عذاب الآخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم»[٢]. وهي رسالة طويلة وتعد من توقيعاته المهمة التي كتبها إلى إسحاق بن إسماعيل فيها تحذير شديد من الانحراف والبخل ومنع الحقوق من أصحابها الشرعيين، لما في ذلك من المفاسد الاجتماعية التي تؤدي إلى استشراء الفقر، وحلول النقمة بعصيان الله جل وعلا الذي أوجب إخراج هذه الحقوق إلى أصحابها الشرعيين، وهي من الأسباب المهمة التي دفعت بالإمام إلى إخراج هذه الرسالة إلى إسحاق بن إسماعيل، بدليل قوله عليه السلام: في الفقرات الأخيرة منها: «وفرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها إليهم، ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم ومعرفتكم بذلك النماء والبركة والثروة وليعلم من يطيعه منكم بالغيب قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾[٣]. واعلموا أنَّ من يبخل فإنما يبخل على نفسه، وأن

---

(١) يقصد أيام أبيه علي الهادي عليه السلام.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٤؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٤٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١٩ .

(٣) سورة الشورى، الآية ٢٣.

الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه وأوصاهم بالتأكيد على دفع الحقوق وحدد لهم ثقاته الذين يستلمون هذه الحقوق حينما قال: وكل من قرأ كتابنا هذا من موالي من أهل بلدك، ومن هو بناحيتكم، ونزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق: فليؤد حقوقنا إلى إبراهيم بن عبده.

ثالثاً: توجيه المجتمع في المسار الصحيح:

بعد أن واجه الإمام الحسن العسكري عليه السلام الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية لم يترك الناس حيارى إلى أين يذهبون بل دعاهم إلى الفعل الحسن وذلك وفقاً لما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ، وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾[1].

وقد سار أهل البيت عليهم السلام في الدعوة إلى الله على نهج القرآن والنبي الأكرم وهم المصداق الأكمل لدعوى القرآن الكريم وهم عدل القران وأحد الركنين اللذين أمر الله تعالى بالتمسك بهما، وقد سار أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام على خطى آبائه وأجداده في الدعوة إلى الله ووجوب طاعته والتحذير من عذابه في حال مخالفته، كانت تلك أخلاقه منذ الطفولة، ورغم الظروف السياسية التي عاشها الإمام عليه السلام إثر إقامته القسرية في سامراء وفرض الإقامة الجبرية عليه ومنعه من انبساط الفتوى مع المسلمين وحرمان الشيعة من اللقاء به ومجالسته إلّا خفية فإنَّ ذلك لم يثنه عن واجبه التشريعي وحمل أثقال الإمامة وتوجيه الناس إلى الفعل الحسن سواء بشكل مباشر كلما سنحت الفرصة، أو في السجن، أو عن طريق مراسلاته مع وكلائه وثقاته، أو عن طريق تحرير المسائل الشرعية والإجابة عن المسائل الفقهية والعقائدية التي ترد من شيعته ومواليه، وكانت هذه الاستفتاءات ترده في حال وجوده في بيته

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥-١٢٦.

معزولا أو في حال احتجازه في المعتقلات.

فقد رآه بهلول ذات يوم والصبيان يلعبون والإمام ينظر إليهم ويبكي فقال بهلول قلت هذا صبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء معه فقلت: أي بني ما يبكيك؟ اشتري لك ما تلعب به؟ فرفع بصره إليه وقال: «يا قليل العقل ما للعب خلقنا. فقلت لم خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقلت: من أين لك هذا بارك الله فيك؟ قال من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾... فقلت: أي بني ما أنزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب؟ قال: اليك عني يا بهلول، رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد الا بالصغار، وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم»[1]. هذا عندما كان حاضراً في مجتمعه أي ليس تحت الإقامة الجبرية أو في السجن.

وكان الإمام عليه السلام يتصل بشيعته عن طريق وكلائه وثقاته خارج سر من رأى عن طريق الرسائل والتوقيعات التي كانت تصدر بين حين وآخر لوكلائه وأتباعه ومنها رسالته إلى إسحاق بن إسماعيل في نيسابور التي تضمنت الدعوة إلى الأخلاق والالتزام بأوامر الله ونواهيه فقال عليه السلام: «إن الله بفضله ومنّه لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض عليكم لحاجة منه إليكم، بل برحمة منه لا اله الا هو عليكم، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتتسابقوا إلى رحمته، وتتفاضل منازلكم في جنته، ففرض عليكم الحج والعمرة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية، وكفاهم لكم باباً، ولتفتحوا أبواب الفرائض، ومفتاحا إلى سبيله»[2].

(١) الشيرواني، حيدر، مناقب أهل البيت، ص٢٩٣.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٤؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ج٢، ص٤٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١٩.

كما أنَّ العصر الذي عاشه الإمام كان عصر انحرافات فكرية حتى من قبل بعض أتباع أهل البيت عليهم السلام كالواقفية[١]، كما أنَّ الإمام عليه السلام تصدى للغلو الذي ظهر عند البعض ممن ينتمي إلى مدرسة أهل البيت فأرسل إليهم بكتاب توبيخ لهم مما جاء فيه: «فقد بلغني ما أنتم عليه من اختلاف قلوبكم، وتشتيت أهوائكم، ونزغ الشيطان، حتى أحدث لكم الفرقة والإلحاد في الدين، والسعي في هدم ما مضى عليه أوائلكم من إشادة دين الله، وإثبات حق أوليائه، وأمالكم إلى سبيل الضلالة، وصد بكم عن قصد الحق، فرجع أكثركم القهقرى على أعقابكم»[٢].

لذا فقد أراد الإمام عليه السلام بوصيته لأتباعه وشيعته اندماجهم في المجتمع وليعكسوا الصورة الحقيقية لشيعته، بعيداً عن المنحرفين والغلاة ممن ينتسبون لمدرسة أهل البيت، وأوصى الإمام الحسن العسكري عليه السلام الفقيه ابن بابويه القمي فقال: «أما بعدُ: أوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقيهي أبا الحسن علي بن الحسين القمي ـ وفقك الله لمرضاته، وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته ـ بتقوى الله وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة، فإنه لا تقبل الصلاة من مانعي الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الاخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... فاصبر يا شيخي وأمر جميع شيعتي بالصبر»[٣].

---

(١) هم فرقة من المتصوفة المبطلة وقفوا على الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، فلم يقولوا بإمامة من بعده، حيث زعموا أن الإمام الكاظم عليه السلام لم يمت وأنه حي، وأنهم ينتظرون خروجه حيث إنه دخل في غيبة. ينظر، القمي، المقالات والفرق ص٩٣-٩٤.

(٢) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص٧٤٨.

(٣) الميرزا النوري، خاتمة المستدرك، ج٣، ص٢٧٧؛ القمي، عباس، الكنى والألقاب، ج١، ص٢٢٢.

وهي وصية تحمل معاني الأخلاق التي حرص أهل البيت على تعليمها لاتباعهم وتحمل في طياتها الكثير من معاني الخلق الرفيع التي تحلى بها أهل بيت العصمة والطهارة، وهي وإن كانت تحمل الطابع الفردي كونها موجهة إلى الفقيه ابن بابويه إلا أنها في الوقت نفسه تحمل دلالات اجتماعية، وهي بمثابة خطاب موجه من قبل الإمام الحسن العسكري عليه السلام لشيعته واتباعه عن طريق ابن بابويه، وقال عليه السلام من كلام له: «اعلم أنّ الإلحاح في المطالب يسلب البهاء، ويورث التعب والعناء، فاصبر حتى يفتح الله لك بابا يسهُل الدخول فيه فما أقرب الصنيع من الملهوف، والأمن من الهارب المخوف! فربما كانت الغِيَر نوع من أدب الله، والحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، وإنما تنالها في أوانها»(١).

وعندما يطالع الإنسان في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام بشكل عام وسيرة الإمام العسكري بشكل خاص يجد انهم أرادوا من أصحابهم وشيعتهم أن يكونوا أفضل الناس في المجالات العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية كافة بحيث يصلون إلى مرتبة يكونون فيها القدوة والمثل الأعلى لغيرهم، وذلك لأنهم ينتمون إلى أفضل الأديان وينسبون إلى أعظم الرجال، فلا بدّ أن يكونوا على مستوى هذه النسبة.

وكما يتمنى الوالد لولده أن يكون أفضل الناس لنسبته إليه كذلك فإنهم يتمنّون من أتباعهم أن يكونوا أفضل الناس لنسبتهم إليهم.

وتتحقق هذه الأفضلية من محبيهم وأتباعهم بالعمل على أن يكونوا أفضل الناس في مجال الأمور العقائدية بحيث إنهم يبزون غيرهم في مجال المناظرات الكلامية والفكرية والأمور العبادية، بأن يكونوا أعبد الناس، وأورعهم، والأمور الأخلاقية، بأن يكونوا أصدق الناس. وأوفاهم بالوعد، وأكرمهم، وأحلمهم، وأصبرهم،

(١) الحلي، ابن فهد، عدة الداعي، ص١٢٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠ ن ص٣٧٨؛ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٣، ص٢٩ .

وأشكرهم، وأرضاهم، وأتقنهم عملاً، وغير ذلك من المفردات الأخلاقية.

المبحث الأول: فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام في بناء الأسرة

اولاً: اختيار الزوجة:

رغبت الشريعة الإسلامية في الزواج وحثت عليه لما له من أهمية كبيرة في تأسيس أسرة صالحة ومن ثم مجتمع صالح، فعدته قضية مفصلية في حياة الإنسان رغبت فيه الشريعة الغراء وحثت عليه، قال تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[1].

وقد ركزت مدرسة أهل البيت عليهم السلام على أهمية ووجوب التفحص والتثبت عند اختيار الزوجة، وأن ينظر الإنسان نظرة بعيدة الأفق يراعي بها حق أولاده في الانتساب إلى أم صالحة، وقد عالج أهل البيت هذا الجانب الموضوعي من حياة الناس وأوضحوا محاسن ومساوئ كل من الرجل والمرأة ليكونا على بصيرة في اختيار شريك حياتهما. ويستحب أن تكون النية في الاختيار منصبة على ذات الدين، فيكون اختيار ذات الدين مقدما على غيرها من العوامل، فقد روي أن رجلاً أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله يستنصحه في الزواج، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم، انكح، وعليك بذات الدين تربت يداك»[2].

وكان للإمام الحسن العسكري عليه السلام دوره في التشجيع على الزواج وحسن الاختيار للزوجة الصالحة لبناء الأسرة المتماسكة، فقد تزوج عليه السلام من جارية رومية تسمى نرجس من نسل شمعون أحد حواريي السيد المسيح عليه السلام جمعت كل خصال العفة والشرف لتكون أمّاً للخلف الصالح الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما

(١) سورة النحل، الآية ٧٢.

(٢) الكليني، الكافي، ج٥، ص٣٢٣؛ الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٧، ص٤٠١.

ملئت جوراً وظلماً.

وكان عليه السلام ينهى أصحابه من الزواج من المرأة المشهورة بالزنا فقد ذكر الحسن بن ظريف فقال: «كتبت إلى أبي محمد عليه السلام وقد تركت التمتع ثلاثين سنة، وقد نشطت لذلك، وكان في الحي امرأة وصفت لي بالجمال، فمال إليها قلبي، وكانت عاهراً لا تمنع يد لامس، فكرهتها، ثم قلت قد قال: تمتع بالفاجرة، فانك تخرجها من حرام إلى حلال، فكتبت إلى أبي محمد أشاوره في المتعة، وقلت: أيجوز بعد هذه السنين أن أتمتع؟ فكتب: إنما تحيي سنّة وتميت بدعة، ولا بأس، وإياك وجارتك المعروفة بالعهر وإن حدثتك نفسك، إن آبائي قالوا: تمتع بالفاجرة فانك تخرجها من حرام إلى حلال فهذه امرأة معروفة بالهتك، وهي جارة وأخاف عليك استفاضة الخبر فيها، فتركتها ولم أتمتع بها وتمتع بها شاذان بن سعد رجل من إخواننا وجيراننا فاشتهر بها حتى علا أمره، وصار إلى السلطان وغرم بسببها مالاً نفيساً، وأعاذني الله من ذلك ببركة سيدي»[1].

وفي هذه الرواية نجد حرص الإمام عليه السلام على أتباعه، فالزواج يجب ان يبنى على قواعد صحيحة وان لا تكون عواقبه سيئة على سمعة الإنسان وشرفه؛ لذا فقد نهاه الإمام عن التمتع بتلك المرأة بسبب اشتهارها بالتهتك فخشي على سمعته من ذلك الزواج، وأعطى عليه السلام لأحمد بن صالح ثلاثة الاف درهم الذي كان ينوي أن يسأل الإمام ان يمنحه هذا المال ليستعين بها في زواج بناته الثلاث حتى يزوجهن ويخرجهن إلى ازواجهن[2].

ورغم أنَّ الإمام عليه السلام في هذه الرواية اخبر أحمد بن صالح بان ذلك الزواج لن يتم بسبب دنو وفاة بناته الثلاث، إلّا أنّ ذهاب أحمد بن صالح إلى الإمام وسؤاله أن

(١) كشف الغمة، ج٣، ص٣٠٣ ـ ٣٠٤، العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٩١.

(٢) الخصيبي، الهداية الكبرى، ص٣١٤.

يعطيه مالاً ليستعين بها في زواج بناته الثلاث يدلل على أنَّ تلك كانت عادة معروفة عند الإمام عليه السلام أن يمنح اتباعه الأموال للتشجيع على الزواج.

كما يمكننا ان نستدل على ذلك بموقفه من عمر بن أبي مسلم فقد بعث إليه الإمام العسكري عليه السلام بخمسين دينارا بعد أن سمع بموت زوجته ليستعين بها لشراء جارية[1] وكان عليه السلام لا يمنع من خروج المرأة المطلقة إلى العمل إذا اقتضت الضرورة ذلك فقد كتب إليه محمد بن الحسن الصفار وهو أحد أتباعه يسأله في امرأة طلقها زوجها ولم يجر عليه النفقة مع حاجتها إلى المال فهل يحق لها الخروج والمبيت خارج منزلها للعمل والحاجة؟ فوقع الإمام عليه السلام: «لابأس بذلك إذا علم الله الصحة منها[2].

ثانياً: واجبات الأبناء تجاه الآباء:

اعتنى الإسلام بالوالدين عنايةً خاصّةً، وجعل حقّهما بعد الإيمان بالله سبحانه تعالى؛ فالوالدان هما أساس نشأة الأبناء وسبب وجودهم، فهما اللّذان يُقدّمان الغالي والنّفيس في سبيل رؤية أبنائهم يكبرون ويبلغون أعلى الدّرجات، وقد قرن الله تعالى طاعته بطاعة الوالدين والإحسان إليهما، فقد وردت رواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في أواخر أيامه تبين لنا طاعة الابن محمد الحجة المهدي عليه السلام لأبيه وبره به حينما خاطب الإمام الحسن العسكري عليه السلام خادمه عقيد: «يا عَقيدُ أَغْلِ لي ماءً بِمُصْطَكَى، فَأَغْلَى لَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهِ صَقيلُ الجارِيَةُ أُمُّ الخَلَفِ عليه السلام، فَلَمَّا صَارَ القَدَحُ فِي يَدَيْهِ وَهَمَّ بِشُرْبِهِ فَجَعَلَتْ يَدُهُ تَرْتَعِدُ حَتَّى ضَرَبَ القَدَحُ ثَنايا الحَسَنِ عليه السلام، فَتَرَكَهُ مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ لِعَقيد: أُدْخُلِ البَيْتَ فَإِنَّكَ تَرَى صَبِيّاً سَاجِداً فَأْتِنِي بِهِ، قَالَ أَبُو سَهْلٍ: قَالَ عَقِيدُ فَدَخَلْتُ أَتَحَرَّى فَإِذا أَنَا بِصَبِيٍّ سَاجِدٍ رَافِعٍ سَبَّابَتَهُ نَحْوَ السَّماءِ، فَسَلَّمْتُ

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٢٥٨.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٤٩٩، المحقق البحراني، الحدائق الناظرة، ج٢٥، ص٥٢٨.

عَلَيْهِ، فَأَوْجَزَ فِي صَلاتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّ سَيِّدِي يَأْمُرُكَ بِالخُرُوجِ إِلَيْهِ، إِذْ جَاءَتْ أُمُّهُ صَقِيلُ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ وَأَخْرَجَتْهُ إِلى أَبِيهِ الحَسَنِ.

قال أَبُو سَهْلٍ: فَلَمَّا مَثُلَ الصَّبِيُّ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ وَإِذَا هُوَ دُرِّيُّ اللَّوْنِ، وَفِي شَعْرِ رَأْسِهِ قَطَطٌ، مُفَلَّجُ الأَسْنَانِ، فَلَمَّا رَآهُ الحَسَنُ عليه السلام بَكَى وَقال: يَا سَيِّدَ أَهْلِ بَيْتِهِ اسْقِنِي المَاءَ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلى رَبِّي، وَأَخَذَ الصَّبِيُّ القَدَحَ المَغْلِيَّ بِالمُصْطَكَى بِيَدِهِ ثُمَّ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ ثُمَّ سَقاهُ، فَلَمَّا شَرِبَهُ قَال: هَيِّئُونِي لِلصَّلاةِ، فَطُرِحَ فِي حِجْرِهِ مِنْدِيلٌ فَوَضَّأَهُ الصَّبِيُّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَدَمَيْهِ[1].

رابعاً: صلة الأرحام:

تعد صلة الرحم من الواجبات الاجتماعية التي أمرنا الله تعالى بالحفاظ عليها وجعل أجر واصلها عظيماً عنده، فهي تزيد في العمر والرزق وتوجب نيل رضا الله تعالى، فصلة الرحم توجب انتشار الحب والمودة بين الأقارب وتقوي الصلة بينهم فيصبح المجتمع متواداً ومتحاباً تسود فيه الألفة والمحبة، وتختفي فيه جميع الأمراض الاجتماعية التي تثير البغضاء بين أفراده، وهو ما يريده الله تعالى ونبيه الكريم والأئمة الطاهرين وهي دليل على ايمان الفرد وتمسكه بأوامر الله ونواهيه.

وقد حرص أهل البيت عليهم السلام على تأصيل صفة صلة الأرحام في نفوس اتباعهم، من خلال اشاعة هذه الثقافة في المجتمع سواء من خلال كلامهم معهم أو من خلال مكاتباتهم أو توقيعاتهم الشريفة، وفيما يتعلق بالإمام الحسن العسكري عليه السلام فقد كان جزءاً من المنظومة الاجتماعية لأهل البيت، وقد حرص على الحفاظ على هذه الثقافة في المجتمع، من خلال تأكيده على ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وخط الإمامة في الدعوة إلى صلة الأرحام. ففي رسالته لأحد أصحابه، وهو علي بن بابويه القمي، نراه يؤكد على هذه الصفة ويدعوه لصلة الرحم، فقال عليه السلام

(١) ينظر، الطوسي، الغيبة ص٢٧٢ـ ٢٧٣.

يوصيه: «أوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقيهي أبا الحسن علي بن الحسين القمي، وفقك الله لمرضاته وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته، بتقوى الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة فإنه لا تقبل الصلاة من مانعي الزكاة وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ، وصلة الرحم ومواساة الاخوان والسعي في حوائجهم في العسر واليسر»[١].

ولا شك فإن القمي كان يتمتع بمكانة كبيرة عند الإمام ولا بد من أنه يلتزم بوصايا أهل البيت، ولا يحتاج إلى من يوصيه بصلة الرحم، إلّا أنه كما يبدو خطاب موجه للجميع وان جاء بصيغة المفرد كونه موجهاً إلى علي بن بابويه وكان مهمة ابن بابويه نقل تعليمات الإمام إلى اتباعه وجماهيره.

وكان عليه السلام ينهى اتباعه عن الخصومة ويعدها من قطيعة الرحم، ويحذر من عواقبها فقد أرسل كتابا إلى أحد مواليه جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، كل مقدور كائن، فتوكل على الله جلّ وعزّ يكفك وثق به لا يخيبك، وشكوت اخاك فاعلم يقيناً ان الله جل وعزّ لا يعين على قطيعة رحم، وهو جل ثناؤه من وراء ظلم كل ظالم ومن بغى عليه لينصرنه ان الله قوي عزيز، وسألت الدعاء إن الله جل وعز لك حافظ وناصر وساتر، ارجو من الله الكريم الذي عرفك من حقه وحق أوليائه ما عمي عنه غيرك ان لا يزيل عنك نعمة أنعم بها عليك إنه ولي حميد»[٢].

---

(١) القمي، عباس، الأنوار البهية، ص٣٢؛ أحمد بن عبد الرضا لبصري، فائق المقال، ص٣٦٠ .

(٢) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص٧٤٩ .

المبحث الثاني: فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام في بناء المجتمع

أولاً: الصداقة:

بعد أن حصَّن الإمام العسكري عليه السلام الأسرة انتقل إلى الفضاء الأوسع وهو المجتمع، وذلك من أجل تنظيم أموره، وهو يدرك أنَّ من الأمور المهمة التي وردت ضمن أساسيات المنظومة الاجتماعية لأهل البيت عليهم السلام هي منظومة الصديق والصداق والصحبة، فهي الانطلاق الأول الذي يربط بين الأسرة والمجتمع، وكان هدفه من ذلك إعداد أصحاب ذوي قابليات كفوءة لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام والتصدي للانحرافات والاجتماعية المضادة لمدرسة أهل البيت منطلقاً في ذلك من القواعد التي وضعها القرآن الكريم لاختيار الصديق والصاحب وتجنب الصداقات القائمة على الفسق والمصالح والأهواء الشخصية وقد أشار القرآن الكريم للصداقة في عدة مفردات كالصديق والصاحب والخليل وذكر الكثير من الموارد التي وضعت القواعد المثالية لاختيار الصديق بعد أن ميز بين الحالة الإيجابية للصداقة والحالة السلبية، ويمكننا أن نشير إلى بعض مصاديق ذلك مثل قصة نبي الله موسى عليه السلام مع العبد الصالح للانتفاع مما أودعه الله تعالى عند العبد الصالح من العلوم في قوله تعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً، قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾[1] وهي نموذج للصداقة الإيجابية لكسب العلم فقد أسس القرآن الكريم الأسس التي يجب اتباعها عند اختيار الصديق، وقد سار عليها أهل البيت عليهم السلام في بناء قاعدة رصينة من الاتباع أخذت على عاتقها مهمة نشر علوم أهل البيت والتصدي للانحرافات بشتى أشكالها.

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام حريصاً على إعداد طبقة من الاتباع والأصحاب والوكلاء تولوا عملية نشر علوم ومعارف الإمام الحسن العسكري عليه السلام

(١) سورة الكهف، الآية ٦٥-٦٦.

بعد ان ضيقت السلطة الحاكمة على نشاطاته الاجتماعية والفكرية وفرضت عليه الإقامة تحت الرقابة أو في السجن في مدينة سامراء ويتضح هذا من خلال تعامله مع اتباعه بشكل مباشر أو من خلال مكاتباته، ففي كتاب منه عليه السلام إلى أحد أصحابه ـ وهو علي بن بابويه القمي[١] ـ يبتدأ خطابه بالإجلال وانتقاء أجمل الصفات بقوله: «يا فقيهي وشيخي ومعتمدي[٢] وهو خطاب ينم عن احترام وتقدير كبير لعلي بن بابويه القمي، كما أنَّه يعبر عن طريقة الخطاب التي يخاطب بها الإمام عليه السلام اتباعه، رغم كونه الإمام المعصوم المفترض الطاعة والذي لا يدانيه أحد في العلم والفقه، وكان غرضه من ذلك إعداد طبقة من الوكلاء والدعاة الذين ينوبون عنه في ارجاء العالم الإسلامي، والذين اخذوا على عاتقهم مهمة نشر ذلك النظام الذي يعد منهجاً في التحرك السياسي والاجتماعي، وسبيلاً قويماً للدعوة إلى الله، وتنظيماً للمجتمع على أسس واعية قائمة على علوم أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم في بناء المجتمع والذي يقوم على الأسس الاجتماعية التي ارسى دعائمها كتاب الله تعالى، ونبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة المهديين من أهل البيت عليهم السلام.

وقال عليه السلام في صفات الصديق: «من كان الورع سجيته، والكرم طبيعته، والحلم خلقه كثر صديقه والثناء عليه، وانتصر من اعدائه بحسن الثناء عليه»[٣] في إشارة واضحة منه عليه السلام إلى مكارم الأخلاق كالكرم والورع والحلم، وهي من الصفات

(١) شيخ القميين في عصره ولد في منتصف القرن الثالث الهجري في مدينة قم ونشأ فيها، تتلمذ على يد العشرات من مشايخها، وبيته في قم من أعظم بيوت الشيعة، تتلمذ على يديه العديد من العلماء منهم ولده الشيخ الصدوق وابنه الآخر الحسين وابن قولويه وغيرهم، توفي سنة ٢٨١ هـ في الري، الميرزا القمي، غنائم الأيام، ج١، ص٣٠.

(٢) الميرزا النوري، خاتمة المستدرك، ج٣، ص٢٧٧؛ القمي، عباس، الكنى والألقاب، ج١، ص٢٢٢.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٩؛ القمي، عباس، الأنوار البهية، ص٣١٩؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤٢.

التي يجب أن يتحلّى بها المؤمن والتي تحبب فيه الآخرين فتكثر صداقاته في المجتمع والتي تعود بالنفع عليه أولاً، وعلى المجتمع ثانياً. وفي إشارة منه إلى الجهل فقد حذر الإمام عليه السلام من الصديق الجاهل فقال: «صديق الجاهل تعب»[١]، كما وردت إشارات غير مباشرة إلى الصديق قال عليه السلام: «خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله ونفع الاخوان»[٢] وهنا فقد اعطى الإمام عليه السلام للصديق قيمة كبيرة حتى قرنها بطاعة الله عزَّ وجلَّ، وقد عبر الإمام عليه السلام عن الصديق بالأخ وعادة ما تقرن لفظة الاخوة بالمؤمنين لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٣] والاخوة في الله من أعلى درجات الصداقة؛ لأنها تقترن بطاعة الله تعالى .

وقال عليه السلام: «من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه»[٤] وفي ذلك يقرر الإمام طريقة النصح للحفاظ على كرامة الأصدقاء وهي النصح سراً بين المتناصحين وليس على رؤوس الأشهاد حتى تأتي النصيحة أُكلها، وحتى لا يؤدي ذلك إلى الإحراج، فالنصح علانية قد يصحبه تجريح وكشف للعيوب.

وقال عليه السلام: «خير اخوانك من نسي ذنبك وذكر احسانك اليه»[٥]، وقال عليه السلام من رسالته لأهل قم: «المؤمن أخو المؤمن لأمه وأبيه»[٦]، ويشير الإمام عليه السلام هنا إلى

---

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٩؛ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٤

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ج٤٨٩ ؛ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٤؛ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٣٩١.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٠ .

(٤) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٩.

(٥) الديلمي، أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص٣١٢؛ العلامة المجلسي، بحار الأنوار ج٧٥، ص٢٧٧؛ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج١، ص٧٢؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤٢.

(٦) ابن شهرا شوب، المناقب، ج٣، ص٥٢٧.

العلاقة الوطيدة التي تربط بين الأصدقاء مذكراً بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[١].

ثانيا: حقوق الجار:

وضع الإسلام نظاماً فريداً للمجتمع، لحمته التراحم والتعاطف، وسداه التكافل والتكاتف، ومبناه على التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، وقيام كل مسلم بما يجب عليه تجاه من يعامله أو يصل إليه وقد عظم الله حق المسلم على المسلم، وحق القريب على قريبه، وحق الجار على جاره.

ومن هنا يتبين شدة حاجة الجار إلى جاره، وقوة تأثيره فيه، وعظم حقه عليه، وأن القيام بحقه من أوجب الواجبات، ومن أكبر أسباب التكافل والتعاون في هذه الحياة، لتذليل عقباتها، وتخفيف مصاعبها، وأكبر أسباب الإعانة على البر والخير، والحماية من الإثم والشر. يقول الله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورا**﴾[٢] فجمع سبحانه بين الأمر بعبادته والأمر بالإحسان إلى خلقه، ومن ذلك الإحسان إلى الجار مسلماً كان أم كافراً، قريباً أم غريباً، ملاصقاً أم بعيداً.

أمَّا السنة النبوية فقد حفلت بنصوص كثيرة توصي بالجار، وتؤكد حقه، وتأمر بإكرامه والإحسان إليه، وتتوعد على إيذائه وعقوقه. إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى أوصاني في الجار حتى ظننت أنَّه يورثني»[٣].

ورد عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما يؤيد ما ورد في القرآن الكريم والسنة

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢) سورة النساء، الآية٣٦.

(٣) ابن بابويه، علي، فقه الرضا، ص٤٠٦.

النبوية الشريفة وفي أحاديث أجداده الكرام عليهم السلام في إكرام الجار ورعاية حقوقه وحسن معاملته فقال عليه السلام من وصية له لاتباع أهل البيت عليهم السلام في زمانه وكل زمان فقال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَي اللهِ، وَالْوَرَعِ فِى دِينِكُمْ، وَالِاجْتِهَادِ لِلّه، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأمانة إِلَى مَنِ ائتمنكم مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَطُول السُّجُودِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، فَبِهَذَا جاء مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله»[1] وفي هذا تذكير منه عليه السلام لأصحابه وأتباعه على ضرورة حسن الجوار حفاظا على التماسك الاجتماعي وبناء المجتمع بالإحسان إلى الجار براً كان أو فاجراً. وليعكسوا الصورة الطيبة لاتباع مدرسة أهل البيت الذين طالما كانوا يوصون اتباعهم بذلك بان يكونوا لهم زيناً ولا يكونوا عليهم شيناً.

وفي مورد آخر ورد عنه عليه السلام في جار السوء محذراً منه فقال: «من الفواقر التي تكسر الظهر جار إن رأى حسنة أخفاها وإن رأى سيئة أفشاها»[2] وهي من الصفات الذميمة التي لا تعكس الخلق الإسلامي عندما يتتبع الجار عثرات جاره ويبغي له الغوائل وفي ذلك تحذير لاتباعه وللمؤمنين من أن يكونوا كذلك.

ثالثاً: الفقر:

حدد الله تعالى في كتابه الكريم الفئات التي تستحق الصدقات، واعتبر الفقراء هم الفئة الأولى من هؤلاء قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنْ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[3] كما اكدت السنة النبوية الشريفة على حقوق الفقراء وانهم عيال الله وأن الله فضلهم على كثير من الفئات يوم القيامة إكراماً وتقدير لهم لما تحملوا من شظف العيش وضنك الدنيا، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لأصحابه:

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار ج٧٥، ص٣٧٢.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧؛ العلامة المجلسي، بحار الأنوار ج٧٨، ص٣٧٢.

(٣) سورة التوبة، الآية٦٠

«اوهل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله قالوا الله ورسوله اعلم قال أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تسد بهم الثغور»[١]، وكان للإمام الحسن العسكري عليه السلام دوره في رعاية الفقراء والحث على إخراج الحقوق والتأكيد على أن الله تعالى هو الغني المطلق وان الناس هم الفقراء إليه فقال في رسالته لإسحاق بن إسماعيل: «... وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ بَخِلَ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَقَدْ طَالَتِ المخاطبة فِيمَا هُوَ لَكُمْ وَعَلَيكم»[٢].

ومن كلام له عليه السلام: «سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة وقلوبهم مظلمة منكدرة، السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة، المؤمن بينهم محتقر والفاسق بينهم موقر، أمراؤهم جاهلون حاكمون وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء كل جاهل عندهم خبير»[٣] وقال الإمام عليه السلام: لأحد أصحابه بعدما سأله: «أليس قد قال أبو عبدالله عليه السلام: الفقر معنا خيرٌ من الغنى مع غيرنا، والقتل معنا خيرٌ من الحياة مع عدونا، فرجع الجواب: إنّ الله عزّ وجلّ يخصّ أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير منهم، كما حدّثتك نفسك .. الفقر معنا خيرٌ من الغنى مع عدونا، ونحن كهفٌ لمن التجأ إلينا، ونورٌ لمن استبصر بنا، وعصمةٌ لمن اعتصم بنا، من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا فإلى النار»[٤].

---

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٢، ص١٦٨.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٤.

(٣) الجزائري، نعمة الله، الأنوار النعمانية ج٢، ص٢٩٣.

(٤) الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٣٠٠.

رابعاً: رعاية الأيتام:

أكد القرآن الكريم على حقيقة الإحسان إلى اليتيم، وعدم الاعتداء على ماله، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[1] وقد سار الإمام عليه السلام على نهج القران في رعاية حق اليتامى فقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام ذاكراً حديث الإمام الحسين عليه السلام في رعاية أيتام آل محمد: «فضل كافل يتيم ال محمد المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرجه من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها»[2] وقد روي عنه عليه السلام عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام انه قال: «من كفل لنا يتيما قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى ارشده وهداه قال الله عزَّ وجلَّ أيها العبد الكريم المواسى لأخيه انا اولى بالكرم منك اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعد كل حرف علمه الف الف قصر وضموا إليها ما يليق من النعم[3].

(١) سورة الانعام، الاية١٥٢.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٨.

المبحث الثالث: حق المعلم على المجتمع

ونزلت العديد من الآيات التي تدعو إلى استخدام العقل، والسعي إلى طلب المعرفة، فبالعلم يتعرف الإنسان على الله تعالى، ويُطبق مهمته في الأرض المتمثلة بالاستخلاف، ولقد فرق الله تعالى بين من يعلمون، ومن لا يعلمون للعلماء مكانة خاصة في الإسلام تجعلهم بمركز أعلى من غيرهم في الدنيا، وفي الآخرة، فيتميز أهل العلم بسرعتهم في إدراك الحق، وفي الإيمان، فهم يحكمون عقلهم في كافة الأمور مما يجعلهم من السباقين إلى الإيمان.

أوجب الإسلام للمعلم حقاً عظيماً يتناسب مع عظمة العلم والمعرفة ولا يخفى على أحد ما للمعلم من حقوق عظيمة على المتعلمين فهو الذي ينقذهم من متاهات الجهل ويقيم في نفوسهم العلم والمعرفة، العلم من أجل الفضائل وأشرف المزايا وأجلّ ما يتحصله الإنسان وقد سار الإمام الحسن العسكري على سيرة أجداده الكرام في مدح طلب العلم والحث عليه فقال عليه السلام: «دخل جابر بن عبد الله الأنصاري على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا جابر قوام هذه الدنيا بأربعة: عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم وغني جواد بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنيا غيره. يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه. فإن فعل ما يجب لله عليه عرضها للدوام والبقاء، وإن قصر فيما يجب لله عليه عرضها للزوال والفناء[1] وفي رواية عن أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام تبين تبني الإمام لهذا النهج في تعليم أتباعه وإعدادهم ليكونوا حملة للعلم، عندما انبرى لتعليم اثنين من أولاد أصحابه بعد أن قصداه هاربين من الاضطهاد السياسي، ولأهميتها نورد نص هذه الرواية: عن «أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد وأبي الحسن علي بن محمد بن سيار وكانا من الشيعة الإمامية قالا: كان أبوانا إماميين، وكانت الزيدية هم الغالبين

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ص١٧٨.

بأستراباذ، وكنا في إمارة الحسن بن زيد العلوي الملقب بالداعي إلى الحق إمام الزيدية، كثير الاصغاء إليهم، يقتل الناس بسعاياتهم، فخشينا على أنفسنا، فخرجنا بأهلينا إلى حضرة الامام أبي محمد الحسن بن علي بن محمد أبي القائم عليهم السلام، فأنزلنا عيالاتنا في بعض الخانات، ثم استأذنا على الإمام الحسن بن علي عليهما السلام فلما رآنا قال: مرحبا بالآوين إلينا، الملتجئين إلى كنفنا، قد تقبل الله تعالى سعيكما، وآمن روعكما وكفا كما أعداءكم، فانصرفا آمنين على أنفسكما وأموالكما. فعجبنا من قوله ذلك لنا، مع أنا لم نشك في صدق مقاله. فقلنا: فماذا تأمرنا أيها الامام أن نصنع في طريقنا إلى أن ننتهي إلى بلد خرجنا من هناك، وكيف ندخل ذلك البلد ومنه هربنا، وطلب سلطان البلد لنا حثيث ووعيده إيانا شديد؟! فقال عليه السلام: خلفا علي ولديكما هذين لأفيدهما العلم الذي يشرفهما الله تعالى به، ثم لا تحفلا بالسعاة، ولا بوعيد المسعى إليه، فإن الله عزَّ وجلَّ يقصم السعاة، ويلجئهم إلى شفاعتكم فيهم عند من قد هربتم منه. قال أبو يعقوب وأبو الحسن: فائتمرا لما أمرا، و قد خرجا وخلفانا هناك، وكنا نختلف إليه، فيتلقانا ببر الآباء وذوي الأرحام الماسة.

فقال لنا ذات يوم: إذا أتاكما خبر كفاية الله عزَّ وجلَّ أبويكما وإخزائه أعداءهما وصدق وعدي إياهما، جعلت من شكر الله عزَّ وجلَّ أن أفيدكما تفسير القرآن مشتملاً على بعض أخبار آل محمد عليهم السلام فيعظم الله تعالى بذلك شأنكما. قالا: ففرحنا وقلنا: يابن رسول الله فإذا نأتي (على جميع) علوم القرآن ومعانيه؟ قال عليه السلام: كلا، إن الصادق ـ علم ـ ما أريد أن أعلمكما ـ بعض أصحابه ففرح بذلك، وقال: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله قد جمعت علم القرآن كله؟ فقال عليه السلام: قد جمعت خيراً كثيراً، وأوتيت فضلاً واسعاً، لكنه مع ذلك أقل قليل [من] أجزاء علم القرآن، إن الله عزَّ وجلَّ يقول: «قل لو كان البحر مداداً لكمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً «ويقول: «ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله» وهذا علم القرآن ومعانيه، وما أودع من عجائبه، فكم ترى

مقدار ما أخذته من جميع هذا [القرآن] ولكن القدر الذي أخذته، قد فضلك الله تعالى به على كل من لا يعلم كعلمك، ولا يفهم كفهمك. قالا: فلم نبرح من عنده حتى جاءنا فيج قاصد من عند أبوينا بكتاب يذكر فيه أن الحسن بن زيد العلوي قتل رجلاً بسعاية أولئك الزيدية، واستصفى ماله فلما سمع الإمام عليه السلام [بهذا] قال: هذا حين إنجازي ما وعدتكما من تفسير القرآن، ثم قال عليه السلام: قد وظفت لكما كل يوم شيئاً منه تكتبانه، فالزماني وواظبا علي يوفر الله تعالى من السعادة حظوظكما. فأول ما أملى علينا أحاديث في فضل القرآن وأهله، ثم أملى علينا التفسير بعد ذلك، فكتبنا في مدة مقامنا عنده، وذلك سبع سنين، نكتب في كل يوم منه مقدار ماننشط[1].

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص٣٤٢.

الخاتمة

يمكننا ان نستخلص من البحث النتائج التالية:

١- كان للجانب الاجتماعي أثرٌ كبيرٌ في الإسلام، لذا فقد أولى القرآن الكريم هذا الجانب اهتماما كبيراً أخذ مساحة واسعة من آيات القرآن الكريم فلم يترك القران جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية إلا طرقها واضعاً الحلول الناجعة لمعالجة جميع أشكال الانحرافات الاجتماعية للوصول إلى الهدف الإنساني المشهود وهو الكمال والسعادة الأبدية.

٢- كان لحركة أهل البيت عليهم السلام الاجتماعية دورٌ كبيرٌ في معالجة جميع القضايا التي تتعلق بالجانب الاجتماعي وعلى جميع المستويات. فقد رافقت آراؤهم الاجتماعية الإنسان في جميع مراحل حياته مسترشدين بالقران وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله فهم الثقل الاخر للقران، لن يفترقا حتى يوم القيامة.

٣- قام الإمام الحسن العسكري عليه السلام بواجبه الاجتماعي التكليفي في معالجة قضايا المجتمع بدءاً من المراحل الأولى من عمر الإنسان وحتى آخر يوم في حياته، وقد حرص عليه السلام على معالجة المشكلات الاجتماعية بمنهج قرآني قائم على نبذ الانحرافات الاجتماعية في المجتمع باستخدام اسلوب الوعظ والإرشاد حيناً والدعوة إلى الخلق الحسن حيناً اخر.

٤- أولى الإمام عليه السلام الجانب الأسري اهتماماً كبيراً لما له من أثر في خلق الأسرة المتماسكة والتي ستنعكس ايجاباً على المجتمع بدءاً باختيار الزوجة ضمن معايير قرآنية وانسانية متمثلة باختيار ذات الدين والخلق واستشراف المستقبل عند اختيارها لأنها ستكون أماً للأبناء وبصلاحها ينصلح الأبناء ومن ثم المجتمع.

٥- كان للإمام الحسن العسكري عليه السلام الاهتمام الواضح في مسالة تنشئة الأبناء من خلال جملة من الأعمال التي نصت عليها الشريعة الإسلامية من خلال سنة النبي صلى الله عليه وآله

لما لها من اثار معنوية ونفسية وتشريعية على الأطفال في المستقبل مثل اختيار الاسم الحسن والعقيقة والختان وهي سنن حرص الأئمة عليهم السلام على ممارستها حتى اصبحت عادة متعارفة إلى يومنا هذا .

٦- حرص الإمام عليه السلام على غرس المفاهيم الخاصة بالإحسان إلى الفئات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع كالجيران والأرحام بشتى عناوينهم والفقراء واليتامى لما لذلك من اثر طيب في المجتمع يساعد على بناء المجتمع المنشود الذي اكدت عليه الشرائع السماوية يسود فيه الحب والسلام والعدل.

التوصيات:

أوصي أن يكون هناك جهد كبير من أجل إظهار كافة الجوانب الأخرى التي ركز عليها الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وان لا تقتصر على الجانب الاجتماعي فقط فهناك الجانب العسكري والعمراني والسياسي والعقائدي.

كذلك أوصي بالتصاق المجتمع بالإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ لأنَّ صاحب المنهج الصحيح والقويم فهو سفينة النجاة، ومن شأنها ان تأخذ ذلك الشعب إلى بر الامان فيعيش بلا قتال ولا قيل وقال إذا اتبعوه بالطريقة الصحيحة.

الاستنتاجات.

من خلال دراستنا لمسيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان أكثر ما يركز عليه هو بناء المجتمع المؤمن الصالح وتقبله الآخر فلم يعد المجتمع طيفاً واحداً وانما عده اطيافاً متعدده وضرورة تقبلهم، وعليه يمكن القول إذا طبقنا ذلك على مجتمعنا العراقي وتقبل بعضنا بعض فاننا سوف نعيش بأمن وسلام.

كذلك وجدنا الإمام عليه السلام عنصر استقرار للمجتمع في أغلب الأحيان، وعليه يمكن القول إن الإنسان مهما يكن منصبه أو مكانته الاجتماعية عليه ان لا يغتر ولا يتكبر ويتجبر وإنما يكون جزءاً من كل.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر الأولية

القرآن الكريم، كتاب الله تعالى

١. ابن أبي الحديد، عز الدين هبة الله ت ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، قم - ١٤٠٤ هـ.

٢. ابن شهرآشوب، مشير الدين محمد بن علي ت ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م، مناقب آل أبي طالب، تح لجنة من الأساتذة، النجف الأشرف ـ ١٣٧٥.

٣. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م، سنن ابن ماجه، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت ـ د ت.

٤. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م، سنن أبي داود، تح محمد سعيد اللحام، ط١، بيروت ـ ١٤١٠هـ.

٥. الإحسائي، ابن أبي جمهور ت ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥م، عوالي اللآلئ، تحقيق شهاب الدين المرعشي، ط١، قم ـ ١٤٠٣ .

٦. الإربلي، علي بن يحيى، ت ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣م، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

٧. الحر العاملي، محمد بن الحسين ت ١١٠٤ هـ/ ١٦٩٢م، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح عبد الرحيم الرياني الشيرازي، بيروت ـ د ت.

٨. الحلي، ابن إدريس، محمد بن منصور، ت ٥٩٨ هـ، ١٢٠٢ م، السرائر، تحقيق لجنة من العلماء، قم د. ت.

٩. الحلي، ابن فهد، أحمد ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٧ م، عدة الداعي ونجاح الساعي، تحقيق، أحمد الموحدي القمي، قم ـ (د.ت).

١٠. الخصيبي، الحسين بن حمدان، ت٣٣٤ هـ/ ٩٤٥م، الهداية الكبرى، ط٤ بيروت ـ ١٤١١هـ.

١١. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م، سنن الدارمي، دمشق ـ ١٣٤٩ هـ.

١٢. الرضي، نهج البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبده، ط١، قم، ١٤١٣.

١٣. الشافعي، مؤمن بن حسين ت ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠م، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، تقديم عبد العزيز سالمان، مصر د. ت.

١٤. الحراني، ابن شعبة، الحسن بن علي بن الحسين ت ق ٤ هـ/ ق١٠م تحف العقول عن آل الرسول، تح علي أكبر غفاري، ط ٢، قم ـ ٤٠٤ هـ.

١٥. الشيخ الأنصاري ت ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، المكاسب، تحقيق مجمع الفكر الإسلامي، ط١، قم، ١٤١٧.

١٦. الشيرواني، حيدر، المولى ت ق ١٢ هـ/ ١٨م، مناقب أهل البيت، تحقيق محمد الحسون، قم ـ ١٤١٤ هـ/ ٢٩٣.

١٧. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (٣٨١ هـ)، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٢، قم ـ ١٤٠٤ هـ.

١٨. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين ت ٣٨١ هـ/ ٩٩١ م، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر غفاري، قم ـ ١٤٠٥هـ.

١٩. الطبرسي، علي أبو الفضل ت ق ٧ هـ / ق١٣م، المعجم الكبير، تحقيق عبد الحميد السلفي، القاهرة ـ د. ت.

٢٠. الطبري الشيعي، محمد بن جرير ت ق٤ هـ / ق١٠م، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ط١، دار الحديث ـ ١٤١٨ هـ.

٢١. الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، تحقيق حسن الخرسان، طهران ـ ١٣٦٥.

٢٢. الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م، اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي، منشورات مؤسسة أهل البيت (د.ت).

٢٣. الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧م، الغيبة، تحقيق عبد الله ـ الطهراني واخر، ط١، قم ـ ١٤١١ هـ.

٢٤. الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧م، دلائل الإمامة، تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم -١٤١٣ هـ.

٢٥. الغازي، داود بن سليمان، ت ٢٠٣ هـ/ ٨١٨ م، مسند الإمام الرضا عليه السلام تحقيق محمد جواد الحسيني، ط١، قم ـ ١٤١٨هـ.

٢٦. القاضي، نعمان، أبو حنيفة التميمي المغربي ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م، دعائم الإسلام ط٢، تحقيق علي أصغر اصفي، القاهرة ـ ١٣٧٩ هـ.

٢٧. القمي، أبو القاسم سعد بن عبد الله بن خلف، ت نهاية ق ٣هـ/ ٩م، المقالات والفرق، تحقق محمد جواد شكور، (طهران: مطبعة حيدري،١٣٢١).

٢٨. القمي، علي بن محمد، ت ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩م، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تح عبد اللطيف الحسيني، قم ـ ١٤٠١هـ.

٢٩. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق ت ٣٢٩ هـ/ ٩٤٠، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط٣، طهران ـ ١٣٧٤ ش.

٣٠. المازندراني، مولى محمد صالح، ت ١٠٨١ هـ/ ١٦٩٦ م، شرح أصول الكافي، تحقيق الميرزا أبو الحسن الشعراني، ط١ بيروت ـ ١٤٢١هـ.

٣١. المالكي، ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م، الفصول

المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: جعفر الحسيني، ط١، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت، ١٤٢٧هـ.

٣٢. المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني واخر، بيروت ـ ١٤٠٩هـ.

٣٣. المجلسي، محمد باقر، ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأطهار، ط٢، بيروت ـ ١٤١٣هـ.

٣٤. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م، الاختصاص، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٥. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م، المقنعة، تحقيق جماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤١٠ هـ .

٣٦. الميرزا القمي، أبو القاسم، ت ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م، غنائم الأيام، تحقيق، عباس تبريزيان، ط١، قم، ١٤١٧هـ.

٣٧. النراقي، محمد مهدي ت ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤م، جامع السعادات، تحقيق محمد كلانتر، النجف الأشرف.

٣٨. النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة أهل البيت، ط٢، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

٣٩. النيسابوري، محمد بن الحسن ت ٥٠٥ هـ / ١١١١م، روضة الواعظين، تحقيق: مهدي السيد حسن الخرسان، قم ـ د ت.

٤٠. النيسابوري، محمد بن محمد ت ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤م، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.

٤١. الهيثمي، علي بن أبي بكر ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، ١٤٠٨هـ.

ثانياً: المراجع الثانوية

١. الأمين، محسن ت ١٣٧١هـ، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، بيروت د.ت.

٢. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة ط١، منشورات دار الحديث ـ ١٤١٦هـ.

٣. القمي، عباس، الكنى والألقاب، تقديم محمد هادي الأميني

٤. النمازي، علي الشاهرودي، ت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي.

البحث الثامن والعشرون

أبعاد التعايش السلمي

في وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام

د. نبيل حنون كاظم اليعقوب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إنَّ أيَّ بلد لا يمكن أن ينعم بالأمن والاستقرار ولا يمكن للمجتمع الذي يعيش فيه أن ينجح في مساعيه لتأسيس دولة كريمة يسودها العدل والقسط يتمتع أبناؤه بالعيش الكريم خارج إطار التعايش السلمي؛ لأنَّ المجتمع إذا فقد قدرته على تحقيق التعايش السلمي تبدأ الصراعات بين أبنائه وينشب التنازع والتناحر بين مكوناته، وتبدأ عوامل التفرقة والتشتت تلعب دورها السلبي في القضاء على معاني الوحدة والانسجام والألفة بين أطيافه.

فالتعايش السلمي يلعب دوراً كبيراً في أمن البلد واستقراره وسعادة الشعب الذي فيه؛ لأنَّه يؤدي إلى نبذ العنف وإيجاد روح الأخوَّة والانسجام والوحدة والتضامن بين أبنائه، ومعلوم أنَّ التاريخ يكشف لنا بأنَّ جميع الحضارات كانت توَّاقة من أجل تحقيق التعايش السلمي؛ لأنَّ السلام هو حالة الهدوء والسكينة، ومحاولة تَجنُّب الحرب وأعمال العنف الحاصلة بين الشعوب المختلفة أو طبقات المجتمع المتباينة أو الدول المتنافسة.

ولا شَكَّ أنَّ ديننا الإسلامي هو دين الألفة والتآلف والتسامح والمحبَّة والسلام، والتعايش السلمي مبدأ من المبادئ التي عمَّق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، وأصبحت جزءاً من كيانهم، وهذا التعايش هو غاية الإسلام في الأرض، فالإسلام والسلام يجتمعان في توفير السكينة والطمأنينة، إذ إنَّ الله تعالى قد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله

رحمة للعالمين وسلاماً للبشرية؛ ليخرجها من الظلمات إلى النور حتى يصل الناس جميعاً إلى أعلى مراتب الألفة والمحبَّة الإنسانية؛ لذلك أقدم رسول الله صلى الله عليه وآله على إيجاد أسباب التعايش السلمي بين المتخاصمين بعد أن شهدت العرب في زمان الجاهلية قبل البعثة وفي صدر الإسلام حروباً كثيرة، حيث كانت القبائل العربية تتقاتل فيما بينها أو مع القبائل الأخرى بسبب أو بدون سبب، وقد جاء الإسلام الحنيف ليخرج الناس من هذه الحياة السيئة والصعبة وينقلهم إلى حيث الأمن والأمان والسكينة، واقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وآله الأئمة المعصوم عليهم السلام من بعده فاتخذوا مبدأ التعايش السلمي منهاجاً لهم؛ لأنَّهم عليهم السلام امتداد للنبي صلى الله عليه وآله ورسالته العالمية التي بُعِثَ بها رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[1]، ومن الأئمة الأطهار الذين اتخذوا منهجاً في التأسيس للتعايش السلمي الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فكان عليه السلام النموذج الأمثل لهذ النوع من التعايش، ويمكن أن نشهد ذلك في تعاليمه ووصاياه، حيث كانت وصيته في هذا المجال تكشف عن وضوح الرسالة الإسلامية في دعوتها إلى السلم والتعايش السلمي بين الناس عامة، وبين المؤمنين خاصة.

بناء على ذلك يعتبر موضوع التعايش السلمي في وصية الإمام الحسن عليه السلام من المواضيع المعاصرة التي تهم العالم الإسلامي خصوصاً، والعالم الإنساني عموماً، لا سِيَّما مع الحرب والعنف والإرهاب الذي أخذت تنتهجه المجاميع التكفيرية التي أوجدتها الدول الاستكبارية في عالمنا المعاصر، وهذا ما دعاني لكتابة هذا البحث الذي يتكوَّن من الأبحاث الثلاثة التالية:

المبحث الأول: أضواء على مفهوم التعايش السلمي.

المبحث الثاني: البعد الأخلاقي والعبادي في وصية الإمام الحسن عليه السلام.

المبحث الثالث: البعد الاجتماعي في وصية الإمام الحسن عليه السلام.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

أسأل الله تعالى أن يوفقني لخدمة الإسلام والمسلمين وبثِّ روح الألفة والسلام على نهج من جعلهم الله رحمة للعالمين، ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[1].

(١) سورة هود، الآية ٨٨.

المبحث الأول: أضواء على مفهوم التعايش السلمي

التعايش لغة واصطلاحاً

التعايش في اللغة مأخوذ من العَيْشُ: الحَيَاةُ، وقد عاشَ الرَّجُلُ يَعِيشُ عَيْشاً، ومَعَاشاً، ومَعِيشاً، ومَعِيشَةً، وعِيشَةً بالكَسْرِ.(١) ويُطلق المعاش والعيشة على ما يُعاش به وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب ونحوهما، وعلى زمان العيش أو مكانه. قال الله تعالى: ﴿**وجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً**﴾(٢)؛ أي زمان طلب العيش.(٣)

وفي المعجم الوسيط: تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودَّة. ومنه: التعايش السلمي. وعايشه: عاش معه. والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدَخَل.(٤)

والتعايش في الاصطلاح عُرِّف بعدَّة تعاريف، منها ما جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنَّه: «معيشة جماعات مع بعضها البعض أو في نفس الوقت، قد يتَّجِه هذا التعايش نحو الانصهار، أو نحو الاندماج، بحيث يزول بعضها ويذوب في البعض الآخر».(٥)

ومنها ما ذُكِر في علم الاجتماع والسياسة بأنَّه وجود نواة مشتركة لفئات متناقضة في محيط معيَّن تقبل آراء بعضها البعض وتهضم الخلاف والاختلاف القائم فيما بينها بعيداً عن مبدأ التسقيط، والتهميش، والتسلُّط، والأحادية، والقهر والعنف

---

(١) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٩، ص١٥١.

(٢) سورة النبأ، الآية ١١.

(٣) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج٢، ص٥٦٠.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: ج٢، ص٦٣٩.

(٥) بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: ص٦٨.

من خلال الالتزام بمبدأ الاحترام المتبادل لحرية الرأي وطرق تفكيره وسلوكه.[١]

وفي تعريف آخر قال البعض بأنَّ التعايش هو: «اجتماع مجموعة من الناس في مكانٍ معين تربطهم وسائل العيش من المطعم والمشرب وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى، يعترف كلٌّ منهما بحق الآخر دون اندماج وانصهار»[٢].

ومن خلال هذه التعاريف يمكن أن نستنتج أنَّ التعايش حالة توافقية يمكن أن تسود مجتمعاً متعدد الطوائف ومختلف الأديان، فتؤدي إلى التقاء إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة وتعمل على دفعهم للعمل من أجل إحلال الأمن والسلام بين المجتمعات المختلفة؛ لغرض أن تعيش الإنسانية في جو من الألفة والانسجام.

السلام لغة واصطلاحاً

السَّلام في اللغة اسم مصدر من سلَّم يُسلِّم تسليماً، وهو بمعنى النجاة والتخلُّص مما لا يُرغب فيه، قال ابن منظور: السَّلامُ في الأَصل: السَّلامةُ، يقال: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلاماً وسَلامةً، ومنه قيل للجنَّة: دار السَّلامِ لأَنَّها دار السَّلامةِ من الآفات[٣].

أمَّا السلام في الاصطلاح فهو الحالة المقابلة للحرب والعنف، وهو كذلك سيادة أجواء الطمأنينة والسكينة والهدوء، عوضاً عن الخوف والقلق والاضطراب. والسلام هو الضد للخصام، والمفهوم المفارق للعنف اللفظي والجسدي سواء أكان

(١) انظر: حسن، طه حميد، سبل تعزيز التعايش السلمي في العراق: ص٥.

(٢) الكبيسي، صبحي والحديثي، عبدالله حسن، الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي، ص٣٢٤.

(٣) انظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ج١٢، ص٢٩١.

ذلك بين الأفراد أم الجماعات والدول[١].

والسلام في المصطلح القرآني يأتي بعدَّة معاني:

الأول: يُطلق ويراد به اسم الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ﴾[٢]؛ سُمِّي بذلك سبحانه لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والزوال والانتقال والفناء والموت[٣].

المعنى الثاني: يُطلق ويراد به السلامة من الإثم والإيذاء، وهو المعنى الأصل، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**﴾[٤]؛ أي: قولاً يسلمون فيه من مقابلة الجاهل بجهله[٥].

المعنى الثالث: يُطلق ويراد به إلقاء التحيَّة، قال تعالى: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً**﴾[٦].

المعنى الرابع: يُطلق ويراد به الصلح والمهادنة، وضدَّه الحرب، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾[٧]. ومنه قول الله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ**﴾[٨].

---

(١) انظر: أمين، إميل، دور الأديان في سيادة مفهوم السلام العالمي، ص٧.

(٢) سورة الحشر، الآية ٢٣.

(٣) انظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، التوحيد: ص٢٠٥.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

(٥) انظر: الأردبيلي، أحمد بن محمد، زبدة البيان في أحكام القرآن: ص٤٠٨.

(٦) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٥، ص٤١ ـ سورة النساء، الآية ٩٤.

(٧) سورة الأنفال، الآية ٦١.

(٨) سورة النساء، الآية ٩١.

أي: المهادنة والصلح والأمان.[١]

وبهذا يتبين لنا أنَّ السلام من الألفاظ المشتركة، وسياق الجملة هو الذي يحدد معناه إذا ورد فيها، والسلام الذي نحن بصدد البحث عنه هو الذي بمعنى الإطلاق الرابع، وهو المراد عند إطلاقه في العصر الحاضر أيضاً.

مفهوم التعايش السلمي في نظر الإسلام

إنَّ التعايش السلمي في نظر الإسلام يتجلَّى في النظرة الإنسانية الشاملة لكافة أفراد البشر سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وهذه النظرة الإنسانية المتكاملة تؤخذ بعين الاعتبار العلاقة بين الإنسان والإنسان الآخر على أن بينهما صلة ونسباً، مهما اختلفت الأجناس والألوان والأصقاع، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا إنَّكم ولد آدم، وآدم من تراب، والله لعبد حبشي أطاع الله خير من سيد قرشي عاص لله»[٢]. والدليل على ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾[٤]؛ لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام في العهد الذي كتبه للأشتر النخعي لما ولَّاه على مصر: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبَّة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنَّهم صنفان إمَّا أخ لك في الدين وإمَّا نظير لك في الخلق»[٥]. فهذه هي القيم الإنسانية التي يدعو لها الإسلام من أجل تعميق مبادئ التعايش السلمي، وتأسيس القواعد الأساسية لتشيد صرح السلام

(١) انظر: طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ج٣، ص٢٥٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧، ص٢٣٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ١٠١.

(٤) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٥) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

العالمي.

إنَّ الإسلام دين السلم والسلام والألفة والمحبَّة، وهذا ما حققه رسول الله صلى الله عليه وآله حين هاجر إلى المدينة؛ إذ ألَّف بين الأوس والخزرج بعد حروب طاحنة بينهم، فزادت محبتهم وانقطعت عداوتهم وصاروا بالإسلام إخواناً متحابين متسالمين، فكانت تلك نعمة سابغة امتن بها الله على المؤمنين ببركة النبي صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي»(١). فلقد تمكَّن الرسول صلى الله عليه وآله من خلال دعوته التي نشرها في مجتمع متناحر تسوده القسوة والخشونة، أن يحقق التعايش السلمي في هذه المنطقة المضطربة المتفرقة.

وهذا يعني أن التعايش السلمي في الإسلام ينطلق من أصول عقائدية وجذور إيمانية تستند إلى أسس ومبادئ قرآنية، من قبيل قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾(٢)، وهذا فيه دلالة على عمق مبدأ التعايش في مفهوم الشريعة الإسلامية المقدَّسة.

وبالتأكيد أنَّ منهج الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التعايش السلمي يُعدُّ نموذجاً للتعاليم القرآنية التي أشار لها الله تعالى في كتابه الكريم، وامتداداً لمنهج رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام من قبله، حيث كانت تعاليم القرآن الكريم والسيرة النبوية قائمة على أساس الدعوة للسلم وإشاعة المحبَّة والوئام بين بني البشر، وترسيخ معاني الإلفة والتسامح بينهم والتي سار عليها من بعدهم شيعتهم الموالون لهم، وطالما كانت تبهر حتى غير المسلمين الذين تأثروا بتعاليم الرسول الأعظم

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢١، ص١٥٩؛ البخاري، محمد، صحيح البخاري: ج٥، ص١٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، حيث كانت وصايا الإمام الحسن عليه السلام من النماذج الرائعة لهذه التعاليم السماوية، إذ إنَّها كانت تؤكِّد على ضرورة إقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أبناء الشعوب الأخرى وإنْ كانوا يختلفون معهم في الدين والمذهب والمعتقد.

المبحث الثاني: البعد الأخلاقي والعبادي في وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أشار الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى ضرورة التعايش السلمي بين أبناء المجتمع في إحدى وصاياه التي أوصى بها شيعته، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله»[1].

من المتعارف أنَّ الشريعة الإسلامية تنقسم على ثلاث دوائر: دائرة العقائد، وهي الأمور التي ينبغي الإيمان القلبي بها ومعرفتها بالفطرة، كنبوة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله ووجود الجنَّة والنَّار. ودائرة الأخلاق، كالصدق والأمانة والتواضع، ودائرة السلوك العملي الذي يتمثَّل بالتكاليف والأوامر والنواهي والأحكام التي تَعبَّدنا الله بها كوجوب الصوم والصلاة والزكاة.

ولو دققنا النظر في وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنعثر على مجموعة قيم ومبادئ ترتبط بالبعد الأخلاقي والعبادي من حياة الفرد المسلم، والتي تنعكس تلقائياً على حياته الاجتماعية بحيث تكتمل الصورة الإيمانية التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية المقدسة، وبدورها تفتح هذه الصورة الأبواب للتعايش السلمي بين بني البشر.

---

(١) الحراني، ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص٤٨٧ ـ ٤٨٨.

تقوى الله والورع في الدين والاجتهاد لله

إنَّ التقوى هي الغاية القصوى من العبادة. والعاقبة المحمودة[١]، وهذا ما أكَّد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]. وفي ظل عقيدة التوحيد ينشأ المفهوم الإسلامي عن التقوى، حيث إنَّ التقوى هي ميزان الكرامة والتفاضل بين أفراد الإنسان[٣].

قال أبو العتاهية[٤]:

ألا إنَّما التقوى هي العِزُّ والكَرَم ... وحبُّك للدنيا هو الذِلُ والسُقم
وليس على عبدٍ نقيٍّ نقيصة ... إذا حَقَق التقوى وإنْ حَاكَ أو حَجَم

التقوى هي الفضيلة في أرفع معانيها، والإنسان المتقي هو الذي وعى وجود الله وأمره ونهيه في كلِّ ما يلم به من فعل أو قول، وجعل من نفسه خلية إنسانية حيَّة تعمل بحرارة وإخلاص على رفع مستوى الكيان الاجتماعي[٥]. إذ إنَّ التقوى هي التي يقوم بها النظام ويستقيم الاجتماع[٦].

---

(١) انظر: الأردبيلي، أحمد بن محمد، زبدة البيان في أحكام القرآن، ص٥٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٢٨.

(٣) انظر: الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ص٢٩٥.

(٤) أبو العتاهية بالتخفيف هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد العنزي، كان فريد زمانه ووحيد أوانه في طلاقة الطبع ورشاقة النظم، وخصوصاً في الزهديات ومذمَّة الدنيا. وهو من المتقدمين في طبقة بشار وأبي نواس، وشعره كثير، ولد سنة ١٣٠هـ بعين التمر وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة الطيبة، ونشأ بالكوفة وسكن بغداد، وكان يبيع الجرار، وكان الشعر عنده سهلاً جداً، حتى يُحكى أنَّه قال يوماً: لو شئت أن أجعل كلامي كلَّه شعراً لقلت. الأمالي، المفيد، هامش: ص١١٦.

(٥) انظر: شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، ص٢٠٢.

(٦) انظر: البلاغي النجفي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٣٤٣.

وعلى هذا الأساس تكون التقوى هي الدين والأخلاق، وأساس التعايش السلمي بين أبناء الإنسانية؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقولوا: إنَّ محمداً منَّا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلَّا المتقون». وقوله صلى الله عليه وآله: ولا من غيركم، يُشعر بأنَّ غير المسلم إذا سَلَم الناس من يده ولسانه أقرب إلى محمد صلى الله عليه وآله ممن انتسب إلى الإسلام، ولم يَكفُّ أذاه عن الناس.(١) وهذا ما أكَّد عليه الإمام الحسن العسكري عليه السلام في وصيته. كما أكَّد عليه السلام في وصيته على لزوم التحلِّي بالورع في الدين، والوَرَع باللغة هو: التقوى، والتَّحَرُّج، والكَفّ عن المَحَارِم.(٢)

أمَّا الوَرَع في الاصطلاح: هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات. وقيل: هي ملازمة الأعمال الجميلة(٣). ومن هنا نعلم بأنَّ الإنسان الورع يتحتَّم عليه أن يلتزم بأداء الأعمال الجميلة والكفِّ عن محارم الله ومن جملتها الحفاظ على حقوق المجتمع، ومعاشرة الناس بالأخلاق الحسنة، والتعايش معهم تعايشاً سلمياً.

كما ينبغي أن لا يكون الفرد المسلم قليل الحياء؛ لأنَّه «من قلّ حياؤه قلّ ورعه».(٤) فقلَّة الحياء تؤدي إلى قلَّة الورع، وبالتأكيد أنَّ قلَّة الورع تتنافى مع إمكانية التعايش السلمي؛ ولهذا ورد عن أبي بكر الكتاني أنَّه قال: «الورع هو ملازمة الأدب وصيانة النفس». فبدون الحياء والأدب والورع لا تتوفر فرصة إعداد الأرضية الصالحة لترسيخ مبدأ التعايش السلمي.(٥)

من هذا المنطلق اهتم الأئمة المعصومون عليهم السلام في مواعظهم وتوصياتهم بمسألة

---

(١) انظر: مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج٢، ص٢٣٧.

(٢) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج١١، ص٥٠٥.

(٣) انظر: ابن أبي الدنيا، عبد الله بن عبيد، الورع، ص٧.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة، ٣٤٩.

(٥) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٤، ص٢٥٧.

التحلِّي بالورع، فعن صفوان بن يحيى عن يزيد بن خليفة قال: وعظنا أبو عبد الله الصادق عليه السلام فأمر وزهَّد ثمَّ قال: «عليكم بالورع فإنَّه لا يُنال ما عند الله إلَّا بالورع».(١)

فالورع أساس جميع الكمالات المعنويّة والمقامات، وإنَّ الإنسان بالورع يُطهِّر صفحة قلبه من الكدورة والتلوّث والتعلّق بعالم المادّة والطبيعة.(٢)

وتأسيساً على ذلك، يتحتَّم على كلِّ مؤمن أن يوظِّف ملكة التقوى والورع وأن يجتهد لله وفي سبيل الله بغية تثبيت مبدأ التعايش السلمي في كافة أرجاء العالم، فضلاً عن الأمَّة الإسلامية، والله سبحانه يبارك في هذا الاجتهاد والسعي؛ لأنَّه يحفظ للإنسان إنسانيته ويجعله يعيش مستقراً آمناً ينعم بالكرامة المنبثقة عن العدل الإلهي، وهذا ما وعد به في القرآن الكريم، حيث قال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٣)، والمثال الواضح لهذا المعنى ما أنجزه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بفضل الله ورحمته، حين بدأ يؤالف بين الطوائف المتخاصمة، ويؤلِّف القلوب التي استفحلت عليها أفكار الجاهلية والعصبية، وأتعبتها أحقاد العداوة والبغضاء، وإيجاد السبل لإنقاذ البشرية من تلك الكارثة ونشر الأمن والسلام في ربوع العالم الإنساني، وهذا ما أخبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٤). وقطعاً كانت هذه الألفة ناجمة عن جهود النبي صلى الله عليه وآله التي بذلها لغرض ترسيخ مبادئ التعايش السلمي بين أبناء المجتمع. قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٧٦.

(٢) رزق، خليل، العرفان الشيعي، ص٣٦١.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٦٣.

﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[١]؛ لهذا حرص الإمام العسكري عليه السلام على إيجاد هذه المعاني والمفاهيم بين الأطراف المتخاصمة عندما مدَّ جسور الأخوَّة بين الموافقين والمخالفين من كافة أطياف المجتمع، وجعل رابطة الإخاء ورابطة الدين بدل رابطة الطائفية والعصبية القبلية والتناحرات المذهبية، من خلال وصيته التي ارتكزت على إيجاد مبدأ التعايش السلمي.

صدق الحديث وأداء الأمانة

الصدق هو المطابقة للواقع والكذب هو المخالفة للواقع.[٢] والأمانة هي أن لا تخون[٣] والرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته هم الصّادقون المصدّقون، وهذا مما لا شكَّ فيه ولا ريب. إذ إننا نشهد أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله عبد الله ونبيه ورسوله، وأمينه على وحيه، «أَرسله على حِينِ فَتْرَةٍ من الرسل، وطول هجعة من الأمم وانْتِقَاضٍ من الْمُبْرَمِ، فجاءَهُمْ بِتَصدِيقِ الذي بين يديه».[٤]

فرسول الله صلى الله عليه وآله هو الصادق وهو الأمين المأمون وخازن علم الله المخزون، ويدل على هذا كلام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله الصفيّ، وأمينه الرضيّ».[٥]

وكذلك عترة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام هم الأمناء الصادقون، وهذا ما أكَّد عليه الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة أيضاً، إذ قال: «فأين يتاه بكم، وكيف

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) الخميني، روح الله، الرسائل، ج١، ص١٤١.

(٣) انظر: البهبهاني الوحيد، محمد باقر، مصابيح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع، ج١، ص٤٥٥.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة ١٨٥.

تعمهون، وبينكم عترة نبيّكم وهم أزمَّة الحقّ، وأعلام الدين، وألسنة الصدق»؛[١] ولذلك ورد في الزيارة: «السلام على خالصة الله من خلقه، وصفوته من بريّته، وأُمنائه على وحيه».[٢]

ومن المعلوم أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عاش في مجتمع تسوده الفوضى والفساد، والضلال والانحلال، ومع ذلك كان ـ منذ صباه ـ محبوباً بشمائله عند الكلِّ، وثقة عند الجميع حتى أسموه الصادق الأمين، ولمَّا بُعِثَ وأعلن الحرب على الشرك والفساد تنكَّر له الطغاة الأشرار، وتألَّبوا عليه، وازداد الطيبون الأبرار له حباً وإخلاصاً من يومه إلى يومنا هذا، والى آخر يوم، وفيهم قادة الفكر في أوروبا وأمريكا.[٣] وهذا دليل واضح على الأثر الكبير للصدق والأمانة في ترسيخ مبادئ التعايش السلمي؛ لأنَّ الصدق والأمانة توجِد الثقَّة بين الناس وتنشر المحبَّة والألفة بينهم، وهذا ما أشار له الإمام الحسن العسكري عليه السلام في وصيته، إذ إنَّه جعل الصدق والأمانة بمثابة المقدمة للتعامل مع أبناء الإنسانية جمعاء، ولم يوجِّه كلامه إلى فئة دون فئة من الناس، بل عمَّم ذلك بقوله: «وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر».

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ معطيات التعايش السلمي التي نجمت عن منهج الإمام الحسن العسكري عليه السلام لم تقتصر على حياته، بل امتدت هذه المعطيات إلى ما بعد حياته الشريفة، حتى أصبح قبره الشريف بسامراء أماناً لأهل الجانبين كما روي عن أبي هاشم الجعفري قال: قال لي أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام: «قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين».[٤] وقد فسَّرَ المجلسي الأول كلمة أهل الجانبين بالشيعة وأهل

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

(٢) مؤسسة ولي العصر عج للدراسات الإسلامية، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، ج٢، ص٢٩٩.

(٣) انظر: مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، ج٢، ص٦٩.

(٤) الفيض الكاشاني- محمد محسن، الوافي: ج١٤، ص١٥٦١.

السنَّة وقال: إنَّ فضله عليه السلام يَعمُّ الموالي والمعادي.[١] وهذه من النعم الإلهية التي امتن بها الله عزَّ وجلَّ على أبناء الأمَّة الإسلامية.

طول السجود وحسن الجوار

الظاهر من طول السجود في وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام كناية عن العبادة عموماً، والصلاة خصوصاً، وهذا ما يمكن أن نستشعره من وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام لعلي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق قدس سره، والتي يؤكِّد فيها على الصلاة سواء كانت الصلاة الواجبة أو المستحبة، قال عليه السلام:

«أوصيك ... بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإنَّه لا تُقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقّه في الدين، والتثبّت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[٢]، واجتناب الفواحش كلّها، وعليك بصلاة الليل، فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام، فقال: (يا علي، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل)، ومن استخف بصلاة الليل فليس منَّا، فاعمل بوصيتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتى يعملوا عليه».[٣]

ومن الواضح أنَّ للجانب العبادي في حياة الفرد المسلم أثراً كبيراً في تقوية البعد الاجتماعي، والتأسيس لمنظومة اجتماعية متعاونة ومتكافلة ومتآلفة، ولا سِيَّما الصلاة التي تهب الإنسان طاقة مضاعفة تجعله يتحرَّك في المجتمع بروحية إيمانية تنعكس

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٧٤٠.

(٢) سورة النساء، الآية ١١٤.

(٣) القمّي، عباس، الأنوار البهية، ص٣٢٠.

إيجابياً على التعايش مع أبناء المجتمع، ومن المؤكَّد أنَّ طول السجود الذي ركَّز عليه الإمام عليه السلام سيكون عاملاً لتقوية الأخوَّة الإيمانية التي أشار لها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾(١).

ثمَّ تأتي بعد ذلك النوبة لحسن الجوار الذي ينبثق من هذه الروح الإيمانية؛ لأنَّ حسن الجوار هو من مكارم الأخلاق، وحقٌّ من حقوق أخوَّة الإيمان. وقد أمرنا الله تعالى بحُسْن الجوار، وعَطَفه على الإحسان بالوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين بعد أن قرن ذلك كلَّه بعبادته وعدم الإشراك به، فقال سبحانه: ﴿**وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ**﴾(٢). كما روي بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنَّه سيورثه»(٣)؛ ولهذا أكَّد الإمام الحسن العسكري عليه السلام على حُسْن الجوار في وصيته، لعلمه بأنَّ حُسْن الجوار عامل أساسي في إيجاد حالة التعايش السلمي بين أبناء المجتمع كافة.

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٦.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج٩، ص٥٢.

المبحث الثالث: البعد الاجتماعي في وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام

مما جاء في وصية الإمام العسكري عليه السلام التي ذكرناها آنفاً: «صلُّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدُّوا حقوقهم، فإنَّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدَّى الأمانة وحَسُن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك»[1].

الصلاة في عشائر المذاهب الأخرى وحضور جنائزهم

الصلاة تمثل الصلة بين العبد وربّه، وبها يشعر المسلم بأنَّه جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، وبالخصوص صلاة الجماعة التي تُعتبر منطلق للتعايش السلمي؛ لأنَّ صلاة الجماعة، بل كلّ عبادة جماعية تجعل النفوس تتقارب وتكون مدعاة لنشر التراحم والتعاطف والمساواة بين أفراد المجتمع المسلم، فإنَّ صلاة الجماعة في الإسلام توحِّد أهداف المصلين، وتبعث الأمل في النفوس التي تتطلع إلى تحقيق التعايش السلمي، وتقضي على جميع الفوارق بين إنسان وآخر.

من هذا المنطلق، وجَّه الإمام الحسن العسكري عليه السلام شيعته إلى توطيد أواصر التعايش مع سائر أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، من خلال التأكيد على أداء الصلاة في عشائرهم والمشاركة في تشييع جنائزهم.

ومن هنا نعتقد أنَّ المجتمع الإيماني هو أكمل مجتمع يمكن أن يتحقق فيه التعايش السلمي؛ لأنَّ الاجتماع للصلاة حتى وإن كانت مع المخالف يخلق هذا الجو من التعايش، ويكون سبباً لدرء العداوة والبغضاء بين المسلمين، ويكون مدعاة لإدخال الرعب في قلوب الذي كفروا، بالإضافة إلى أنَّه يعزز جبهة المسلمين في قبال أعدائهم؛ ولهذا قال الإمام العسكري عليه السلام: «المؤمن بركة على المؤمن وحجَّة على

---

(١) الحراني، ابن شعبة الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص٤٨٧ ـ ٤٨٨.

الكافر»[١].

علماً أنَّ الصلاة مع أتباع المذاهب الأخرى وحضور جنائزهم يكون مدعاة لإيجاد الألفة بين المسلمين، وردم الهوة التي تقع بين البعض والبعض الآخر على أساس مزاجي، بالإضافة إلى صيانة الجماعة المسلمة التي هي ضرورة من ضروريات الحياة الإسلامية، كما أنَّها تعتبر من المبادئ التي تجعل مفارقة الجماعة خلعاً لربقة الإسلام من عنق من فارقها كما روى ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[٢].

وإنَّ المتبادر من هذا الحديث أنَّ المقصود من الجماعة هم جمهور المسلمين المخلصين في إيمانهم وإسلامهم القائمين بالحقِّ والواجب[٣].

فالإمام الحسن العسكري عليه السلام أراد أن يشير إلى أسس التعايش السلمي في منهجة الرامي إلى توحيد أبناء الأمَّة الإسلامية، من منطلق قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[٤]، فأوضح في وصيته كيفية التعامل مع كلِّ الأطراف المؤالفة والمخالفة، والعدو والصديق، وأكَّد على ضرورة العيش المشترك بين المسلمين، بعد أن تشعبَّت طوائفهم واختلفت مذاهبهم، فأوصى بالصلاة في عشائر المخالفين وحضور جنائزهم.

وعليه فإنَّ محاربة هذه المبادئ تعني الكفر بأهم قواعد الإسلام؛ لأنَّ الغاية منها اجتثاث الإسلام من أصله. فلا دين لفرد أو لفرقة من الناس تسعى لمحاربة الأخوَّة الإسلامية؛ لأنَّ حقد المستعمرين الدفين في صدورهم كان مصدراً لمحاربة الإسلام

---

(١) الحراني، ابن شعبة الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص٤٨٧ ـ ٤٨٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٤٠٥.

(٣) دروزة، محمد عزَّة، التفسير الحديث: ج٧، ص٢٠٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

في محاولة جادَّة للقضاء عليه فكرياً وسياسياً واجتماعياً.[١]

وعليه يجب أن يكون مبدأ التعايش السلمي ضرورة سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وثقافية، فالأمَّة الإسلامية أمَّة واحدة وجامعة كبرى ورابطة عظمى، جمع أبناءها الدينُ ووَحَّدتهم العقيدةُ، وألَّفت بينهم أخوَّةُ الإسلام ومودته مهما تفرَّقت البلدان وتباينت الأوطان وتنوعت الأجناس واختلفت الألسُن، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾[٢].

بالإضافة إلى أنَّ الأخوَّة الإسلامية تعتبر منطلقاً للأخوَّة الإنسانية؛ لأنَّ أخوَّة المسلمين تتعدى مصلحة العالم الإسلامي لتَصبّ في رافد المصلحة الإنسانية العليا؛ لذا فإنَّ طرح موضوع الأخوَّة الإسلامية ينسجم مع المصلحة الإسلامية والإنسانية أيضاً، وهذا ما أشار له القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٣].

عيادة المرضى وأداء الحقوق

عيادة المرضى من القضايا التي تقوِّي الأواصر الاجتماعية، وتزيد من تماسك المجتمع وتآلف أفراده، كما أنَّها تعتبر بوابة لزيادة أعمال الخير والإحسان بين أبناء المجتمع، إذ إنَّها تجعل قلوبهم متآلفة ومعلَّقة بهدفٍ إنساني نبيلٍ.

حيث نجد نموذجاً إسلامياً إنسانياً لهذا المعنى يتمثل برسول الإسلام الذي يعود جاره اليهودي عند مرضه يسأل عن أحواله، ويُطيِّب خاطره، مع أنَّه جار سوء طالما آذاه بإلقاء القمامة عليه، وقذفه بأقسى الكلمات، فما كان من اليهودي ـ العدو لله ولرسوله ـ إلَّا أن يُذعن لدعوة الحقِّ، وهو يشاهد غماماً من رحمة رسول الله وخُلُقِه

(١) سعدي، أبو حبيب، الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام: ص١٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

الرفيع تهطل عليه وابلا من الرأفة والحنان والحبِّ، وهكذا يدوِّن التاريخ حقيقة أنَّ أخلاق المسلمين كانت المفتاح الذي استطاعوا به فتح مغاليق قلوب الناس، لتستقبل النور الإلهي المنبعث من شعاب مكَّة المكرمة، وأنَّ المُثل العليا وقيم السماء التي بشَّر بها فكر الإسلام أوقع في القلوب، وأريض للنفوس، من بريق المواضي وقعقعة السلاح، في عالم أطبقت عليه مفاهيم الجهالة المعتمة.(١)

إنَّ عيادة المرضى عامل مهم يزيد من الانفتاح على الآخرين، وبالخصوص أتباع المذاهب والأديان الأخرى، ولهذا الانفتاح آثار طيبة وحميدة، إذ إنَّه يعطي صورة مشرقة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباعه، ويجعل الآخرين يمتلكون انطباعاً حسناً عن مذهب الحقِّ، وبالتالي يكون هذا الانفتاح في صالح المجتمع المؤمن، بل في مصلحة الرسالة الإسلامية العالمية.

أمَّا في ما يتعلق بأداء الحقوق فهي من الأمور الواجبة شرعاً وعقلاً، وهذا ما أكَّدَت عليه جميع الأديان السماوية والقوانين الوضعية؛ لأنَّ أداء حقوق الناس من العوامل المهمَّة جداً لإيجاد الاحترام والتعايش السلمي بين أبناء الشعوب، على تنوع معتقداتهم وثقافاتهم ولغاتهم، فمن الأهمية بمكان أن تراعى حقوق الآخرين؛ لأنَّ رعايتها يعد مقوماً جوهرياً من مقومات البشرية، باعتباره مدعاة لتعزيز التفاهم والاحترام والمحبَّة بين أبناء الإنسانية.

ومن هنا، ينبغي أن تكون هناك عدالة بين أفراد الأسرة البشرية وتساوي بينهم في الحقوق والواجبات، لكونها مبادئ مشتركة تجمع بين البشرية جمعاء؛ ولهذا روي عن الإمام العسكري عليه السلام أنَّه قال: «أعرف الناس بحقوق إخوانه، وأشدَّهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأناً».(٢)

---

(١) الصوري، الحسن بن طاهر، قضاء حقوق المؤمنين، ص٥.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٦٧.

وعلى هذا الأساس، لو أردنا أن نعزز قواعد التعايش السلمي يتحتم علينا أن نهتم بأداء حقوق الإخوان، والإخوان هم أبناء المجتمع الإيماني الذي ننتمي إليه.

والجدير بالذكر أنَّ التعامل مع الإخوان من منطلق الحقوق والواجبات لا يُعد تفضلاً، وإنَّما هو واجبٌ وحقٌّ علينا لا بُدَّ أن نؤديه، فلا ينبغي أن يغفل الإنسان عن حقوق الآخرين أو يتهاون في علاقاته مع أبناء جلدته بغية التطاول على حقوقهم والتعدِّي على ممتلكاتهم، هذه هي وصايا إمامنا الحسن العسكري عليه السلام بصورة خاصة، وسائر أهل البيت عليهم السلام بصورة عامة.

حُسْن الخُلْق مع الناس

إنَّ حقيقة الاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام ومحبتهم هو طاعتهم وإتباعهم والتمسك بما ورد عنهم من تعليمات ونصائح والعمل بها؛ ليكون الاعتقاد صادقاً في طاعتهم وولايتهم مطابقاً في القول والعمل، فضلاً عن الامتثال لأوامر الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ**﴾[1]، ومن أهم ما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في وصيته المباركة الشريفة إلى شيعته ومحبيه فقرة حُسْن الخُلْق مع الناس، ويمكن أنْ يرى الإنسان آثار حُسْن الخُلْق بأدنى تأمل. فلو تمعَّن الإنسان قليلاً في الرسالة الإسلامية ودعوتها إلى السلم والتعايش السلمي بين الناس عامة من منطلق قول النبي صلى الله عليه وآله: «إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»،[2] سيجد أنَّ هذا المعنى يتناغم مع قول الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[3]، فالآية المباركة تؤكِّد أنَّ الحجة الإلهية في الأرض هو رحمة للعالمين، ولم تخص المؤمنين دون غيرهم، وإنْ كانوا هم أشرف المخاطَبين، وفي هذا أيضاً صورة من الصورة الأخلاقية التي تكشف

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٦، ص٢١٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

عن أهمية التعايش السلمي الآمن للبشرية، والأئمة عليهم السلام هم امتداد لرسالة النبي العالمية، فكانوا المثال الأمثل للسلم كما كتب لنا التاريخ ذلك، وهذا ما يمكن أنْ نقرأه في تعاليمهم ووصاياهم، ومنها وصية الإمام الحسن عليه السلام.

من هذا المنطلق نعتقد بأنَّ النظام الأخلاقي الإسلامي الذي يتناغم مع وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التأسيس للتعايش السلمي، قادر على قيادة الحياة الإنسانية وتنظيمها ضمن أطرها الحيَّة وسيُحقِّق منجزات لم تُحقِّقها الأنظمة العلمانية، القائمة على أساس العولمة الغربية، فالبعد الإنساني للحركة الإسلامية القائمة على أساس التعايش بين كافة شعوب العالم هدف إسلامي لا غناء عنه إلَّا بنشره وتعميمه، ولا طريق للإنسانية أمامها إلَّا بالدخول فيه والانتماء إليه، علماً أنَّ هذا الهدف ليس وليد الساعة، بل كان منذ إرسال الأنبياء أولي العزم عليهم السلام وأخذت تكتمل حلقاته خلال الأدوار التي عاشها الأئمة المعصومون عليهم السلام، وبالخصوص الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي استطاع أن يحقق هذا الهدف بعد أن أدرك ضرورة التأسيس للتعايش السلمي بين الطوائف الإسلامية في مدينة سامراء؛ ليكون ذلك منطلقاً لإيجاد الحياة الآمنة الخالية من حالة التفرُّق والتشتت والتناحر والحقد والبغضاء الناجمة عن تراكمات العصبية الجاهلية والروح القبلية والنزعات الطائفية.

الخاتمة:

من الطبيعي أنَّ غالبية البشر ترغب في السلام ومحاولة إحلاله كحالة طبيعية وعادية مستمرة في مسار التطوُّر الإنساني، وأنَّ الإنسان لا يرغب في الحرب والعنف؛ لكونه حالة شاذة معاكسة للحالة الطبيعية وهي السلام، ومعلوم أنَّ حالة الحرب لا تتماشى مع الازدهار والرقي الإنساني، ولا يمكن أن يشعر بالسلام ولا يعرف قيمته النفسية والروحية والاجتماعية والمادية إلَّا من عاش ويلات الحروب وقذاراتها؛ ولهذا نجد أنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام اتخذ منهجاً في وصاياه يتلاءم مع الحالة الطبيعية التي تنسجم مع الفطرة الإنسانية في التعايش السلمي.

وعلى هذا الأساس كان للإمام العسكري عليه السلام دورٌ بارز في التأسيس للتعايش السلمي بين أبناء الأمَّة الإسلامية على وجه الخصوص وبين أبناء البشرية عموماً، إذ كانت وصاياه ترسم منهجاً واضحاً في التعايش السلمي بين المذاهب الإسلامية، بل وحتى أهل الأديان الأخرى، حيث كان منهجاً يشتمل على التعاليم الإسلامية التي تنسجم مع أفكار أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى أينما كانوا وأينما عاشوا، فهي تعاليم تدعو إلى التعامل الحسن مع الناس سواء كانوا موافقين في الدين والمذهب والعقيدة أو مخالفين، وتلك هي أخلاق الإسلام المحمدي الأصيل، التي انتهجها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولقد اتضح لنا من خلال هذا البحث أنَّ التعايش السلمي لا يمكن أن يتحقق بأوضح مصاديقه إلَّا بين أفراد المجتمع الإيماني في ظل إمام عادل، يتمكَّن من زرع روح المحبَّة والارتباط بين القلوب، وهذا ما حققه الإمام الحسن العسكري عليه السلام عندما بذل كافة جهوده في سبيل إيجاد المقدمات التي تجعل الله تعالى ينعم على المجتمع العراقي بالأمن والسلام.

علماً أنَّه من غير الممكن تحقيق أبعاد التعايش السلمي والحصول على معطياته

وجني ثمراته، إلَّا إذا تحققت مفاهيمه في المجتمع، كالوحدة والانسجام والتعاضد والتعاون والمحبَّة والصداقة والمودَّة والتراحم والتضامن والألفة، وغيرها من المفاهيم التي يمكن أن تؤسس شبكة معانٍ يتمخَّض عنها مفهوم التعايش السلمي. بالإضافة إلى أنَّ الجماعة إذا فقدت قدرتها على التوصُّل إلى قاسم إيماني مشترك ستعجز عن تحقيق هذا التعايش، كما لا يمكن تحقيق هذا التعايش مع وجود العنف والتطرف والتكفير وفقدان الوازع الذي يدعو إلى الأخوَّة والمحبَّة والوحدة والإنسجام والتآلف بين القلوب؛ لذلك حرص الإمام العسكري عليه السلام على إيجاد هذه المعاني والمفاهيم بين الأطراف المتخاصمة عندما مدَّ جسور الأخوَّة بين الموافقين والمخالفين من كافة أطياف المجتمع، وجعل رابطة الإخاء ورابطة الدين بدل رابطة الطائفية والعصبية القبلية والتناحرات المذهبية، في وصيته التي ارتكزت على إيضاح معاني التعايش السلمي.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: تحقيق الشيخ محمد عبده، مطبعة النهضة، دار الذخائر، قم المقدسة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن عبيد، الورع، تحقيق أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ.

٤. الأردبيلي، أحمد بن محمد، زبدة البيان في أحكام القرآن، تحقيق محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران، د.ط، د.ت.

٥. البخاري، محمد، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٦. بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٠م.

٧. البلاغي النجفي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، مطبعة العرفان، صيداء، د.ط، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م.

٨. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، ط٢، ١٤١٤هـ.

٩. الحراني (ابن شعبة) الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٠. حسن، طه حميد، سبل تعزيز التعايش السلمي في العراق، كلية العلوم السياسية والاجتماعية، قسم السياسة في جم جمال، جامعة السليمانية، ٢٠١١م.

١١. الخميني، روح الله، الرسائل، تحقيق مجتبى الطهراني، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، ١٣٨٥هـ.

١٢. دروزة، محمد عزَّة، التفسير الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٣. رزق، خليل، العرفان الشيعي، تقرير بحث السيد كمال الحيدري، دار فراقد للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨م.

١٤. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٥. سعدي، أبو حبيب، الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام، دار البلاد للطباعة والنشر، جدة، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٦. شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٧. الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، مؤسسة بوستان كتاب (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، قم المقدسة، ط٢، ١٤٢٥هـ.

١٨. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

١٩. الصوري، الحسن بن طاهر، قضاء حقوق المؤمنين، تحقيق حامد الخفاف، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، ١٤٠٨هـ.

٢٠. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، د.ط، د.ت.

٢١. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٢٢. طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٣. عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ت.

٢٤. الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي، تحقيق ضياء الدين الحسيني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، أصفهان، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٥. القمّي، عباس، الأنوار البهية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٦. القمّي، عباس، مفاتيح الجنان، تعريب السيد محمد رضا النوري النجفي، مطبعة البعثة، نشر مكتبة العزيزي، قم المقدسة، ط٣، ٢٠٠٦م.

٢٧. الكبيسي، صبحي أفندي والحديثي، عبدالله حسن، الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي، مجلة مداد الآداب، العدد ٣.

٢٨. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٥، ١٩٨٤م.

٢٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٠. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الفكر، القاهرة، ط٢، د.ت.

٣١. مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣،

١٩٨١م.

٣٢. مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، انتشارات كلمة الحق، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٧هـ.

٣٣. المفيد، محمد بن النعمان، الأمالي، تحقيق حسين الأستاد ولي وعلي أكبر الغفاري، دار المفيد أمين، إميل، دور الأديان في سيادة مفهوم السلام العالمي، مجلة التفاهم، العدد السابع والثلاثون، السنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣٤. مؤسسة ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف للدراسات الإسلامية، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٥. الوحيد البهبهاني، محمد باقر، مصابيح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع، مؤسسة العلامة المجدّد الوحيد البهبهاني رحمه الله، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٤هـ.

البحث التاسع والعشرون

توقيع الإمام الحسن العسكري عليه السلام لإسحاق بن إسماعيل النيسابوري

ـ دراسة تحليلية ـ

الشيخ الدكتور باسم دخيل مراد العابدي

الكلمات المفتاحية:

الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ توقيع ـ إسحاق بن إسماعيل.

- **أهداف الدراسة:**

انطوت الدراسة على اهداف منها:

١. الكشف عن تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام وإلقاء الأضواء عليه.

٢. مساعدة الاجيال المعاصرة التي تفتقد الارادة والحافزية للبحث في التراث للتعرف على مناهج الأئمة الأطهار عليهم السلام .

- **الدراسات السابقة**

بعد الاطلاع على هذا التوقيع اجتهدت بالبحث عن شروح له أو ايجاد من تصدى لبيان مضامينه، لكنني لم أجد سوى بعض الثناء والتعليقات على ما تضمنه التوقيع من صور أدبية وبلاغية، ومن ذلك ماعرضه الشيخ باقر شريف القرشي حيث تناول رسالة الإمام عليه السلام على عجل ومر عليها سريعاً، وقد أثنى على بلاغة التوقيع بقوله: «هي من غرر الرسائل، وقد استهدفت الوعظ والإصلاح الشامل»[1]، ثم ذكر بعض الاحتمالات والأسباب التي تسببت في جفوة الإمام عليه السلام مع إسحاق بن إسماعيل.

ولكن سياتي أنَّ التوقيع وان كان المخاطب به هو إسحاق بن إسماعيل إلّا أنَّه

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٧٥.

لايدل على أنَّه المعني بالعبارات الغاضبة التي كتبها الإمام عليه السلام في التوقيع المذكور.

وتوقف الدكتور محمد حسين الصغير عند التوقيع المبارك للإمام العسكري عليه السلام في كتابه (الإمام العسكري وحدة الهدف وتعدد الأساليب) ولكن بصورة بعيدة عن التفصيل أيضاً، فقد عرض للتوقيع بالتقريض دون أن يضيف عليه شرحا، واكتفى بالإشارة إلى تناول الشيخ القرشي له فقال: «وكان من أنفس هذه الرسائل أثراً وأعز هذه المظاهر ندرة رسالته إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري وما فيها من رفيع الخطاب وجليل الاستدعاء وما انتظمت عليه من عظيم الإصلاح، وقد وقف الاستاذ القرشي عند أبعاد هذه الرسالة وقفة متأنية كشف فيها مسالكها التربوية وأبان دلائلها الإيحائية »[1].

ونقل الشيخ علي الكوراني التوقيع كلَّه إلّا أنَّه ـ وبخلاف القرشي والصغير ـ كان يرى أنَّ التوقيع فيه هنات بلاغية وتكرارات، وهي مدعاة للمناقشة والشك في صدوره عن الإمام عليه السلام، لكنه نسب هذا الذي رآه خللاً صياغياً إلى الرواة لاسيما بعد إحراز ثبوت نسبة التوقيع إلى الإمام عليه السلام بسبب صحة السند؛ لشهادة الكشي بوثاقة راوي التوقيع[2].

(١) الصغير، محمد حسين، الإمام العسكري عليه السلام وحدة الهدف وتعدد الأساليب، ص١٨٨.

(٢) ينظر: الإمام الحسن العسكري عليه السلام والد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ص١١٥.

المقدمة:

لا يقاس الانتاج الفكري لأئمة أهل البيت عليهم السلام بالحجم والعدد ولا بالكثرة والقلة، فكلامهم يستبطن مخزونا معرفيا عظيما وإن قلَّ أو كثر .

قال الجاحظ في وصف مئة كلمة جمعها من كلام امير المؤمنين علي عليه السلام: «إن لأمير المؤمنين مئة كلمة، كل كلمة منها تفي بألف من محاسن كلام العرب»[١].

وقال تعليقا على قول الإمام علي عليه السلام: (قيمة كل امرئ ما يحسنه): «فلو لم نقف في هذا الكتاب إلّا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية، ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية»[٢] .

يقول جورج جرداق في وصف كلام امير المؤمنين عليه السلام: «فعن أي رحب وسيع من مسالك التأمل والنظر يكشف لك قوله: (الناس أعداء ما جهلوا) أو قوله: (قيمة كل امرئ ما يحسنه) . أو (الفجور دار حصن ذليل)، وأي إيجاز معجز هو هذا الإيجاز: (من تخفف لحق) وأي جليل من المعنى في العبارات الأربع وما تحويه من ألفاظ قلائل فصلت تفصيلاً، بل قل أنزلت تنزيلاً».[٣]

وهذا يدل على أنَّ كلام أهل البيت عليهم السلام له ميزات يختلف بها عن غيره من الكلام مثلما أن حضور الأئمة عليهم السلام ومكانتهم في المجتمع مختلفان عن حضور غيرهم من جهة القيمة والعطاء والتاثير على الرغم من الهامش الضئيل من الحرية والاستقرار في حياتهم، فقد لاقوا أنواع الابتلاءات وتحملوا أقسى الظروف وجابهوا أعتى الأنظمة، فكانت حياتهم ما بين الإقامة الجبرية في بيوتهم أو السجن في الطوامير أو القتل بالسم أو القتل بالسيف، وهذا قدر مشترك بين الأئمة عليهم السلام جميعهم.

---

(١) الجاحظ، أبو عمرو، الكلمات المئة للامام علي، ص٢.

(٢) الجاحظ، أبو عمرو، البيان والتبيين. ج١، ص٨٣

(٣) جورج جرداق، روائع نهج البلاغة، ص١٠.

المطلب الأول: التعريف بمفردات الدراسة.

ترتكز الدراسة على ثلاثة عناصر رئيسة هي: الإمام العسكري عليه السلام والتوقيع واسحاق بن إسماعيل، إلا إننا لا نعرض بالتعريف للإمام العسكري عليه السلام لسببين أحدهما ان البحث ليس في مقام العرض لحياة الإمام العسكري عليه السلام، والاخر لامتلاء الكتب والمدونات بالتعريف بحياة الإمام العسكري عليه السلام، وأما إسحاق بن إسماعيل فسيأتي التعريف به في بحث الرجال التي وردت أسماؤهم في التوقيع.

لكننا سنتوقف في مقام بيان دلالة الألفاظ على مفردة التوقيع، ولعل هذه المفردة من المفردات محدودة التداول في عصرنا هذا، مما يجعل الحاجة إلى تعريفها ضرورية وجادة لاسيما أنَّها تشكل الفقرة المهمة الثانية في عمود الدراسة الفقري بعد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

التوقيع في الدلالتين اللغوية والاصطلاحية:

عرفت مكاتبات الأئمة عليهم السلام باسم التوقيع واشتهرت بهذا الاسم لاسيما مكاتبات الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن عليه السلام، ولأجل معرفة دلالة اللفظ نلقي نظرة لغوية يسيرة عليه، كما ونبين دلالته الاصطلاحية قبل الدخول للبحث في أصل التوقيع.

١. التوقيع في دلالته اللغوية.

تناولت كتب اللغة هذه المفردة اللغوية فجاءت على معان عدة منها: ان التَّوقيعُ في الكتاب: إلحاقُ شيءٍ فيه، والتّوقيعُ: سَحْجٌ بأطرافِ عِظام الدّابّة من الرّكوب، أي الأثر الذي يحدث في ظهر الدابة المركوبة نتيجة كثرة الركوب عليها، أو هو: أَثَرُ الرّحل على ظهر البعير. يقال: بعيرٌ موقّع أي ذو أثر في ظهره، وفي ذلك مقاربة بينه وبين التوقيع في الكتاب؛ لأنَّ التوقيع يحدث أثراً في الكتاب كما يحدثه الرحل أو الركوب

في ظهر البعير[١].

٢. التوقيع في دلالته الاصطلاحية.

مما جاء في التعريف اللغوي ان التوقيع يعني التأثير في الكتاب أو وضع ختم في أسفله كما هو متعارف اليوم من لفظ التوقيع الذي لايعدو عن كونه علامة أو كتابة قليلة في ذيل الكتاب أو الرسالة وأمثال ذلك، وهذا يعني وجود مناسبة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي لما تعارف عليه اليوم، وقد عرفه القلقشندي بقوله: «وأما تسميتها بالتوقيع فأصله من التوقيع على حواشي القصص، وفي اصطلاح الأقدمين من الكتّاب أنه اسم لما يكتب في حواشي القصص كخطّ الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدّم، وخط كاتب السّرّ الآن؛ ثم غلب حتّى صار علماً على نوع خاصّ مما يكتب في الولايات وغيرها»[٢].

اما معجم المصطلحات الأدبية فقد حصرها بالحكام والخلفاء وعرفها هكذا: «التوقيع في الأدب العربي هو راي الحاكم يكتبه على ما يقدم عليه من شؤون الدولة»[٣]، ويشكل على التعريف بإشكالين، الأول: أنَّه قيد التوقيعات بأنها نمط من أنماط الأدب العربي، والحال أنَّها وإن كانت فيها لمسة أدبية إلا أنَّها أشمل من الأدب ومن غيره إذ قد تكون فقهية أو عقائدية أو غيرهما.

والثاني: أنه حصرها بمكاتبات الخلفاء والحكام، وهذا يخرج التعريف من جهة السعة والشمول والجامعية، فالأئمة الأطهار عليهم السلام وإن كانوا قادة البشر وأمراءهم على نحو الحقيقة إلّا أنَّهم في الواقع إما مسجونون أو مفروض عليهم الإقامة الجبرية

---

(١) الفراهيدي، العين، ج٢، ص١٧٧؛ الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١٣٠٢؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيد، ص٧٧٣.

(٢) صبح الاعشى في كتابة الانشا، ج١١، ص١١٤.

(٣) مجدي وهبة، وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص١٢٧.

في بيوتهم وليسوا أمراء أو ملوكاً رسميين على العامة والخاصة، ومع ذلك فإنهم يصدرون التوقيعات في شتى العلوم والمعارف والاختصاصات.

وحصرها باحث آخر بالإجابة وتذييل المراسلات أو المطالب أو الرسائل التي ترد إلى ديوان الملك أو الخليفة وأساليب الرد عليها فقال: «يراد بها التعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها مع التعليل لذلك بآية قرآنية أو حكمة سائرة أو قول محكم، من إنشاء الكاتب بأسلوب موجز دقيق، ربما بلغ بالإيجاز حد الإعجاز»(١)، ويؤخذ على هذا التعريف أيضاً انه غير جامع.

وعلى كل حال؛ فإن التوقيعات كانت في بدايات نشوئها عبارة عن جمل مختصرة تذيل بها المطالب والرسائل والمظالم ولم تكن تحمل أكثر من هذه الدلالة الشائعة إلى ماقبل العصر العباسي والتي تطورت دلالتها بعدها فقد « أضيفت إليها دلالة جديدة مع بقاء دلالتها الأدبية السائدة في العصر العباسي، حيث أصبحت تطلق على الأوامر والمراسيم التي يصدرها السلطان أو الملك لتعيين والٍ أو أمير أو وزير أو قاضٍ أو معلم. وامتازت مثل هذه التوقيعات بطولها والإسهاب في ذكر الحيثيات والأسباب المسوغة للتعيين حتى تجاوز بعضها أربع صفحات، ولكن التوقيعات بهذا المفهوم لا تعد توقيعات أدبية بل تعدها من باب الكتابة الديوانية والوثائق التاريخية»(٢).

ولهذا فإن معنى التوقيع فيما يرتبط بالأئمة عليهم السلام أوسع من التعريف الاصطلاحي الرائج المنحصر بالأثر أو العلامة أو الأوامر الحكومية الصادرة من البلاط، فهو عند الأئمة عليهم السلام شامل للنص الكتابي الذي يمليه الإمام والختم الخاص به، فهو أعم من الكتابة ومن الختم الدال عليها، ويكون شاملاً للتعاليم الفقهية

(١) حجاب، محمد نبيه، بلاغة الكتاب في العصر العباسي ـ دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب، ص٩٦.

(٢) أحمد، رفيع، قراءة في فن التوقيعات العربية وإيجازه ـ قراءة أنموذجية للعصور المختلفة، مجلة أقلام الهند، السنة الثالثة، العدد٢، نيسان ٢٠١٨م.

والعقائدية والأخلاقية وليس ملاحظات جزئية أو عبارات أدبية مختزلة كما هو رائج عند الكتاب والأدباء والخلفاء، لأن الكتابة والخط حينها يمثلان أحد الأدلة المعززة لليقين بصدور النص عن الإمام عليه السلام وبهذا يتضح الفارق بين تواقيع الأئمة عليهم السلام وتواقيع غيرهم.

المطلب الثاني: الإمام الحسن العسكري أسير سامراء.

فرض على الأئمة الأطهار عليهم السلام ان يوجدوا حيث يوجد الحاكم العباسي وكانت هذه سنّة عباسيّة مفروضة على أهل البيت عليهم السلام، فقد أتى هارون العباسي بالإمام الكاظم عليه السلام إلى بغداد ليسجن في طوامير الكرخ، وحمل ما يسمى بالمامون الإمام الرضا عليه السلام إلى طوس ليسجنه في قصره تحت مسمى ولاية العهد، وجاء المتوكل على الشيطان بالإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء ليبقيه تحت رقابة الاستخبارات الحكومية، ولم ينج الإمام الحسن العسكري عليه السلام من هذه السنّة العباسية، بل إن الاجواء العقدية والظروف السياسية التي تحيط بالإمام العسكري عليه السلام كانت أكثر تعقيداً وخطورة من غيرها على حياة الأئمة السابقين على الإمام العسكري عليه السلام لجهة ظروف الإمامة وطبيعة المرحلة الانتقالية والتهيئة لما بعد شهادة الإمام العسكري عليه السلام ولزوم المحافظة على الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف والتهيئة النفسية والفكرية والعملياتية لانتقال الإمامة بعد شهادته من الإمامة الظاهرة إلى الإمامة الغائبة ومن الامام العلني إلى الامام السري وابتداء الغيبة وما يترتب على هذا الانتقال من تبعات دينية واجتماعية وسياسية، وكان على الإمام الحسن العسكري عليه السلام ان يوفق بين مسألتين تبدوان متضادتين هما: سرية وجود الإمام الثاني عشر وبين التبليغ لإمامته ودعوة الأمة له بعينه، فكانت هذه المسألة تشكل التحدي الأكبر أمام الإمام العسكري عليه السلام واتباعه من المؤمنين لأسباب منها :

١. السلطة الظالمة التي تحصي على الإمام أنفاسه وتحاصر أفكاره وعلومه

ونشاطه السياسي والاجتماعي من جهة ومن جهة أخرى تتتبع الإمام الثاني عشر المأمول وتراقب ولادته بغرض القضاء عليه والخلاص من فكرة المهدي التي تؤرق على الدوام الحكومات الغاشمة وتقلق وجودها؛ كونها على دراية ـ وإن كانت غير معلنة ـ بعدم شرعيتها لاسيما ان هؤلاء الحكام الجبابرة لا يعلمون الزمن الذي يظهر فيه الإمام، فمن الطبيعي ان يتجسسوا لمعرفة حدوث ولادته ويتحسسوا عنه بغرض القضاء عليه مبكراً ومنع تكرار التجربة الموسوية مع فرعون، فقد كان فرعون يتفحص بطون الامهات ويترصد الولادات الجديدة، يفعل ذلك لافتقاره إلى الإيمان بالحماية الإلهية لموسى عليه السلام، الأمر نفسه حدث مع الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد كانت عيون النظام تتابع الولادات الحديثة وتنصب كاميرات المراقبة على بيت الإمام الحادي عشر عليه السلام، كل ذلك كان يجري على دراية وبصيرة من الإمام العسكري عليه السلام الذي أعد العدة لحماية الإمام الثاني عشر مستندا إلى الإرادة الإلهية التي ستحمي الإمام المخلّص كما حمت موسى من قبل.

٢. المطامح والمطامع الشخصية غير الشرعية لبعض المنسوبين للائمة عليهم السلام سواء من جهة القرابة أم المعروفين بالصحبة معهم وانحرافهم عن منهج الأئمة عليهم السلام، فقد اوجد هؤلاء تحدياً كبيراً وعقبة أمام الأئمة عليهم السلام في حفظ المنظومة الدينية للمجتمع الإسلامي والتفرغ لإثراء الفكر الإسلامي والإنساني بالعلوم النافعة، فقد ظهرت من بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام أو من المنتسبين إليهم أو معاصريهم انحرافات خطيرة كالادعاء والانتحال والغلو والكذب عليهم، مما اضطر الأئمة عليهم السلام للتصدي لهذه الظواهر بما تحمل من مخاطر على المسارات الفكرية والعقائدية للمجتمع الإسلامي؛ لأنّ الخطر الذي ينتج عن الانحراف لا يقل عن خطر الحكومات المستبدة التي تحاصر الأئمة وتعيق حركتهم الفكرية، فمثل هذه الاعمال والتوجهات أحدثت ثغرات أخرى شغلت الأئمة عليهم السلام وتطلبت منهم بذل الجهد والوقت لسدها ومعالجتها، لاسيما ان خطورتها تنبع من كونها تاتي من داخل البيئة الإسلامية وتتلبس بالدعوة

للأئمة، والقرب منهم، والدفاع عنهم، والحديث بلسانهم، وقد كانوا عليهم السلام على وعي بحجم المخاطر التي تتسبب بها هذه الجماعة والمضار التي تلحقها بالمجتمع الإسلامي بإلقائها الشبهات فيما لو لم تجابه بالتفنيد والردع، لذلك كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يسارعون لإعلان البراءة من هؤلاء المنحرفين ورفض سلوكياتهم وتفنيد مقالاتهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس»(١).

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام رواها عنه زياد بن أبي الحلال قال: «اختلف الناس في جابر بن يزيد وأحاديثه وأعاجيبه، قال: فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام وانا أريد أن أسأله عنه فابتدأني من غير أن أسأله: رحم الله جابر بن يزيد الجعفي، كان يصدق علينا، ولعن الله المغيرة بن شعبة كان يكذب علينا»(٢).

وكان الإمام الرضا عليه السلام يلعن بعض الرجال ويتوعدهم بالعذاب من الله سبحانه وتعالى، ويذكر أنَّ مسألة الكذب على أهل البيت لها جذور تاريخية ابتلى بها الأئمة عليهم السلام من قبله أيضاً، قال عليه السلام: «آذاني محمد بن الفرات آذاه الله وأذاقه الله حر الحديد، آذاني لعنه الله ما آذى أبو الخطاب لعنه الله جعفر بن محمد عليه السلام، بمثله، وما كذب علينا خطابي مثل ما كذب محمد بن الفرات، والله ما من أحد يكذب علينا إلا ويذيقه الله حر الحديد»(٣).

وحدث إسحاق الأنباري، قال: «قال لي أبو جعفر الثاني عليه السلام(٤): ما فعل أبو السمهري لعنه الله؟ يكذب علينا ويزعم أنه وابن أبي الزبرقاء دعاة إلينا، اشهدكم أني

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص٢١٨.

(٢) الصفار، بصائر الدرجات، ص٢٥١.

(٣) العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الرضا، ج٢، ص٤٤٦.

(٤) كنية الامام الجواد عليه السلام لأن جده الإمام الباقر عليه السلام يكنى بابي جعفر.

أتبرأ إلى الله جل جلاله منهما، انهما فتانان ملعونان»[١].

وفي رواية عن محمد بن عيسى، قال: «كتب إلي أبو الحسن العسكري عليه السلام ابتداء منه: لعن الله القاسم اليقطيني، والآخر علي بن حسكة القمي، إن شيطانا يتراءى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غرورا»[٢].

ثم بلغ الانحراف ببعضهم إلى الغلو حتى اتخذوا الامام إلهاً، وجعلوه ربّاً يبعث الأنبياء والرسل ومن أولئك: ابن بابا القمي الذي لعنه الإمام العسكري عليه السلام وتبرأ منه، وتبرأ من محمد بن نصير الفهري النميري[٣]، وقال فيهما: « أبرأ إلى الله من الفهري، والحسن بن محمد بن بابا القمي[٤]، فابرأ منهما، فاني محذرك وجميع موالي، وإني ألعنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين، يتأكلان بنا الناس، فتانين مؤذيين، آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركسا، يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً، وأنه باب، ويله لعنه الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد، إن قدرت أن تشدخ رأسه بحجر فافعل، فإنه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والاخرة»[٥].

---

(١) الميرزا النوري، خاتمة المستدرك، ج٤، ص١٤٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ملعون من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ادعى أنه نبي رسول، وأن علي بن محمد العسكري أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن الهادي عليه السلام ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم، و يحلّل نكاح الرجال. «رجال الكشي، ص٥٢٠ ـ ٥٢١، معجم رجال الحديث، ج١٧، ص١٩».

(٤) قال نصر بن الصباح، الحسن بن محمد المعروف بابن بابا ومحمد ابن نصير النميري، وفارس بن حاتم القزويني لعن هؤلاء الثلاثة علي بن محمد العسكري عليه السلام وذكر أبو محمد الفضل بن شاذان في بعض كتبه أن من الكذابين المشهورين ابن بابا القمي .«اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٠٥».

(٥) النوري، خاتمة المستدرك، ج٤، ص١٤٠.

وأكثر ما آذى الأئمة عليهم السلام ان يقع الانحراف من داخل البيت العلوي وقد تعرض الإمام العسكري عليه السلام لهذه المحنة مع اخيه جعفر بن علي الهادي الملقب بـ(جعفر الكذاب)، فقد وقعت من جعفر هذا بعد وفاة أبيه الإمام الهادي عليه السلام ـ بغض النظر عن توبته التي تذكرها بعض الآراء وعدمها ـ انحرافات بعضها عقائدية كإنكاره ولادة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف وادعائه الإمامة لنفسه، وبعضها اجتماعية ونفسية كإلحاقه الأذى بالإمام العسكري عليه السلام وأسرته ومن ذلك الوشاية بالإمام لدى السلطان، أو الغارة على بيت الامام وسرقة ممتلكاته، ويدل على ذلك ما أورده الكليني قال: «باع جعفر في من باع صبية جعفرية كانت في الدار يربونها، فبعث بعض العلويين وأعلم المشتري خبرها، فقال المشتري: قد طابت نفسي بردها وأن لا أرزأ من ثمنها شيئا، فخذها. فذهب العلوي فأعلم أهل الناحية الخبر فبعثوا إلى المشتري بأحد وأربعين دينارا وأمروه بدفعها إلى صاحبها»(١).

وروي عن الإمام السجاد عليه السلام انه بكى حين ذكر ما سيفعله جعفر وقال: «كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، وحرصا على قتله إن ظفر به، طمعا في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقه»(٢).

٣. تمرد الأمة وعدم طاعتها ودورانها بين المصالح والمخاوف بسبب تشبثها بالدنيا وعدم رعايتها لحق الأئمة عليهم السلام، وقد تحمّل أهل البيت عليهم السلام أعباء خذلان الأمة لهم وتبعاته منذ فجر الإسلام حين خالفت الأمة نبيّها صلى الله عليه وآله سواء في تعاليمه العسكرية أم العقدية، ومالت إلى جمع الغنائم تارة، ونكث البيعة تارة أخرى، والخوف من سطوة السيف والجلاد تارة ثالثة، وتمكن الخدعة منها تارة رابعة، وامتدت إلى حياة الأئمة عليهم السلام

(١) الكليني، الكافي، ص٧٦٤.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٢٨.

ومنهم الإمام العسكري عليه السلام فقد عاش مغتربا وسط أمة متضاربة الاراء مسلوبة الإرادة والوعي وهذا ما زاد من ابتلائه وأضاف مسؤوليات أخرى فوق مسؤولياته، فليس له أن يدع الأمة تتخبط في التيه حتى على فرض اختيارها التمرد عليه فهو من منطلق المسؤولية الشرعية وأمانة الإمامة التي اوكلها له المولى سبحانه وتعالى كان يتحرك في افاق النصح والإرشاد لإبقاء الأمة على طريق السلامة الدينية والدنيوية.

ولكن هذا لايعني أن الأئمة عليهم السلام لم يخالطهم الاحباط من حجم الخذلان الذي مارسته الأمة تجاههم، بل نجد في أحاديث الأئمة عليهم السلام مايدل على وصول الإمام إلى مرتبة من الملل والالم يتمنى معها الخلاص من هؤلاء الأصحاب واستبدالهم بغيرهم وهذا ما يروى عن امير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في قوله: «وَ اَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمُ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِهِمْ بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَ إِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي، وَ لَقَدْ أَصْبَحَتِ اَلْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَ أَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي، اِسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا وَ أَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَ دَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَ جَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَ شُهُودٌ كَغُيَّاب وَ عَبِيدٌ كَأَرْبَاب، أَتْلُو عَلَيْكُمُ اَلْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا وَ أَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ اَلْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا وَ أَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ اَلْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَ تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَ تَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ اَلْحَنِيَّةِ عَجَزَ اَلْمُقَوِّمُ وَ أَعْضَلَ اَلْمُقَوَّمُ أَيُّهَا اَلْقَوْمُ اَلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ اَلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ اَلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ اَلْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اَللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَ صَاحِبُ أَهْلِ اَلشَّامِ يَعْصِي اَللَّهَ وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ لَوَدِدْتُ وَ اَللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ اَلدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَ أَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ»[1].

ولكن على الرغم من جحود الأمة ومقابلتها للائمة عليهم السلام بالإنكار أحياناً

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٧٠.

وباللامبالاة أخرى والتقاعس ثالثة، وعلى الرغم من تمني الأئمة عليهم السلام الاستبدال إلا أنهم عليهم السلام وتبعا لجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وكونهم رحمة لهذه الأمة وملجأ نجاتها وخلاصها لم يدعوا على قومهم بالهلاك كما فعل بعض الأنبياء بعدما عجزوا عن هداية قومهم وتيقنوا من استحالة رجوعهم هؤلاء القوم من مستنقعات الشرك إلى روضات التوحيد لتشربهم بالكفر دعوا عليهم بالهلاك، وقد ذكر القرآن الكريم بعض هؤلاء الأنبياء وذكر دعاءهم في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**﴾[1].

إلا أن الأئمة عليهم السلام على الرغم من الأذى غير المسبوق الذي تلقوه من أقوامهم وأسوة بجدهم صلى الله عليه وآله الذي قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»[2] كانوا محلا لبعث الرحمة والطمانينة على قلوب الناس وحفظ حياتهم الأولية والاخروية.

ومن هنا جاءت رسالة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وتوقيعه لمعتمده إسحاق بن إسماعيل لتجسد هذه المعاني وتؤكد هذه الحقيقة وإن كان كلامهم في بعض المواقف والحالات يتسم بالتشدد إلا أنها اشبه بتشدد الطبيب الذي يشق بطن المريض بالمشرط ليستخرج الاورام من جسده، فهم عليهم السلام يضعون مشارط الكلام على مواضع الاورام الروحية لاجتثاثها وإزالتها وكانت رسالة الإمام عليه السلام لمعتمده إسحاق من هذا القبيل وهذا ما جعلها تحضى بأهمية خاصة دعتني للوقوف عندها والنظر في بعض المطالب التي تضمنتها على ما تحمله من مفاهيم دينية وأخلاقية وولائية ومحاولة الكشف عن ما يختزنه التوقيع من دلالات بحدود الطاقة لا سيما انني لم أجد ـ على ما ذكرت في سابقة البحث ـ من تناول هذه التوقيع المهم بالشرح والبيان مع ما يحتوي من تعاليم وما يكتنز من مضامين مهمة.

---

(١) سورة نوح، الآية ٢٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٩، ص٥٦.

المطلب الثالث: رسالة الإمام العسكري عليه السلام لإسحاق بن إسماعيل.

جاء في معارف الرجال للكشي:

«حكى بعض الثقات بنيسابور أنه خرج لاسحاق بن إسماعيل من أبي محمد عليه السلام توقيع: يا إسحاق بن إسماعيل سترنا الله وإياك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، قد فهمت كتابك يرحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على موالينا، ونسر بتتابع احسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله عزَّ وجلَّ عليهم، فأتم الله عليكم بالحق ومن كان مثلك ممن قد رحمه الله، وبصره بصير تك ونزع عن الباطل ولم يعم في طغيانه نعمه، فإن تمام النعمة دخولك الجنة، وليس من نعمة وإن جلَّ أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدست أسماؤه عليها مؤدى شكرها.

وأنا أقول الحمد لله مثل ما حمد الله به حامد إلى أبد الأبد، بما مَنَّ عليك من نعمة، ونجاك من الهلكة ـ وسهل سبيلك على العقبة، وايم الله أنها لعقبة كؤود شديد أمرها صعب، مسلكها عظيم، بلاؤها طويل، عذابها قديم في الزبر الأولى ذكرها. ولقد كانت منكم أمور في أيام الماضي عليه السلام إلى أن مضى لسبيله، صلى الله على روحه، وفي أيامي هذه كنتم بها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق، واعلم يقينا يا إسحاق أن من خرج من هذه الحياة أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، انها يا ابن إسماعيل ليس تعمى الابصار لكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه للظالم «رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا» قال الله عزَّ وجلَّ «كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» وأية آية يا إسحاق أعظم من حجة الله عزَّ وجلَّ على خلقه وأمينه في بلاده وشاهده على عباده، من بعد ما سلف من آبائه الأولين من النبيين وآبائه الاخرين من الوصيين عليهم أجمعين رحمة الله وبركاته. فأين يتاه بكم وأين تذهبون كالانعام على وجوهكم عن الحق تصدفون،

وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون، أو تكذبون، ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم الا خزي في الحياة الدنيا الفانية، وطول عذاب الاخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم.

إن الله بفضله ومنه لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض عليكم لحاجة منه إليكم، بل برحمة منه لا اله الا هو عليكم، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي مافي صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتتسابقون إلى رحمته، وتتفاضل منازلكم في جنته. ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة وايتاء الزكاة والصوم والولاية، وكفاهم لكم بابا، ولتفتحوا أبواب الفرائض، ومفتاحاً إلى سبيله، ولولا محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده: لكنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضا من الفرائض، وهل تدخل قرية الا من بابها؟ فلما من عليكم باقامة الأولياء بعد نبيه صلى الله عليه وآله قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا وفرض عليكم لأوليائه حقوقا أمركم بأدائها اليهم، ليحل لكم ماوراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم ومعرفتكم بذلك النماء والبركة والثروة وليعلم من يطيعه منكم بالغيب، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، واعلموا أن من يبخل فإنما يبخل على نفسه، وأن الله هو الغني وأنتم الفقراء اليه، لا اله الا هو، ولقد طالت المخاطبة فيما بيننا وبينكم فيما هو لكم وعليكم، ولو لا ما يجب من تمام النعمة من الله عزَّ وجلَّ عليكم: لما أريتكم لي خطاً ولا سمعتم مني حرفا من بعد الماضي عليه السلام، أنتم في غفلة عما إليه معادكم، ومن بعد الثاني رسولي وما ناله منكم حين أكرمه الله بمصيره إليكم، ومن بعد اقامتي لكم إبراهيم بن عبده، وفقه الله لمرضاته، وأعانه على طاعته، وكتابي الذي حمله محمد بن موسى النيسابوري، والله المستعان على كل حال.

واني أراكم تفرطون في جنب الله فتكونون من الخاسرين، فبعدا وسحقا لمن رغب عن طاعة الله ولم يقبل مواعظ أوليائه، وقد أمركم الله جل وعلا بطاعته، لا اله

الا هو، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وبطاعة أولي الأمر عليهم السلام، فرحم الله ضعفكم وقلة صبركم عما أمامكم. فما أغر الإنسان بربه الكريم، استجاب الله دعائي فيكم وأصلح أموركم على يدي، فقد قال الله جل جلاله «يوم ندعو كل أناس بإمامهم» وقال جل جلاله «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» وقال الله جل جلاله: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فما أحب أن يدعوا الله جل جلاله بي ولا بمن هو في امامي الا حسب رقتي عليكم، وما انطوى لكم عليه من حب بلوغ الامل في الدارين جميعا، والكينونة معنا في الدنيا والاخرة، فقد ـ يا إسحاق يرحمك الله ويرحم من هو وراءك ـ بينت لك بيانا وفسرت لك تفسيراً، وفعلت بكم فعل من لم يفهم هذا الأمر قط ولم يدخل فيه طرفة عين، ولو فهمت الصم الصلاب بعض ما في هذا الكتاب لتصدعت قلقا خوفا من خشية الله ورجوعا إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ. فاعملوا من بعد ما شئتم، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون والعاقبة للمتقين والحمد لله كثيراً رب العالمين.

وأنت رسولي يا إسحاق إلى إبراهيم بن عبده وفقه الله، أن يعمل بما ورد عليه في كتابي مع محمد بن موسى النيسابوري إن شاء الله، ورسولي إلى نفسك، وإلى كل من خلفك ببلدك، أن يعملوا بما ورد عليكم في كتابي مع محمد بن موسى إن شاء الله، ويقرأ إبراهيم بن عبده كتابي هذا ومن خلفه ببلده، حتى لا يسألوني، وبطاعة الله يعتصمون، والشيطان بالله عن أنفسهم يجتنبون ولا يطيعون. وعلى إبراهيم بن عبده سلام الله ورحمته، وعليك يا إسحاق وعلى جميع موالي السلام كثيراً، سدد كم الله جميعاً بتوفيقه، وكل من قرأ كتابنا هذا من موالي من أهل بلدك، ومن هو بناحيتكم، ونزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق: فليؤد حقوقنا إلى إبراهيم بن عبده، وليحمل ذلك إبراهيم بن عبده إلى الرازي رضي الله عنه، أو إلى من يسمي له الرازي، فإن ذلك عن أمري ورأيي إن شاء الله.

ويا إسحاق اقرأ كتابنا على البلالي رضي الله عنه، فإنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه، واقرأه على المحمودي عافاه الله، فما أحمدنا له لطاعته، فإذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا والذي يقبض من موالينا، وكل من أمكنك من موالينا فاقرأهم هذا الكتاب، وينسخه من أراد منهم نسخة إن شاء الله تعالى.

ولا يكتم أمر هذا عمن يشاهده من موالينا، إلا من شيطان مخالف لكم، فلا تنثرن الدر بين أظلاف الخنازير، ولا كرامة لهم، وقد وقعنا في كتابك بالوصول والدعاء لك ولمن شئت، وقد أجبنا شيعتنا[1] عن مسألته والحمد لله فما بعد الحق الا الضلال. فلا تخرجن من البلدة حتى تلقي العمري رضى الله عنه برضاي عنه، وتسلم عليه وتعرفه ويعرفك فانه الطاهر الأمين العفيف القريب منا وإلينا، فكل ما يحمل إلينا من شئ من النواحي فاليه المسير آخر عمره، ليوصل ذلك الينا، والحمد لله كثيرا، سترنا الله واياكم يا إسحاق بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، والسلام عليك وعلى جميع موالي ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم كثيرا»[2].

إلى هنا انتهى توقيع الإمام عليه السلام الذي يعد وثيقة تاريخية في التربية الأخلاقية والولائية، وياتي البحث فيه من جهة مصدره ومضمونه.

البحث في مصدر الرواية.

أقدم المصادر التي نقلت رسالة الإمام العسكري عليه السلام ما أورده الكشي في كتابه المفقود المسمى معرفة الرجال، ووصفه بالمفقود لأن الكتاب الموجود حالياً والمشهور برجال الكشي، إنما هو منتخب الشيخ الطوسي واختياراته منه وليس كتاب الكشي نفسه، فإن أصل الكتاب لاوجود له في المكتبة الرجالية والحديثية الشيعية.

---

(١) في نسخة البحار: اجبنا سعيدا.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج٣، ص٢٥٣- ٢٥٩.

ويظهر أن مدار كتاب الكشي لم يقتصر على البحث الرجالي فحسب وإنما كان بحثاً روائياً أيضاً، فالكتاب شامل للرجال والرواية معاً.

وعليه قد لاتصح تسمية الكتاب بكتاب رجال الكشي كون العنوان أخص من مضمون الكتاب ومحتواه؛ لأن محتواه كما قلنا شامل للرجال ولغيره بدليل الرواية التي ندرسها في هذا البحث وورودها في كتاب يفترض ان يكون كتابا رجاليا لا كتاب روايات.

ويظهر أيضاً من عنوان (اختيارات الشيخ الطوسي) ان كتاب الكشي أكثر سعة وشمولاً من الكتاب الموجود بأيدينا اليوم مما يعني ان الشيخ الطوسي لم ينقل الكتاب كله وإلا لما اطلق عليه صفة (مختارات) فلو لم يكن كذلك لسمي مثلا: (نسخ الشيخ الطوسي لكتاب معرفة الرجال) أو (تحقيق الشيخ الطوسي لرجال الكشي)، أو غير ذلك من الاطلاقات الكاشفة عن نقل الشيخ الطوسي لكتاب الكشي بأجمعه، ولكن المشهور هو ان كتاب الشيخ الطوسي هو مختارات وانتقاءات.

إلّا أن السؤال الذي يحتاج إلى إجابة هو: هل استند الشيخ الطوسي إلى معيارية انتقى على ضوئها ما اختصره من كتاب الكشي لا سيما انه لم يبين ذلك فلم يضع مقدمة لكتاب الاختيارات ولم يرد عنه انه ذكر المنهج الذي اعتمده في هذا الكتاب؟

ربما يستفاد للإجابة عن هذا السؤال من كلام المازندراني في قوله: «ذكر مشايخنا ان كتاب رجاله المذكور ـ يقصد الكشي ـ كان جامعا لرواة العامة والخاصة خالطا بعضهم ببعض فعمد إليه شيخ الطائفة ـ طاب مضجعه ـ فلخصه وأسقط منه الفضلات وسماه باختيار الرجال والموجود في هذه الأزمان، بل وزمان العلامة وما قاربه انما هو اختيار الشيخ لا الكشي الأصل»[1].

ويستشف من كلام المازندراني ان الكشي قد خلط في الروايات والرجال بين

(١) المازندراني، محمد بن إسماعيل، منتهى المقال في أحوال الرجال، ج٦، ص١٤٤.

العامة والخاصة فكانت ضابطة الشيخ الطوسي هي إبعاد روايات العامة ورجالهم وإبقاء رجال الخاصة ورواياتهم.

ولكن مع ذلك فإن المتعارف والمتداول بعد زمان الشيخ الطوسي والى اليوم غلبة إطلاق اسم رجال الكشي على هذه المختارات ونسبتها إلى الكشي وان دور الشيخ الطوسي ليس سوى الاختزال والاختيار .

من الكشي[١] وما مدى وثاقته؟

هو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي السمرقندي أحد رجال القرن الرابع الهجري ويعد في طبقة الشيخ الكليني ومعاصريه.

اتفقت كتب الرجال على وثاقته وفضله، قال عنه الطوسي: «ثقة، بصير بالأخبار و بالرجال، حسن الاعتقاد»[٢]، وأطرى عليه النجاشي ووصفه بانه ثقة عين[٣]، وروي انه كان تلميذاً للعياشي صاحب التفسير المعروف، ووصف بأنه «بصير بالأخبار والرجال حسن الاعتقاد، مستقيم المذهب»[٤].

---

(١) نسبة إلى مدينة كش بفتح الكاف واسكان الشين أو تشديدها، وكش هي احدى مدن جمهورية اوزبكستان الحالية، تقع إلى الجنوب من مدينة سمرقند العاصمة السابقة لجمهورية اوزبكستان قبل الاحتلال السوفيتي للدول الإسلامية في دول ما وراء النهر، إلا أنها لم تعد تحمل اسمها القديم فانها الان تحمل اسم، (شهر سبز) أي المدينة الخضراء، اما كيف ينسب الكشي هل يلفظ بكسر الشين وتشديدها أم بكسرها واهمالها؟ الدائر في الاوساط العلمية ان الأمر يدور بين قراءتين، الأولى المتداولة وهي بفتح الكاف وتشديد الشين وكسرها، اما الثانية فهي على ما ذكر الشيخ الايرواني في كتابه دروس تمهيدية في القواعد الرجالية انه سمع السيد الخوئي ينطق الاسم بتخفيف الشين وليس بتشديدها.

(٢) الفهرست، ص١٠٩.

(٣) ينظر: رجال النجاشي، ص٢٦٢.

(٤) البروجردي، طرائف المقال، ج١، ص١٧٦.

ولكن لم ينته الأمر مع الكشي ويتوقف عند التوثيق والمدح، فقد ورد فيها خلاف ذلك لاسيما في مسألة نقل الأخبار وروايتها، ومما يؤاخذ عليه :

١. عدم التحرز عن الأخذ من الضعفاء.

قال فيه النجاشي وهو تلميذه: «روى عن الضعفاء كثيراً، له كتاب الرجال كثير العلم، وفيه أغلاط كثيرة»[١].

٢. الخلط بين روايات العامة والخاصة.

يقودنا هذا العنوان إلى تسليط الضوء على أصول الكشي الاعتقادية، فلا يوجد جزم من هذه الجهة على أنَّه شيعي الأصل لأمرين:

الأول: إنَّ اسم أبيه واسم جده لاينسجمان مع المنظومة الفكرية لاتباع أهل البيت عليهم السلام في التسمية، ويظهر من ذلك ميلان اتجاه بوصلة القدوة والاتباع في أسرتهم إلى غير أهل البيت عليهم السلام، ولكن يبقى هذا الدليل دليلاً ظنياً غير جازم في المسألة.

الثاني: إنّه من تلاميذ العياشي أو من غلمانه ـ بمصطلح الشيخ الطوسي ـ والعياشي على ما ذهب إليه بعض علمائنا «كان في أول عمره عامي المذهب وسمع حديث العامة وأكثر منه ثم تبصر وعاد الينا»[٢].

ولو جمعنا بين قول الشيخين الطوسي والنجاشي: (روى عن الضعفاء) وقول العلامة: (سمع حديث العامة وأكثر منه) فانه يزيد من قوة الاحتمال المذكور لاسيما صحة حمل الضعفاء على المخالفين وأهل العامة.

ومع ذلك فإن القرائن الحافة بالرواية ترجح قبولها، ومنها:

---

(١) رجال النجاشي، ص٢٦٣.

(٢) الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢٤٦.

١. ذكر الكشي لها وهو من الثقات.

٢. اختيار الشيخ الطوسي للرواية وضمّها إلى مختاراته، وهذا أحد مرجحات قبولها.

٣. لم يرد عن العلماء في مختلف طبقاتهم طعن على الرواية.

٣. عدم تعارض متن الرواية مع القرآن الكريم.

٤. الغزارة التعاليمية والمعرفية وبلاغة الجمل الواردة في التوقيع.

المطلب الرابع: نظرة في أحوال الرجال المذكورين في التوقيع.

تضمنت هذه الوثيقة الشرعية والأدبية والأخلاقية المهمة أسماء بعض الرجال وهذا يدعو للوقوف عندهم ولو قليلاً لمعرفة طبيعة ارتباطهم بالإمام وما نوع الرجال الذين يحيطون بالأئمة عليهم السلام ويكونون مورد اعتمادهم وثقتهم؛ لما لهذا الأمر من أهمية ترتبط بطبيعة الصحبة والأصحاب ودورهم في تثبيت الفكرة ـ أي فكرة كانت ـ وتاثيرهم على بناء المنظومات الدينية وغيرها؛ لأنَّ تجربة الأصحاب في التاريخ ثرية بصور لازالت آثارها ونتائجها تتفاعل في حركة الأمة وحياتها في الاتجاهين السلبي والإيجابي.

١. إسحاق بن إسماعيل.

عرف الرجل بأنَّه صاحب التوقيع المبارك وأنَّه ثقة الإمام عليه السلام وجهة خطابه، عدّه بعض علماء الرجال من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام الثقات فقد ذكره بهذه الصفة الشيخ الطوسي[١]، ووثقه البرقي[٢]، والكشي[٣] وابن داود[٤]، والعلامة

(١) رجال الطوسي، ص١٨٢.

(٢) رجال البرقي، ص٢٨.

(٣) معارف الرجال، ص٢٣.

(٤) كتاب الرجال، ص١٤.

الحلي[١]، وعدّه صاحب منهج المقال من الثقات الذين ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة.

وفوق ذلك نعته الإمام عليه السلام ببعض النعوت التي يفهم منها قربه منه عليه السلام وثقته به من قبيل: (يا إسحاق بن إسماعيل، سترنا الله وإياك بستره) ومن قبيل: (ومن كان مثلك ممن قد رحمه وبصره بصيرتك، ونزع عن الباطل).

بالمقابل نجد نوعاً من التقريع تضمنته رسالة الإمام عليه السلام منه على سبيل المثال: (وفي أيامي هذه كنتم فيها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق) ومنه: (فأين يتاه بكم؟ وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم؟ عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون) ومنه: (ولولا محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده لكنتم حيارى كالبهائم) ومنه: (وإني أراكم مفرطين في جنب الله فتكونون من الخاسرين) وغيره مما مر سابقاً فلا نعيد.

ويظهر مما مر أنَّ توقيع الإمام تضمن مدحاً وقدحاً في آن واحد، فكيف ينسجم هذا الكلام الظاهر بالمدح والمعزز بكلمات الرجاليين القائلة بوثاقة الرجل مع ما ورد من ظهور الزجر والتقريع في رسالة الإمام عليه السلام له؟

وكيف يستقيم ذلك مع علم الإمام وحكمته وتقييمه للأشياء والأشخاص، فمن المحال أن يقع التضاد أو التناقض في كلام الإمام عليه السلام؟

في الجواب نقول: لايظهر من كلام الإمام عليه السلام إنَّ اللوم والذم متوجهان إلى شخص إسحاق نفسه أو أنه مشمول بالذم بدليل ثقة الإمام عليه السلام به واعتماده عليه في تبليغ تعاليمه وتوكيله في جباية الأموال الشرعية من شيعته لإيصالها إلى الإمام أو إلى من وكله الامام عنه، ففي مثل هذه الظروف الحساسة التي تحيط بالامام وشيعته من الضروري أن يختار الإمام عليه السلام نوعاً خاصاً من الرجال لتادية مثل هذه

(١) الحلي، خلاصة الأقوال، ص٨.

المهام الخطيرة ولذلك يمكن حمل الذم وحصره في شيعة الإمام الذين بدرت منهم مخالفات لتعاليمه، ويساعد عليه تاكيد الإمام على مدح الرجل لئلا تقع الشبهة في شموله بالذم كما يساعد عليه أيضاً ان الصيغة التي وردت في كلام الإمام عليه السلام في حال اللوم والتقريع هي صيغة الجمع (يتاه بكم، تذهبون كالانعام، تصدفون، تكفرون، حيارى). ولم يقل له بصيغة المفرد. (يتاه بك، تكفر، حيران) بخلاف كلمات المدح التي جاءت على صيغة المفرد وقصده هو دون القوم.

١. إبراهيم بن عبده.

يظهر ان الرجل من المقربين للإمام عليه السلام وكان وكيله أو معتمده، وقد صرح الإمام بهذه الاعتمادية في قوله عليه السلام: «كل من قرأ كتابنا هذا من موالي من أهل بلدك، ومن هو بناحيتكم ونزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق فليؤد حقوقنا إلى إبراهيم».

وعدّه الطوسي من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام[١]، وقال عنه ابن داود: « إنّ الإمام العسكري عليه السلام وكله وأمر بطاعته»[٢].

واستدل على وثاقته بحصوله على وكالة الإمام العسكري عليه السلام ففي الوكالة دلالة على الوثاقة كما يذهب الابطحي [٣].

٢. محمد بن موسى النيشابوري.

ذهب بعض الرجاليين إلى وثاقته استناداً إلى ما جاء في توقيع الإمام العسكري عليه السلام، ولم يرد في كتب الرجاليين ترجمة له سوى ما ذكر، يقول علي النمازي: «يستفاد من توقيع العسكري عليه السلام حسنه وكماله»[٤].

(١) ينظر: رجال الطوسي، ١٧٠.

(٢) رجال ابن داود، ص٧.

(٣) ينظر: الابطحي، علي، تهذيب المقال، ج١، ص٣٥٨.

(٤) مستدركات علم رجال الحديث، ج٧، ص٣٤٥.

٣. الرازي.

لم يرد في توقيع الإمام عليه السلام اسم الرجل سوى ذكره بهذا اللقب، وهو مشترك بين عدة أسماء إلّا أنّ الصفات التي وردت في رسالة الإمام عليه السلام تنطبق على أحمد بن إسحاق الرازي، فقد ذكره الرجاليون وأصحاب التراجم بصفات حميدة ونقل عن الكشي اختصاصه بالناحية المقدسة[١]، ووثقه الطوسي[٢]، وتابعه ابن داود[٣] وخصّه العلامة بالصحبة مع الإمام الهادي عليه السلام، وذهب على أثرهما الابطحي[٤] والخوئي[٥].

البلالي.

جاء ذكره في التوقيع الشريف بصفتين من المدح والترضي فقال عليه السلام: (البلالي رضي الله عنه) و(الثقة المامون العارف بما يجب عليه) وقد ذهب أكثر الرجاليين إلى أنَّه محمد بن علي بن بلال من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام الثقات[٦]، يقول السيد الخوئي في إشارته للتوقيع الصادر عن الإمام العسكري عليه السلام: «والظاهر أن المراد بالبلالي فيه، هو محمد بن علي بن بلال»[٧].

ذكر الطوسي أنَّه من الثقات[٨]، وقال عنه العلامة الحلي: «محمد بن علي بن بلال

---

(١) الحلي، خلاصة الأقوال، ص١٠.

(٢) ينظر: كتاب الرجال، ص١٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٥.

(٤) ينظر: تهذيب المقال، ج٣، ص٤١٩.

(٥) ينظر: معجم رجال الحديث، ج٢، ص٣٨.

(٦) ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص١٨٤، الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢٢٨، الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٧، ص٢٤٦.

(٧) معجم رجال الحديث، ج١٧، ص٢٤٦.

(٨) رجال الطوسي، ص١٨٤.

من أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام ثقة»[١]، وعدّه ابن شهرآشوب من ثقات الإمام العسكري عليه السلام[٢]، وتشدد صاحب كتاب فائق المقال نقلاً عن ربيع الأبرار في توثيقه حتى عده من السفراء في الغيبة ومن الأبواب الذين لاتختلف الإمامية فيهم[٣].

إلّا أنَّ كلام الشيخ الطوسي تغير في كتاب الغيبة، فذهب إلى عدم وثاقة البلالي، بخلاف توثيقه له في كتاب الرجال، وتابعه السيد محمد الصدر على القول بعدم الوثاقة إلّا أن السيد الصدر ذهب إلى الجمع بين القولين على أن البلالي كان في أول أمره ممدوحاً ومن وكلاء الإمام عليه السلام لكنَّه انحرف بعد ذلك وادعى السفارة للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف[٤].

وكيف كان فالقدر المتيقن ان الرجل كان من رجال الإمام العسكري عليه السلام ومن ثقاته في بادئ الأمر.

٥. المحمودي.

وردذكر المحمودي في توقيع الإمام عليه السلام موصوفاً بالطاعة إذ قال عليه السلام: «واقرأه على المحمودي عافاه الله فما أحمدنا له لطاعته» والمحمودي على ما ورد في كتب التراجم هو أبو علي محمد بن أحمد بن حماد المروزي من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، بل ورد أنّه من أصحاب الامام الجواد عليه السلام على ما جاء في رسالة للامام الجواد في مدحه ومدح أبيه ووسمهما بالمحمودين، مما اكتسب لقب المحمودي جراء توصيف الامام له بذلك، فقد ورد فيه وفي أبيه ما يظهر أنهما من الثقات المقربين للأئمة عليهم السلام والممدوحين عندهم وهذا ما نقله العياشي إذ قال: «حدثني أبوعلي المحمودي، قال

---

(١) الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢٤٢.

(٢) ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٥٦.

(٣) البصري، أحمد بن عبد الرضا، فائق المقال في الحديث والرجال، ص١٥٣.

(٤) ينظر: تاريخ الغيبة الصغرى، ص٥٦٦.

كتب أبو جعفر عليه السلام إلي بعد وفاة أبي: قد مضى أبوك رضي الله عنه وعنك، وهو عندنا على حال محمودة ولم يبتعد من تلك الحال»[١].

ويظهر من نصِّ الإمام الجواد عليه السلام توثيق كلا الرجلين إذ «يستفاد توثيق الأب من قول الإمام عليه السلام: (وهو عندنا على حال محمودة) فضلا عن الترضي الذي هو آية الجلالة، كما يستفاد منه وثاقة الابن أيضاً بقوله عليه السلام: (ولم يبتعد من تلك الحال) يعني الحالة المحمودة التي كان عليها أبوه فضلا عن الترضي عنه لو بني عليه»[٢].

هذا فضلا عما ورد في كتب الرجال والتراجم من توثيق الرجل[٣].

٦. الدهقان[٤].

ورد ذكره في رسالة الإمام العسكري عليه السلام لاسحاق بن إسماعيل على نحو المدح حيث صرح عليه السلام بانه وكيله وثقته إذ قال: «فإذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان فإنه وكيلنا وثقتنا».

إلّا أنّ هناك نصوصاً عن الإمام عليه السلام يلعن فيها الدهقان لا سيما ولم يعلم من توقيع الامام هل ان الدهقان الممدوح هو نفسه الدهقان الملعون على لسان الإمام عليه السلام وان المدح والذم كلاهما يتوجهان لرجل واحد سوى أنّ المدح والذم كانا في زمنين مختلفين أم غير ذلك؟

مذهب علماء الرجال التعدد، يقول السيد الخوئي: «إنّ أشهر من لقب بهذا

---

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٣٣.

(٢) آل راضي، هادي، درس خارج الفقه، ٨-صفر- ١٤٣٣هـ.

(٣) ينظر: العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢٧، رجال ابن داود، س٧٥، علي البروجردي، طرائف المقال، ج١، ص٢٣٦.

(٤) لفظة فارسية تطلق على رئيس القرية، وعلى التاجر، وعلى من له مال وعقار، وتعني رئيس الفلاحين (ينظر: المصباح المنير، ص٢٠١، معجم لغة الفقهاء، ص٣٠).

اللقب اثنان هما محمد بن صالح بن محمد، وعروة بن يحيي»[١]، ثم بيّن المقصود بالدهقان فقال: «وغير بعيد، أن يكون المراد بالدهقان هو محمد بن صالح الهمداني، فإن الموصوفين بالدهقان بين من لم يكن وكيلاً، مثل إبراهيم الدهقان، وعبيدالله بن عبدالله الدهقان، وبين من هو خبيث وملعون، كعروة بن يحيى، والله العالم»[٢]، وصرح به الطوسي[٣] وابن داود[٤] والعلامة الحلي[٥].

بيد أن أحد الباحثين ذهب إلى أن كلمة (الدهقان) تصحيف عن كلمة (الدهان) وان المقصود في رسالة الإمام الحسن عليه السلام هو عثمان بن سعيد العمري[٦] لانه كان يلقب بالدهان أو السمان، ولكن هذا بعيد من وجهين:

الأول: لم يذكر عن الإمام عليه السلام أنّه أطلق على عثمان بن سعيد العمري أو ناداه بـ(الدهان)، بل الروايات عنه عليه السلام تنص على الخطاب له بهذه الصفة أو اللقب وهي (العمري).

الثاني: إنّ الإمام عليه السلام ذكر العمري بالنص المعتاد بعد ذلك فقال: (فلاتخرجن من البلدة حتى تلقى العمري) وهذا يعني ان الدهقان شخص آخر كان قد التقاه أو أمر بلقائه غير محمد بن سعيد العمري الدهان.

ويبدو أنّ سبب لجوء الباحث إلى القول بالتصحيف توهمه انحصار لقب الدهقان بعروة بن يحيى وهو ما صرح به بقوله: «واما الدهقان فهو عروة بن يحيى

---

(١) معجم رجال الحديث، ج٣، ص٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١٧، ص١٤٣.

(٣) رجال الطوسي، ص١٨٤.

(٤) كتاب الرجال، ص٣٠.

(٥) الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢٢٩.

(٦) الماجدي، محمد جاسم، هامش كتاب اختيار معرفة الرجال للطوسي، ج٣، ص٢٥٩.

الملعون»[١]، وهذا غير صحيح كما عرفت.

٧. سعيد.

اختلف الرواة والرجاليون في هذه الكلمة الواردة في توقيع الإمام العسكري عليه السلام في قوله (وقد أجبنا شيعتنا) فقد ترددوا بين كلمة (سعيد) وكلمة (شيعتنا)، فذهب الطوسي والعطاردي وغيرهما إلى أنّها (شيعتنا) لكن ذلك لا يساعد على استقامة المعنى من جهة متعلقها وهو: (مسألته) فالضمير يعود على مفرد لاينسجم مع كلمة شيعتنا، فقول الطوسي «أجبنا شيعتنا عن مسألته»[٢] لا يصح من جهة اللفظ، لعدم توافق الضمير مع عائده؛ لأنه مفرد مذكر، وهو يتوافق مع كلمة سعيد أكثر مما يتوافق مع كلمة شيعتنا، إلّا أنّ العطاردي ذكرها على نحو التنكير ولم يضفها وقال: « اجبنا شيعتنا عن مسالة»[٣] وحينئذ تصح الصياغة اللفظية.

لكن المجلسي نص على أن الكلمة هي: (سعيد)[٤] هكذا، وتابعه السيد الخوئي على هذا اللفظ[٥] مع أنَّ كتب الرجال والمصادر الحديثية لم تذكر أحداً من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام بهذا الاسم إلّا أنّ يكون الإمام قد قصد عثمان بن سعيد العمري وعبر عنه باسم والده وهو بعيد وغير معروف عن الإمام؛ لما ذكرنا.

٧. العمري:

المتعارف في خطابات الإمام ان المقصود به عثمان بن سعيد العمري السفير والثقة ووكيل الأئمة عليهم السلام الذي تضافرت الأقوال في وثاقته وفضله، وقد دأب الإمام عليه السلام

---

(١) الماجدي، محمد جاسم، هامش كتاب اختيار معرفة الرجال للطوسي، ج٣، ص٩٥٢.

(٢) اختيار معرفة الرجال، :٣، ص٢٥٣-٢٥٩.

(٣) مسند الإمام العسكري، ج١، ص١٤٩.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٢٣.

(٥) معجم رجال الحديث، ج١، ١٨٥.

على التعبير عن عثمان بن سعيد وابنه محمد بهذا اللقب.

المطلب الخامس: نظرة تحليلية في توقيع الإمام الحسن العسكري عليه السلام

مضامين التوقيع والمسائل المستبطنة منه.

لايتسع بحث مختصر كهذا البحث لشرح رسالة الإمام العسكري عليه السلام وتفسيرها على نحو التفصيل، وعليه سنحاول إلقاء الضوء والنظر في ما اشتملت عليه الرسالة من بعض المضامين العقائدية والفقهية والأخلاقية والتربوية وغيرها.

أولاً: المضامين العقائدية.

ركز الإمام عليه السلام على العقيدة لما لها من أثر على حياة المسلمين، ومن ذلك: مسألة الإذعان بعائدية الإنسان كلِّه لله سبحانه، وانه هو القاهر فوق عباده، وهو الصانع والمدبر، وإنَّ الستر والرزق والبصيرة منه سبحانه فقوله عليه السلام:(وتولاك في جميع امورك بصنعه) يشير إلى هذه المعاني ويدل عليها قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾[1].

ومنها: تأكيده عليه السلام على الإمامة وأحقية الإمام بالطاعة، فقد جعل عليه السلام معرفة الإمام المعصوم وطاعته من مقومات الإيمان والهداية والبصيرة؛ لأنَّ الإمام عليه السلام هو آية الله التي لاتوجد آية أعظم منها، ولاحجة أبلغ منها فلا يعمى عنها إلا من ختم الله على قلبه وأعمى بصيرته، وهذا يستدعي حقيقة مهمة تكشف عن أنّ العمى عن الإمام عليه السلام في الدنيا وعدم اتباعه والامتناع عن طاعته يلزم منه العمى والضلال في الاخرة، ولذلك كان فحوى كلام الإمام عليه السلام وقوله: (وفي أيامي هذه كنتم فيها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق، واعلم يقينا يا إسحاق أن من خرج من هذه

(١) سورة يونس، الآية ٣١.

الحياة الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) فهذا تنبيه وتحذير من الإمام لاتباعه على أن لايقعوا في مهوى العمى والانحراف عن إمامته حذراً من استمرار هذا العمى وتجسده في الآخرة وهذا مفاد استدلال الإمام عليه السلام بقوله تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[1].

ومنها: عدم جواز التبعيض في التعاطي مع الأئمة عليهم السلام أي طاعتهم من جهة وعصيانهم ومخالفتهم من جهات أخرى وهذا نظير التبعيض في التعاطي مع القرآن الكريم الذي يستوجب العقاب الإلهي في الحالتين؛ لأنّ عقيدتنا تقول إنَّ الرد على الإمام عليه السلام رد على النبي صلى الله عليه وآله ونتيجته رد على الله سبحانه وتعالى، والرد على الله يستلزم الكفر وهو مؤدى قول الإمام عليه السلام: (فمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غير كم إلا خزي في الحياة الدنيا الفانية، وطول عذاب الآخرة الباقية) فهو كاشف عن النتيجة التي تترتب على مخالفة الإمام عليه السلام مما وقع التحذير منه عن طريق الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[2].

وهذا يكشف عدم صحة التبعيض في التعاطي مع الإمام عليه السلام فلا يطاع في جانب ويعصى في آخر؛ لأنَّ مخالفة الإمام عليه السلام ولو في مورد واحد والرد عليه يصدق عليه الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه ولازم ذلك الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة وقانا الله خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ثانياً: المضامين الأمنية.

عرف عن الإمام العسكري عليه السلام شأنه شأن من سبقه من آبائه عليهم السلام الحرص

(١) سورة الاسراء، الآية ٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٥.

على حياة أصحابه ومنع تعريضها للخطر، بالإضافة إلى حرصه على تأمين الحقوق الشرعية وحمايتها من عبث السراق من جهة والخشية من استيلاء الحاكم العباسي عليها من جهة أخرى، الأمر الذي دعا الإمام عليه السلام أن يضع في توقيعه المبارك خارطة الطريق لمسار الحقوق الشرعية، فجاء تحديد الأشخاص بالأسماء، ترجمة لهذا الحس الأمني الذي حرص الإمام عليه السلام على تعليمه لأصحابه، لأنَّ المهمة التي ينبغي أداءها يجب أن يتوافر فيها أمور منها: الأمانة والسرية والولاء.

فاختيار الإمام لسلسلة الاشخاص المذكورين في التوقيع كان مقصوداً ومراداً له عليه السلام. ووصيته بعدم اطلاع المخالفين غير المأمونين على رسالته الحاملة لبعض المهام والتوجيهات والتحذير من الكشف عنها أو التفريط بسريتها خشية وقوعها في أيدي السلطة العباسية التي تتعقب خطوات الإمام وتراقب تحركاته أو في أيدي الجهال؛ لأنّ وقوعها بيد هاتين الفئتين يفضي إلى نتائج خطيرة تمس حياة الإمام عليه السلام وحياة أصحابه وتعيق حركة التواصل بين الامام واتباعه.

لهذا السبب لم يدع الإمام العسكري عليه السلام الأمر دون التنبيه على حماية الأمانة ووضعها في محلها؛ لأن إلقاء مثل هذه الرسالة على غير أهلها وتحميلها لمن لايقدر على حملها كرمي الدرر تحت أرجل الخنازير، فالخنازير لا تميز بين الدر والذر، إشارة لعدم فهم هؤلاء المخالفين والجاهلين كلام الإمام عليه السلام وعدم صيانتهم له، وفي هذا يقول عليه السلام: (ولا يكتم أمر هذا عمن شاهده من موالينا، إلا من شيطان مخالف لكم، فلا تنثرن الدر بين أظلاف الخنازير، ولا كرامة لهم).

ثالثاً: المضامين الإدارية والمالية.

أظهرت رسالة الإمام عليه السلام مدى اهتمامه بتنظيم شؤون الإمامة وشؤون الأمة وترتيب امورها الادارية والمالية ومد خيوط الارتباط بين الإمام وبين الأمة عن طريق مجموعة القوانين والمقررات التي سطرها في التوقيع وهذا يظهر ما ذكرنا في

تعريف التوقيعات من أنَّها تجاوزت مع الأئمة عليهم السلام الصبغة الأدبية المشهورة عنها. ويظهر من خلال ماجاء في التوقيع أنَّ الإمام كان يمارس حق المولوية والسلطة على المؤمنين كونه هو الحاكم على وفق الرؤية الإسلامية بعامة ورؤية أهل البيت بخاصة من أنّ الإمام هو الخليفة وهو الحاكم في دولة المسلمين؛ لأنه الانموذج الأعلى للعدالة والكمال النفسي والعقلي.

فالإمام وإن لم يكن الخليفة والحاكم في الظاهر وبين عموم الناس لاسيما السلطة واتباعها، إلّا أنّ حاكميته ثابتة وفعلية على أتباعه ومواليه، وهذا يجعلها فعلية في القرارات والوصايا والأوامر وماجاء في التوقيع الشريف هو من أعمال هذه السلطة الشرعية والحاكمية النافذة للإمام عليه السلام.

ومن هنا فإن قرار جباية الأموال من الشيعة والموالين واحد من القرارات الحكومية المهمة التي تبرز أهميتها من جهات:

الأولى: ديمومة فعالية المنظومة السياسية والدينية للدولة وشؤون الإمامة فإمامة الإمام عليه السلام وسلطته على الناس ليست إمامة وسلطة روحية فحسب، بل هي سلطة سياسية وادارة دولة يحتاج القائد فيها إلى بيت المال لتحسين شؤونها كإعداد الجيوش وتشييد الحصون وغير ذلك من المصالح الاجتماعية.

الجهة الثانية: تقديم المعونات لذوي الاستحقاقات والحاجات مما ذكرهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1] فضلا عن الايتام الذي كان الأئمة عليهم السلام يرعونهم غاية الرعاية.

فهذه الأمور تتطلب وجود وزارة مالية مستقرة لا تعاني من العجز الذي سيتحقق لو ان الإمام عليه السلام لم يعتن بادارة النظام المالي للدولة والاتباع.

---

(١) سورة التوبة، الآية ٦٠.

الجهة الثالثة: لايتحقق بناء الجماعة -أي جماعة - وإبقاؤها متماسكة إلا بتمتين خيوط الاتصال بينها وبين القائد، وهذا لايكون الا عبر تغذية قوة الإيمان والعقيدة فيها وتواصلها مع الإمام أو القائد؛ لأن انقطاعها عن هدي الإمام وابتعادها عن منبع النور يجعلها في معرض الانحراف، وربما يقودها إلى التمرد على دولة الإمام وتعاليمه.

ثمة مسالة ينبغي الإشارة إليها في هذا المقام وهي أنَّ الحقوق التي يدفعها الشيعة للامام عليه السلام فيها جنبة سياسية إضافة إلى الجنبة الحقوقية الشرعية حيث تؤكد التزام الشيعة تجاه أئمتهم، وفي هذا تحد للسلطات، ولهذه الجهة كان الإمام عليه السلام يركز على هذه المسالة ويحرص على إبقاء حلقات التواصل مع الأمة الموالية.

وهذا جواب على من أشكل على اهتمام الإمام الحسن العسكري عليه السلام البالغ بمسألة جباية الأموال وتشدده مع وكيله إسحاق بن إسماعيل فيها.

رابعاً: المضامين العلمية.

تضمنت رسالة الإمام عليه السلام بعض الالماحات العلمية، يقول الإمام عليه السلام: (وقد أجبنا سعيداً عن مسألته) وسواء كان اللفظ (سعيدا) أم كان (شيعتنا) على بعض الآراء فإن مؤداه واحد يشير إلى تصدي الإمام عليه السلام للإجابة عن أسئلة شيعته، ولم يقيد الإمام نوع الأسئلة ولكن القدر المتيقن منها الاسئلة العقائدية والفقهية أو الدينية عموما، فقد مثل الامام وقتئذ المرجعية الإسلامية العليا التي تبنت بما يتناسب مع الظروف المحيطة بالإمام عليه السلام وبشيعته متابعة الحالة العلمية للشيعة في سامراء وفي غيرها من المدن التي تتبع خط الإمام.

خامساً: المضامين الأخلاقية .

اشتهر أئمة أهل البيت عليهم السلام بحسن الأخلاق، بل بكمالها وعظمتها استمدادا من جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله الموصوف في القران المجيد بقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ**

﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقد ثبت هذا من سيرتهم واتفاق الفرقاء على عدم وجود مثلبة واحدة يمكّن التلويح بها ضدهم، ويظهر هذا الأمر في خطاباتهم ومعاملاتهم مع الناس ومنها الخطاب مورد البحث، فقد أظهر الإمام عليه السلام هذه الرحمة النبوية واللطف العلوي وهذا ما تجلى في قوله عليه السلام: (قد فهمت كتابك رحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على موالينا، ونسر بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله عزَّ وجلَّ عليهم).

فالتوقيع من هذه الجهة حافل بالشذرات والتعاليم الأخلاقية العالية؛ لأن احدى مهام الأئمة ورسالتهم تربية الأمة على الأخلاق الحميدة.

سادساً: المضامين التربوية.

اهتم الإمام الحسن العسكري عليه السلام أيّما اهتمام بالتربية كأساس لصناعة الجماعة الصالحة، ولو تأملنا في قوله عليه السلام: (ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على موالينا، ونسر بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم) نلاحظ عدم خفاء البعد التربوي في هذا المقطع من كلام الإمام العسكري عليه السلام، ففيه دعوة للتعاطي مع الاخر بالحب لا بالحرب، وبالمودة لا بالبغض والحقد، وهو مضمون هذا المقطع النصي من كلام الإمام عليه السلام فالإمام بحكم سلطته الروحية يسر بالنعم والأرزاق التي يتحصل عليها الناس كما أنهم يسنّون لغيرهم لاسيما شيعتهم هذه السنّة الحسنة ويربونهم على تمني النعمة والخير للناس.

(١) سورة القلم، الآية ٤.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.

٢. ابن داود، تقي الدين الحسن بن علي (ت٧٠٧هـ)، رجال ابن داود، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق، د.ط، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٣. ابن شهرآشوب، أبو جعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، يوسف البقاعي، الناشر، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٢-١٩٩١.

٤. أحمد، رفيع، قراءة في فن التوقيعات العربية وإيجازه ـ قراءة أنموذجية للعصور المختلفة، مجلة اقلام الهند، السنة الثالثة، العدد٢، نيسان ٢٠١٨م.

٥. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، اختيارات الشيخ الطوسي، تحقيق: محمد جاسم الماجدي، الناشر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، قم- إيران، ط١، ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م.

٦. آل راضي، هادي، درس خارج الفقه، ٨صفر ـ ١٤٣٣هـ.

٧. البروجردي، علي أصغر بن محمد شفيع، طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط١، ١٤١٠هـ.

٨. البصري، أحمد بن عبد الرضا، فائق المقال في الحديث والرجال، تحقيق: غلام

حسين قيصرية، الناشر، دار الحديث للطباعة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٢هـ.

٩. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط٧، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٠. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت٢٥٥هـ)، الكلمات المئة للإمام علي، د.ن، د.ط. د.ت.

١١. جرداق، جورج، روائع نهج البلاغة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. بيروت.

١٢. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٣. الحلي، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم ـ إيران، ط٤، ١٤٣١هـ.

١٤. الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، الناشر، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية، النجف الأشرف ـ العراق، د.ط، د.ت.

١٥. الصدر، محمد صادق، تاريخ الغيبة الصغرى، دار التعارف، بيروت ـ لبنان، د.ط، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٦. الصغير، محمد حسين، الإمام العسكري عليه السلام وحدة الهدف وتعدد الأساليب، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٧. الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ (ت٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات، تحقيق:

ميرزا حسن كوجه باغي، الأعلمي، طهران، د. ط، ١٤٠٤هـ.

١٨. الطوسي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن(٤٦٠هـ)، الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٧هـ.

١٩. الطوسي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن(٤٦٠هـ)، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٠. العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الرضا عليه السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد، د.ط، ١٤٠٦هـ.

٢١. العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام العسكري عليه السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد، د.ط، ١٤٠٦هـ.

٢٢. الفراهيدي، الخليل بن أحمد،١٧٠هـ)، العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣.

٢٣. الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٩هـ ـ٢٠٠٨م.

٢٤. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة وتحليل، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ١٩٨٨م.

٢٥. القلقشندي، أبو العباس أحمد القلقشندي، (ت٨٢١هـ) صبح الاعشى في كتابة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٣٤٠هـ- ١٩٢٢م.

٢٦. الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، الكافي، منشورات الفجر، بيروت. ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧.

٢٧. الكوراني، علي، الإمام الحسن العسكري والد الإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف،

د.ن، ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٣م.

٢٨. المازندراني، محمد بن إسماعيل (١٢١٦هـ)، منتهى المقال في أحوال الرجال، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٩. مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

٣٠. المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٣١. محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب، الناشر، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ـ السعودية، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٢. الميرزا النوري، حسين بن محمد تقي بن علي محمد (ت١٣٢٠هـ)، خاتمة المستدرك، مؤسسة ال البيت لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٣. النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط٥، ١٤١٦هـ.

٣٤. النمازي، علي، مستدركات علم رجال الحديث، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٦هـ.

البحث الثلاثون

منقذ البشرية الإمام الحجة بن الإمام الحسن (العسكري) عليه السلام رؤية بحثية، لكتاب (الإمام المهدي منقذ البشرية) باللغة الروسية

م.د. محمد عبد علي حسين القزاز

جامعة الكوفة

كلية اللغات

قسم اللغة الفارسية

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف أنبياء الله والمرسلين محمد وعلى آل بيته الأبرار المصطفين الأطهار، والحمد لله حمداً سرمداً دائماً لا ينقطع أبداً ولا يحصي له الخلائق عدداً، والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً. مع أن القرآن الكريم بنفسه معجزة نبينا صلى الله عليه وآله الخالدة في كل عصر، فإن من معجزاته المتجددة أيضاً ما أخبر به صلى الله عليه وآله عن مستقبل البشرية ومسيرة الإسلام فيها، إلى أن يجيء عصر الإسلام الموعود، فيظهره الله على الدين كله. الصورة التي يرسمها الغرب والآخرون عن ظهور الإمام وعن شخصية الإمام هي التي تهمنا في ذلك وهي موضوع بحثنا هذا.

يتناول موضوع البحث أدناه واحداً من المواضيع المهمة الرئيسة في حياتنا اليومية المعاصرة، فنتيجة للتقدم الحضاري والتكنولوجي الذي حدث في ميادين الحياة كافة حيث ظهر الاهتمام أكثر بموضوع الترجمة، بالرغم من أن لغتنا العربية الجميلة تحتل المرتبة السادسة من حيث عدد الناطقين بها وذلك بعد الصينية والإنكليزية والهندية والإسبانية والروسية، إلا إن الإحصاءات والدراسات تشير إلى تواضع حجم الترجمة في عالمنا العربي بالمقارنة مع البلدان الأخرى. الأمر الذي حدا بي لأختار أحد المؤلفات الصادرة باللغة الروسية، التي أصدرت هذا المؤلف الذي يختص بهذه الدراسة الخاصة بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، كما أوضحنا في الملخص، البحث هو ترجمة خاصة لدراسة بحثية ونقدية قدمتها أحدى المصادر الأجنبية (الروسية)، اختصت بدراسة الدور الريادي المقدس لسيدنا ومولانا الإمام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف. الكتاب صدر باللغة الروسية عن دار النشر للطباعة (سادرا) الروسية، والذي

يحمل عنوان (الإمام المهدي منقذ البشرية). (Имам Махди – спаситель человечества)

يُشير الباحث في تعليقه على هذا الكتاب انه عبارة عن ترجمة لدراسة مكرسة لشخصية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو مجموعة من وجهات نظر حول للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، آخر خليفة إسلامي من أحفاد النبي محمد صلى الله عليه وآله. للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف دور خاص واستثنائي للبشرية جمعاء. سيكون نذير نهاية العالم، وسيهزم الشر والاستبداد، ويؤسس لمملكة العدل في جميع أنحاء الأرض. فكل المسلمين يؤمنون بظاهرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وهذا الاعتقاد يوحدهم. فمن الضروري أن نؤكد أن انتظار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يمكن أن يخرج الناس من سباتهم ويغرس الفرح في حزنهم، ويوحد القلوب المتفرقة في هدف سامٍ، ويحول الارتباك إلى هدوء، والتاريخ الذي لا مستقبل له إلى خط في الأفق. من اجل بزوغ فجر يوم جديد. بحثنا يتألف من مبحثين: –

المبحث الأول

يتناول المبحث الأول، ترجمة لدراسة خاصة للنصوص باللغة الروسية العديدة التي تُشير إلى حتمية ظهور الإمام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف، وماذا سيكون عند ظهور الإمام؟، هناك دراسة أخرى في هذا المبحث عن ماهية أهل البيت عليهم السلام حسب الأحاديث الموثقة؟، ودراسة أخرى عن ماهية الإمامة من وجهة النظر الإسلامية؟

المبحث الثاني

يتناول المبحث الثاني، ترجمة لدراسة خاصة لنصوص باللغة الروسية عديدة تُشير إلى الإيمان بالإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف، ودراسة أخرى عمن يكون الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

الكلمات المفتاحية: الإمام المهدي، ظهور الإمام، الولاية التكوينية، آل البيت عليهم السلام.

المقدمة:

بحثنا هو عبارة عن عدة مطالب يُرجى فيها الإجابة لعدة تساؤلات يطرحها الباحث خلال هذه الترجمة من اللغة الروسية إلى اللغة العربية من وجهة نظر المؤلف، المعززة بالمصادر الإسلامية وخاصة القرآن الكريم لهذه الشخصية العظيمة، ودورها في تغيير مجرى التاريخ. انتهجنا أسلوب البحث الموضوعي في إتمام تسلسل أفكار البحث من أجل الوصول للنتائج المتوخاة من هذا البحث المتواضع. دار نشر (سادرا) الروسية للطباعة والنشر هي التي أصدرت هذا المؤلف عام ٢٠١٦. (سيرغي ريشيكوف، مهدي شمس الدين، اوليغ نفيكوف، ليونيد شكورفج، بوريس ماكارنيكوفن، ميخائيل ليتفاكوف، فاديم بوخ)، اختص هؤلاء الكتاب الروس بالكتابة حول قضايا إسلامية مصيرية، منها ما يختص بظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وبالذات الكاتب الروسي «سيرغي ريشيكوف» من كتاباته (آيات كريمة من القرآن تتحدث عن الإمام المهدي، طبيعة السيد المسيح من منظور التقليد الشيعي، من هو الإمام المهدي ولمن ينتظر المسلمون؟ ماذا يقول علماء ومؤرخو السنة عن ولادة الإمام المهدي؟، ومؤلفات أخرى غيرها. وغيرهم من الكتاب الروس، الذين اختصوا بهذا المجال من الدراسات الإسلامية.

يشير الكاتب إلى ضرورة أن يؤمن الإنسان أن هيمنة الظلام ليست أبدية، وذات يوم ستظهر هذه القوة الكبرى، قوة منقذ البشرية الذي سيسقط الطغاة ويؤسس دولة العدل والازدهار في جميع أنحاء العالم. الحقيقة أن الحضارة الإنسانية في وقتنا الحاضر تغرق في هاوية الفتن والصراعات الأهلية، حيثُ تمزقها الصراعات السياسية والعسكرية فتحتاج إلى قوة مخلص يسقط الطغاة ويؤسس لمملكة العدل والازدهار في جميع أنحاء العالم. تجسدت هذه القوة الطيبة في الإسلام، في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، إمام العصر والزمان آخر الأئمة المعصومين وآخر أحفاد النبي محمد صلى الله عليه وآله.

يوجه الكاتب في كتابه عدة أسئلةٍ أولها من هو الإمام المهدي؟ ماذا نعرف عنه؟ ما الخصائص الرائعة وغير المفهومة التي يمتلكها؟ والأهم من ذلك، متى نتوقع مجيئه؟ يجيب على هذه الأسئلة هذا الكتاب الذي عُرض باللغة الروسية، والذي يحتوي على مقالات مكرسة لظاهرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. نأمل أن نستخلص من هذه المعلومات المفيدة التي من شأنها تقوية الروح وتقوية الإيمان بالظهور الإلزامي للمخلص وفي المستقبل المشرق الذي سيقدمه للبشرية.

يتم التطرق هنا إلى عدم استيقاظ الاهتمام بالواقع الديني بين المسلمين الروس، حيثُ لا تزال هناك فجوات خطيرة وجهل للعديد من الأحكام المهمة للعقيدة الإسلامية في وعيهم الذاتي الإسلامي، وغالباً ما يكون ذلك بدون ذنب منهم. يتم بناء المساجد في روسيا، ويتزايد عدد المصلين والأشخاص الذين يتبعون الشريعة، ولكن العديد من أسس الركائز الإسلامية لم يلفت لها انتباه المسلمين على وجه الخصوص، لا يعرف المسلم الروسي العادي سوى القليل عن ركائز دين الله مثل الإمامة (الهداية الإلهية)، وقضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

المبحث الأول

يؤكد الباحث إن الإسلام برنامج لإقامة العدل الإلهي في المجتمع البشري. ومع ذلك، فإن تطبيق العدل وممارسة القيادة أوكله الله تعالى إلى أولئك الذين طهّرهم الله من الذنوب والأخطاء والضعف البشري. أولئك هم آل بيت النبي الأطهار عليهم السلام، القادة المعصومون والأئمة الأطهار الذين طهرهم الله ونزههم من الرجس والعصيان، تحت لواء عز الإسلام الإمام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف. الذي هو محور حديثنا في هذا البحث، وهذه وجهات النظر المختلفة المترجمة من اللغة الروسية إلى العربية. هناك نصوص كثيرة في ذلك الكتاب تُشير إلى حتمية ظهور الإمام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف، قبل أن يختم الرب هذا الكون، معززا ذلك بالأحاديث النبوية الشريفة، في آخر الزمان ستنزل على الناس مصائب عظيمة لم يرها أحد قط، حتى تضيق الأرض بأهلها من الظلم الشر والطغيان. تبين أحاديث الرسول محمدصلى الله عليه وآله، كيف أنهُ في آخر الزمان ستنزل على الناس مصائب عظيمة لم يرها أحد قط، حتى تضيق الأرض من الظلم الشر والطغيان. لن يجد المؤمنون ملجأ وشفاعة من الشر والظلم، ثم يرسل الله نفساً من أهلي حتى يملأ الدنيا بالعدل والعدالة بعد أن تملأ بالظلم والجور..، يكون سكان السماء والأرض سعداء به، ستمطر السماء، وستنمو له جميع النباتات، واحدة تلو الأخرى، حتى الموتى سيرغبون في الحياة. سيعيش سبع أو تسع سنوات بين الناس[1]. قال رسول الله محمدصلى الله عليه وآله: «لو بقي يوم واحد، فإن الله سبحانه وتعالى سيمدُه حتى يأتي شخص من أمتي وأهلي يملأ الأرض قسطا وعدلاً بعد أن ملئت ظلما وجورا»[2].

هناك تأكيد أيضاً على الإيمان بقدوم المهدي، فقدوم الإمام هو الدعم الذي يمنح

(١) شافعي، حافظ جانجي، البيان في أخبار صاحب الزمان، ص٤٩٣.

(٢) المالكي، علي بن أحمد بن عبد الله، الفصول المهمة في معرفة الأئمةعليهم السلام، ص٢٩٤.

القوة والأمل للمنهكين واليائسين، ويغرس في النفوس الأمل في التغيير العظيم. إن انتظار مجيء المخلص يمنح المؤمنين ثباتاً في محاربة الشر والظلم، ويساعد على تحسين صفاتهم الأخلاقية. يستمر الباحث بالسؤال مباشرة، من هو الإمام المهدي؟ ماذا نعرف عنه؟ ما هي الخصائص الرائعة وغير المفهومة التي يمتلكها؟ والأهم من ذلك، متى نتوقع مجيئه؟ إن الإسلام برنامج لإقامة العدل الإلهي في المجتمع البشري. ومع ذلك فإن تطبيق العدل وممارسة القيادة أوكله الله تعالى إلى أولئك الذين طهّرهم الله من الذنوب والأخطاء والضعف البشري. ويتعزز ذلك بآية التطهير التي ذكرت في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تطهيرا﴾[١]. واحدةً من تلك النصوص، ومن تلك الأسئلة المحورية من هم أهل البيت؟ أهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله هم حسب الأحاديث الموثقة، صهر الرسول وابن عمه علي عليه السلام، الابنة الحبيبة للنبي فاطمة الزهراء عليها السلام، وأبناؤه الحسن والحسين عليهما السلام والتسعة الأئمة الآخرون المعصومون من آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله: علي بن الحسين عليه السلام، محمد بن علي عليه السلام، جعفر بن محمد عليه السلام، موسى بن جعفر عليه السلام،علي بن موسى عليه السلام، محمد بن علي عليه السلام، علي بن محمد عليه السلام، الحسن بن علي عليه السلام، ومحمد بن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. هناك تَطرق إلى حديث الثقلين مستنداً بذلك إلى ما جاء في (القرآن الكريم)، وعترة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. تؤكد الدراسة من خلال الإشارة إلى أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله، ترك جوهرتين من بعده، هما: الكتاب الإلهي (القرآن الكريم)، وأهل بيته. قال الرسول، (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي: كتاب الله عز وجل، وعترتي أهل بيتي)[٢].

هذا الحديث الذي يحمل اسم حديث «الثقلين» مشهور جداً: وقد ورد هذا الحديثُ في المصادر الشيعية والسنية وانهُ موثوق به. أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله، قبيل وفاته

(١) سورة الأحزاب، الآية٣٣.

(٢) صحيح مسلم، حديثُ الثقلين، ص١٢٣.

في منطقة غدير خُم ما يلي: قال النبي محمد صلى الله عليه وآله، يوم غدير خم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟ فقلنا بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[1]. ولكن تطورت الأحداث، وتغير تاريخ الأمة الإسلامية بشكل كبير بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، حيثُ ظروف الاستبداد والظلم من جانب السلطة الجديدة، في الوقت الذي كانت فيه إمامة أهل البيت عليهم السلام منارة إنقاذ وشعلة اجتذبت جميع المسلمين المخلصين، العلماء المتمرسين والعامة المحرومين، الذين سئموا القهر. حيثُ أظهر الأئمة عليهم السلام للناس أسس الإسلام، ودقة الفروق الدينية، والعقيدة السياسية الإسلامية، وحكمة الأحكام الفقهية.

К сожалению, этот завет не был принят во внимание, и история исламской уммы развивалась по другому пути. Тем не менее, в условиях тирании и несправедливости со стороны власть предержащих, имамат Ахл уль-Бейт (А) был спасительным маяком и факелом, привлекающим к себе всех искренних мусульман – и умудренных опытом ученых, и простых обездоленных, уставших от притеснений. Имамы (А) разъясняли людям основы Ислама, тонкие теологические нюансы, исламскую политическую доктрину и премудрости фикха.

(النص أعلاه باللغة الروسية، يُوضح التغيير الذي أصاب الأمة بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله). ما هي الإمامة من وجهة النظر الإسلامية.

دعونا نؤكد على أن أحفاد الرسول عليهم السلام لم يخترعوا ديناً جديداً ولم يغيروا

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ص١٤١.

الإسلام. لقد حافظوا عليه بعناية ونقلوا مبادئهُ إلى الناس، بشكل تعليمات حكيمة، أو من خلال أفعالهم الخاصة. سؤال يطرح نفسه في تبيان الفرق بين منزلة النبي ومنزلة الرسول ومنزلة الإمام.

هناك تأكيد من الكاتب بإبراز معاني الإمامة «خلال لفظ إمام بالمعنى الأصلي، يعني الوقوف في الجبهة، (إمام)، إلى الإمام، ومع ذلك، يمكن وضع معانٍ محددة مختلفة فيه، على وجه الخصوص»:

١. الإمام بمعنى (الزعيم الرئيسي) المسؤول عن شؤون المجتمع.

٢. الإمام بمعنى رئيس السلطة الدينية العليا.

٣. الإمام بمعنى شخص مسؤول عن التطبيق العملي للواجبات الدينية، سواء عن طريق إنشاء نظام حكم بالمعنى الواسع للكلمة، أو بتنفيذ وصايا الله وأوامره وضمان العدالة الاجتماعية إلى جانب التربية الروحية للمؤمنين. فالنبي والرسول لا يتلقيان الأوامر إلا من الله ويحملها إلى الناس بشرى طيبة أو إنذار. كل هذه من سمات الأئمة الذين يجسدون، الوصايا الإلهية ويثقفون أرواح الناس من الخارج والداخل. علاوة على ذلك، من الواضح بالطبع أن العديد من الأنبياء كانوا أيضاً أئمة. في الواقع، تتمثل مهمة الإمام في إظهار الغرض من الدين بالممارسة العملية، وتوجيه الناس نحو تحقيق المثل الأعلى، وليس فقط لإظهار الطريق. بالإضافة إلى ذلك، تشير الإمامة أيضاً إلى القيادة الإلهية، والتي ترجع إلى قدرة الإمام الفطرية على التأثير الروحي في الناس، وجذبهم إليه بهالة من النقاء الخالية من الخطيئة، والقدرة على لمس القلوب التي توكل نفسها إلى قيادته الروحية. ومن هذا المنطلق، فإن الإمام مثل الشمس التي تمنح الحياة بضوئها الحيوي لجميع الكائنات الحية. الإمام يعني هو العالم الروحي للإنسان مثل الشمس لكيانه الجسدي.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾[1].

Он – Тот, Кто благословляет вас, и Его ангелы также благословляют вас, чтобы вывести вас из мраков к свету. Он милосерден к верующим". (الآية أعلاه باللغة الروسية).

يتضح من هذه الآية أن رحمة الله ونصرة ملائكته يمكن أن تقود المؤمنين، وكل من يتوكل عليه، من «الظلمات» إلى «النور».

ويمكن قول الشيء نفسه عن الأئمة. حيثُ كانت موهبة القهر والقيادة المتأصلة في الأئمة والأنبياء العظماء عليهم السلام، ممن كان على رتبة إمام، أثراً عميقاً في النفوس المستقبلة، وتربيتها وإخراجها من هاوية الجهل والضلال إلى النور. (الحقيقة).

لا شك أن هناك معنى ثالثاً لمفهوم «الإمام»، حيث أن فكرة التوجيه والقيادة، كما يتضح من العديد من آيات القرآن، هي أحد عناصر مفهوم «الإمام». الإمامة التي ورد ذكرها على وجه الخصوص في سورة السجدة، الآية الرابعة والعشرين، إلى الآية الثانية والثلاثون. إن الإرشاد يعني أكثر من مجرد إظهار الطريق، كما يمكن للمرء أن يفترض، فبالنظر إلى أن إبراهيم عليه السلام كان نبياً ورسولاً دُعي إلى «إظهار الطريق» حتى قبل أن يصبح إماماً. إلا أن القرآن يشهد بشكل مقنع أن واجبات الإمام قد أوكلت إلى إبراهيم عليه السلام بعد أن تمكن من إظهار الحزم والصبر في مواجهة كل الصعوبات والمصاعب التي وقعت على عاتقه في جهاده لتقوية الإيمان، وتغلبه بنجاح على أصعب التجارب، فكانت هذه الرتبة أعلى من رتبة المرشد. لذلك فالقيادة حسب مفهوم الإمامة ليست أكثر من تعزيز تحقيق المثل الأعلى والحفاظ على طهارة الدين وإعداد برامج التربية الروحية للمستعدين لإتباع المرشد. تتجلى هذه الفكرة بوضوح في حديث الإمام الصادق عليه السلام الذي يقول: «إن الله تعالى جعل إبراهيم عليه السلام،

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

عبده قبل أن يجعله نبيه. وإن الله جعله نبيه قبل أن يجعله رسوله. وجعله الله رسوله قبل أن يجعله خليله. وجعله الله خليله قبل أن يجعله إمامه. فلما جمع فيه كل هذه الصفات قال: إني سأجعلك إماماً للناس. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الجاهل لا يصبح إمام ورع». ومن هنا يترتب على ذلك أن نسل إبراهيم عليه السلام فقط من كانوا مستحقين لأن يصبحوا أئمة، وهم طاهرون في الروح ومعصومون من الخطأ كانت لهم تلك المراتب المختلفة. الجواب: النبي هو القادر على تلقي الوحي من الله. لينقل ما يتلقاه من الوحي الإلهي إلى الناس. الرسول هو من يبشر بالوحي، ويحمل أوامر الله للناس، ويثقف أرواحهم وعقولهم بالوعظ والإقناع. وعليه، فإن الرسول مدعوم بجهوده، بكل الوسائل المقبولة المتوفرة لديه، إلى دعوة الناس للإيمان بالله، والبحث عن تغيير في أيديولوجيتهم ومعتقداتهم ونظرتهم للعالم بشكل عام. يُشير الكاتب مؤكداً أن هناك تأكيداً كبيراً من مختلف المصادر، إن أولئك الذين كانت لهم مراتب مختلفة، أوكلهم الله بمهام عالية لإمام هو الذي يهدي ويقود الناس. في الواقع، تهدف أنشطة الإمام إلى تنفيذ أوامر الله من خلال اكتساب السلطة والنفوذ الذي يسمح له بإقامة نظامُ حكمٍ تقي. فإذا فشل في إنشاء نظام السلطة الرسمية، فإنه يفعل كل ما في وسعه لتنفيذ وصايا الله في حياته وفي مجال علاقاته العامة. معنى ذلك أن الإمام مدعو إلى تنفيذ أوامر الله والتأكد من تنفيذها، والرسول لا يعمل إلا بهذه الأوامر. أي أن الرسول يشير إلى الطريق، والإمام بالإضافة إلى قيامه بواجباته الأخرى المشار إليها أعلاه، يسير في نفس هذا الطريق. كما يجب التأكيد على حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أن العديد من الأنبياء، مثل نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله، امتلكوا الرتب الثلاثة. لقد تلقوا في نفس الوقت الوحي الإلهي، فوعظوا بأوامر الله وبذلوا جهوداً عملية لتنظيم حكومة تقية تتبع وصاياه، مع الانخراط في الوقت نفسه في التعليم الروحي للناس وفقاً لتعاليمهم الدينية.

Короче говоря, имамат - это всестороннее руководство

мусульманской общиной: материальное и духовное, светское и религиозное, явное и тайное. Имам является главой исполнительной власти, лидером общества, наставником в вопросах религии и воспитателем нравственности.

(نص باللغة الروسية حول الإمامة). باختصار، الإمامة هي القيادة الشاملة للمجتمع الإسلامي، مادياً وروحياً، علمانياً ودينياً، علنياً وسرياً. الإمام هو رئيس السلطة التنفيذية، وقائد المجتمع، ومرشد في أمور الدين ومربي للأخلاق. إن الإمام، الذي يمتلك قوة روحية صوفية، هو الذي يرشد الناس إلى تحسين الذات، بمساعدة المعرفة المعطاة له، وهبة التوجيه، ينير الظلام، وبمساعدة حكومته أو غيرها من روافع السلطة المتاحة له، فهو يطبق مبادئ العدالة، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[1]. يتساءل بعض المتشككين كيف يمكن أن يسمح الله تعالى بهذا القدر من الظلم في هذا العالم؟

في دين الإسلام لا توجد توافقات، (توافق الشر مع الإرادة الإلهية الحسنة)، وهناك إجابات واضحة على هذا السؤال في القرآن.

Когда Господь испытывает человека, оказывая ему милость и одаряя его благами, тот говорит: “Господь мой почтил меня!” Когда же Он испытывает его, ограничивая его в пропитании, тот говорит: “Господь мой унизил меня!” Вовсе нет! Вы сами не почитаете сироту, не побуждаете друг друга кормить бедняка, жадно пожираете наследство и страстно любите богатство» (سورة الفجر باللغة الروسية) .

(١) سورة الحديد، الآية ١٣.

تقول سورة الفجر: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ، كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾[1]. أعطى الله تعالى للإنسان كل الموارد الأرضية والقوانين الحكيمة حتى ينظم حياة المجتمع على أساس العدل. لكن الناس بسبب الجشع والعطش للربح والسلطة والجبن والجهل وعدم المعقول يرفضون قبول الشريعة. في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وآله، والأئمة المعصومين التأكيد مراراً على ضرورة التصدي الحازم للشر. بلغَ الوحي الذي نزل على النبي شعيب، قال الله العظيم تعالى: سأُخضع مئة ألف من إخوانكم من رجال القبائل لعقاب أليم. وستين ألف بار مثلهم. سأل شعيب عليه السلام، متوجهاً إلى الله: «يا رب لماذا الصالحون؟ فأوحى الله له «لأنهم لم يغضبوا لمن عملوا السيئات». مع ذلك، خلال الفترات الماضية، وخلال مسيرة التاريخ، غالباً ما يحدث أن المتعطشين للسلطة والوصوليين يستغلون الرغبة الطبيعية للناس في تحقيق العدالة المزيفة من أجل استخدامها، وإنشاء نظام أكثر قمعاً قائم على حطام الاستبداد القديم. علاوة على ذلك، فان في تاريخ الأمة الإسلامية، كانت هناك سوابق عندما تم اضطهاد الناس تحت راية الإسلام من قبل أولئك الذين رفضوا قيادة العائلة النبوية. وقد نتج عن ذلك الكثير من مشاكل الأمة الإسلامية من وصول هؤلاء إلى السلطة.

ولكي لا تشوش الحركة الداعية إلى العدالة أو تؤدي إلى طريق مسدود من قبل هؤلاء المحتالين على السلطة الماهرين على مر الحقب والدهور، ظهرت الحاجة إلى الإمام الطاهر الذي أوكله الله سبحانه وتعالى لهذا الأمر، وهو الإمام محمد مهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام. وفقاً لحديث النبي، هو الذي سيقود حركة الكواكب والكون، لنشر القانون الإلهي، فيملأ الأرض بالقسط وبالعدل بعد

(١) سورة الفجر، الآية ١٥- ٢٠.

أن امتلأت بالظلم والرذيلة. يأسف الكاتب بالإشارة إلى، «للأسف، العديد من المسلمين وغير المسلمين لديهم أفكار غامضة للغاية حول المهدوية. يعتقد البعض أن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، انه لم يولد، وانه سيولد في المستقبل. شخص آخر يُعَرفه عن طريق الخطأ بيسوع عليه السلام السيد المسيح»، على الرغم من وجود تمييز واضح في الحديث بين هذين الصالحين والأشخاص القريبين من الله. البعض الآخر مرتبك تماماً بسبب الدعاية الماكرة، ولكن الدعاية اللاهوتية التي لا يمكن الدفاع عنها، وكأن الإيمان بوصول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ليس جزءاً من العقيدة الإسلامية، على الرغم من دحض هذه الأطروحة من قبل المصادر الشيعية والسنية.

Мухаммад Махди, Имам аль-Ка’им (Восстающий), Худжжат (Довод Аллаха на Земле), Имам Махди аль-Мунтазар (Ожидаемый), Сахиб аз-Заман, Валий аль‘Аср (властвующий над временем), Имам Времени (А) - его называют разными именами. Имам Махди (А) родился в 255 году хиджры, являясь сыном одиннадцатого Имама Хасана аль-‘Аскари (А) и приняв шей Ислам византийской принцессы Нарджис. Он находится в Сокрытии и является Имамом нашего времени (نص باللغة الروسية عن كنية الإمام).

يُكَنى الإمام بعدة كنى منها، (الإمام القائم)، (حجة الله على خلقه)، الإمام المهدي (المنتظر)، (صاحب الزمان)، (ولي العصر). حيثُ ولد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف عام ٢٥٥ هـ، وهو ابن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام، وأمه الأميرة البيزنطية (نرجس)، حيثُ تزوجت من الإمام الحادي عشر، بعد إسلامها.»من مات

ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[١].

كما أن هناك روايات تقول إن من ينكر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف كأنه ناكر لجميع الأئمة السابقين عليهم السلام، وهذا بدوره إنكار لرسالة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله، وهذا إنما هو إنكار لله عز وجل. لذلك فإن معرفة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ذات أهمية خاصة لنا، ولها مسؤولية خاصة بالنسبة لنا، وقد أوكلها الله إلينا. لابد من الإشارة أن هذا الكتاب هو حول الإمام الثاني عشر، آخر الأئمة الأطهار عليهم السلام، الخليفة الشرعي المستقبلي لجميع المسلمين الحقيقيين في مملكة العدل الإلهي العالمية. بالحديث عن الاسم الحقيقي للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، تجدر الإشارة إلى أن هناك أئمة آخرين منعوا أتباعهم من النطق باسمه الحقيقي. بعضهم قال إن اسمه هو نفس اسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وله نفس الكنية. وهذا النهي يبقى قائماً حتى يظهر للناس (بعد الغيبة الكبرى). ومن أشهر ألقابه: «المهدي»، و«القائم»، و«الحجة»، و«البقية»، و«بقية الله في أرضه». ولد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف يوم الجمعة ١٥ شعبان ٢٥٥ هجرية في مدينة سامراء في العراق. معتبرا أنه الآن ١٤٢٣ هجرية قمري، يبلغ عمر المهدي تقريباً ١١٦٨ سنة، وستستمر حياته حتى الوقت الذي يُظهرهُ الله فيه. في يوم من الأيام، سيظهر بأمره ويملأ العالم بالعدل والعدالة[٢].

(١) البرقي، المحاسن، ص٢٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ص ٣١-٣٤؛ الكليني، أصول الكافي، ص ٣٣٢، ٣٣٣.

المبحث الثاني

Вера в Имама Махди Обещанного (А) как спасителя мира встречается во многих религиях. Не только шииты, но и сунниты и даже представители других религий, таких как христианство, зороастризм и индуизм, ожидают прихода великого божественного реформатора - Мессии. (نص باللغة الروسية عن الإيمان بالإمام المهدي الموعود)

الإيمان بالإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف كمنقذ للعالم موجود في العديد من الأديان. ليس الشيعة فقط، بل السنة أيضاً وحتى ممثلو الديانات الأخرى، مثل المسيحية والزرادشتية والهندوسية، ينتظرون وصول المصلح الإلهي العظيم، (المسيح) عليه السلام.

هناك تأكيد كبير من قبل الكاتب بضرورة الإيمان بالإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف كمنقذ للعالم موجود في العديد من الأديان. ليس الشيعة فقط، بل السنة أيضاً وحتى ممثلو الديانات الأخرى، مثل المسيحية والزرادشتية والهندوسية، ينتظرون وصول المصلح الإلهي العظيم، (المسيح) عليه السلام. يقول كتاب «هل» الذي يعتبره الهندوس مقدساً: «... بعد فساد العالم في آخر الزمان، سيظهر ملك ويصبح زعيم الأمم. اسمه منصور «الذي يعين من السماء». سوف ينتصر على العالم كله ويخضعه لدينه، ويعلم كل مؤمن وكافر، ويتحقق له كل ما يريده من الله[1].

إضافة إلى ذلك فإن كتاب «جامسب» الذي ألفه تلميذ (زرادشت) يقول: «... يخرج رجل من أرض العرب، من نسل بني هاشم، بدستور قوي وعظيم. بقوة اعتناق ديانة جده ... سيدخل إيران بجيش كبير، وسيرتب الرخاء ويملأ الأرض بالعدل والأمان. يشرب الذئب الماء بجانب الخروف. جاء في الكتاب الديني للزرادشتيين

(١) الطبرسي، النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف، ص٤٨.

المسبار): «وبعد ذلك يكون الانتصار العظيم في جانب أرواح النور والخير، وسوف ينقَضون على (أرواح الظلام والشر. كل قوة (الأهرمان) موجودة على الأرض، ولا يمكن الصعود لهم إلى السماء. بعد انتصار (أيزاد) وإسقاط عشيرة (أهرمان)، سيحقق العالم ازدهاراً حقيقياً، وسيجلس ابن آدم على عرش السعادة[١]. كما ورد في كتاب (التوراة) في (سفر التكوين) عن الأئمة الاثني عشر الذين سيأتون من سلالة النبي إسماعيل عليه السلام «وعن إسماعيل سمعتك: ها أنا أباركه، وسأعيده، وبأضعاف كثيرة جداً؛ يولد منه اثنا عشر رئيسا. وأنا أصنع منه شعبا عظيما. يقول (سفر المزامير لداود): «... ولكن الرب يقوي الصالحين. الصديقون يرثون الأرض ويحيون عليها إلى الأبد[٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[٣].

Другой айат гласит:

Нам было угодно оказать милость тем, кто был уни»
.«жен на земле, сделать их предводителями и наследниками
(الآية باللغة الروسية).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

(١) بشارات العهدين، ص ٢٥٨.

(٢) سفر التكوين، ص١٧- ٢٠.

(٣) سورة النور، الآية ٥٥.

الْوارِثِينَ﴾[1]. تشهد الآيات السابقة على أنه في النهاية ستنتقل السلطة في العالم إلى أيدي خدام الله المستحقين، سيذهب هذا الميراث إليهم وسيصبحون قادة البشرية.

إذ ضل الناس اليوم عن طريق الحق، بعد أن نزلوا إلى أعماق الفسق والفجور، فهذا يعني أنه لم يتبق سوى القليل جداً للمرحلة الأخيرة من هذا التدهور، وسرعان ما يستيقظ الضمير البشري. عندها يفهم الإنسان أنه لا يستطيع أن يخلق ويقوي النظام والعدالة والسعادة في العالم، معتمداً على قوته أو عقله أو أفكاره أو تقنيته أو علومه المادية. إنه ليس لديه خيار آخر سوى أن يقوي بناء علاقته على أساس الإيمان والوحي الإلهي وطاعة الله.

И только следуя за божественным спасителем мира, можно спасти себя из пучины опасностей, пройти путь совершенства и на основе справедливости установить всемирное государство, где воцарятся безопасность, мир, чистосердечность и искренность.

(المقطع أعلاه باللغة الروسية).

يمكن للمرء أن ينقذ نفسه من هاوية الأخطار، فقط بإتباع المخلص الإلهي للعالم، ويسير في طريق الكمال، على أساس العدالة، حيثُ يقيم دولة عالمية يسودها الأمن والسلام والصدق والإخلاص.

من يكون الإمام المهدي؟

Кто такой Имам Махди?

1. Пророк Мухаммад, да благословит Аллах его и

(١) سورة القصص، الآية ٥.

его род, сказал: «Не наступит назначенное время [Дня воскрешения], пока не явится один из нас, [Ахль аль-Бейт], и не восстанет с истиной. И это произойдёт [лишь] с разрешения Аллаха, Величественного и Достославного. Спасётся [от адского пламени] тот, кто подчинится ему, и будет погублен тот, кто выступит против него» («Васаиль аш-шиа», т. 7, с. 325, хадис 6).

١. قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم): «لا تأتي الساعة حتى يظهر أحد من أهل بيتي بإذن الله عز وجل. من أطاعه خلص من نار الجحيم، ومن أنكره هلك»[1].

2. Имам Бакир, да будет мир с ним, сказал: «Да будут мои отец и мать жертвами за того, чьи имя и титул такие же, как мои, и он - седьмой человек [из моего потомства] после меня» («Мисбах аль-мутахаджид», с. 680).

٢. قال الإمام الباقر عليه السلام: «ليكن أبي وأمي ذبيحة لمن كان اسمه اسمي، ولقبه لقبي، وهو السابع من ذريتي من بعدي»[2].

3. Имам Джавад, да будет мир с ним, сказал: «Воистину, Каим - из нас, [Ахль аль-Бейт], и он - Махди - тот, кого необходимо ожидать во время его сокрытия и [кому следует] повиноваться после его восстания, и он - третий из мое-

(١) العاملي، وسائل الشيعة، ص ٣٢٥.

(٢) مصباح المتهجد، ص٦٨٠.

го потомства» («Камаль ад-дин», т. 2, с. 377).

٣. قال الإمام الجواد عليه السلام: (إن القائم منا، أهل البيت وهو المهدي المنتظر في السر والطاعة بعد ظهوره وهو ثالث ذريتي)[١].

4. Имам Бакир сказал об Имаме Махди, да будет мир над ними обоими: «Снизойдёт на него откровение [от Всевышнего] и будет он действовать в [полном] соответствии с ним по велению Аллаха» («Бихар аль-анвар», т. 52, с. 390).

٤. قال الإمام الباقر عن الإمام المهدي عليهما السلام: «ينزل عليه الوحي فيعمل بأمر الله»[٢].

5. Имам Садык сказал об Имаме Махди, да будет мир над ними обоими: «Воистину, у Обладателя [права] повеления есть дом, называемый „Домом восхваления [Аллаха]“, а в нём - светильник, что горит со дня его рождения и продолжит [гореть] до дня его выступления с мечом и не будет потушен» («Бихар аль-анвар», т. 52, с. 158).

٥. قال الإمام الصادق عن الإمام المهدي عليهما السلام: «إن صاحب الأمر بيت اسمه بيت الحمد، وفيه سراج. الذي يحترق من يوم ولادته وسيستمر يحترق حتى يوم أدائه بالسيف ولن ينطفئ»[٣].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٧٧.

(٢) الأنوار، المجلد ٥٢، ص٣٩٠.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ص ١٥٨.

يعتقد الكثير أن الإيمان بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، هو صفة شيعية خالصة، وهم مخطئون بذلك، إذ أن هناك دلائل على وصوله إلى القرآن، والأحاديث في هذا المجال كثيرة لدرجة أنه لا يمكن لأحد أن ينكرها. على الرغم من أن البعض قد ابتكر ولا يزال قادراً على فعل ذلك. الفرق الأساسي بين التفسير الشيعي عن الآخرين، هو أن الشيعة يعرفون من هو هذا الشخص، ومن نسله، وما اسمه، ويعتقدون أنه مولود بالفعل، وهو الآن حي ومختبئ. يقول معارضوا قيادة آل بيت النبي أشياء مختلفة عن هويته ويعتقدون أنه سيولد في المستقبل. البعض نعم، يؤمن أن الإمام المهدي من نسل علي وفاطمة (سلام الله عليهم)، الذي سيولد في المستقبل. دعونا نؤكد حقيقة وجود اثني عشر إماماً. وروى جميع علماء الحديث الشيعة والسنة ذوي السمعة الطيبة أن النبي صلى الله عليه وآله أكد إن الأئمة من بعدهِ أثنى عشر إماما.

وفي رواية أخرى عن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال «خلفاء» وليس «ولاة» كما ورد في صحيح مسلم على سبيل المثال. حتى يومنا هذا، لا يستطيع الكثير من أبناء الطائفة السنية الإجابة عن هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، وقد ماتوا جميعاً (سلام الله عليهم أجمعين)، أم أن أحدهم سيكون في المستقبل؟ بينما لا يشك أي من الشيعة في من هم هؤلاء الحكام الاثني عشر. نجد في أي عائلة شيعية مثقفة، وحتى الأطفال الصغار سيقولون أسماء هؤلاء الخلفاء. تقول العديد من الروايات أن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الإمام الثاني عشر وأنه سيكون له غيبة طويلة. يؤكد الكاتب الروسي مشيراً بالقول في أجزاء كثيرة من كوكبنا، يموت الناس من الجوع والعطش، في حين أن حفنة صغيرة من الناس لا يعرفون أين ينفقون الأموال. المحترفون الذين ينقذون الأرواح، ويبنون المباني، وما إلى ذلك، يتلقون البنسات، بينما يحصل آخرين على ملايين مقابل ركل كرة القدم أو المشاركة في مصارعة الديك. النساء اللواتي يرتدين ملابس محتشمة مكروهين في العديد من البلدان، بينما تحظى النساء شبه العاريات بتقدير كبير. العالم يحكمه الظالمون، الذين لا يستحقون الإشارة لهم. بشكل عام، يمكن القول أن في

العالم تقريباً كل ما يمكن تحريفه وقلبه قد تم تحريفه وقلبه رأساً على عقب لذلك، عندما يكشف الإمام عن مبتغاه للعالم، فمن الطبيعي أن تثور ضده نخب العالم التي لا تريد تغيير النظام القائم. إن الإمام، الذي يحقق إرادة الله ويتلقى الدعم منه، سينتصر بالتأكيد على كل أعدائه ويقيم النظام والعدالة في العالم. من العناصر المهمة الأخرى لرسالة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ترميم ونشر دين جده النبي محمد صلى الله عليه وآله. على مدى القرون العديدة من الرفض المتعمد لقيادة آل بيت النبي، فضلاً عن الافتقار إلى التواصل المباشر مع الإمام، تعرض الإسلام الكثير من التحريفات والابتكارات والبدع (وهذا ينطبق بشكل خاص على الإسلام السني). المكون الثالث لرسالة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، سيكون نشر المعرفة الإلهية المتعلقة بكل من العالم المادي والروحي.

يؤكد الكاتب الروسي مشيراً بالقول ما نُقل من معارف تراكمت لدى البشرية على مدى تاريخها الطويل لن تكون سوى جزء صغير مقارنة بما سيفتحه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف للناس. يشير الإمام الصادق عليه السلام الى أمر مهم يختص بممن تتكون المعرفة؟ حيثُ تتكون من سبعة وعشرين جزءاً، وحتى يومنا هذا لم يدرك الناس أي شيء، باستثناء جزأين منهم. عندما يخرج قائمنا عجل الله تعالى فرجه الشريف، سيخرج الأجزاء الخمسة والعشرون المتبقية ويفتحها أمام الناس). في هذه الحقبة القادمة، سيتولى الإمام دور المطالبة بالثأر ممن ظلم أهل بيت النبي وإراقة دماءهم. ووفقا للإسلام لا يمكن أن يترك سفك الدماء البريئة بلا ثأر إلا إذا رغب الطرف المظلوم في ذلك. وهناك أساطير مفادها أن بعض أعداء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، سيعودون إلى هذه الدنيا، ليحكم عليهم الإمام في الدنيا وفقاً للدين الإلهي، قبل أن يعاقبوا في الآخرة. بالإضافة إلى ذلك، سيعود جميع الأئمة، وسيحكمون العالم، وسوف يرون المخلوقات، ممن طردوا من رحمة الله ونعمته، منذ قرون طويلة، رافضين قيادة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

Сам аль-Махди появится не с небес, как появится Иса, но на земле вместе с Исой Махди будет устанавливать

царство Божье. Вместе Иса и Махди установятся на земле новые, справедливые порядки, искореняя несправедливость и насилие.

يؤكد الكاتب الروسي، الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف لن يظهر من السماء كما سيظهر عيسى، ولكن على الأرض مع عيسى المهدي سيؤسس ملكوت الله. سيؤسس عيسى والمهدي معاً نظاماً جديداً عادلاً على الأرض، يقضي على الظلم والعنف. في ذلك يؤكد الباحثين الروس على حقيقة تزامن ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ونبي الله عيسى عليه السلام. أنه لم يرد وصف لموعد وصول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في القرآن، لكن قدوم القيامة موصوف بالتفصيل، ووصول المهدي عجل الله فرجه الشريف يشير بدقة إلى اقتراب وقت القيامة. علامة على مجيء المسيح عيسى عليه السلام، إلى الأرض ستكون بعد الغزو العالمي لقوى الشر على الأرض، انتصارات قوى الشر هذه على قوى الخير، الظلم والجور، ونتيجة لذلك سيحتاج الناس إلى مجيء المخلّص. إذا لم يظهر المخلص ولم ينقذ البشرية، فسيُبلع العالم البشري بالظلمة. يطلب الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف من النبي الكريم عيسى عليه السلام أن يتقدمه للصلاة، لكنه يرفض قائلاً: «أن الصلاة قد قامت لك». في هذه الصلاة، سيقف النبي الجليل عيسى عليه السلام، وراء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف. وبحسب قول الرسول محمد الوارد في حديث أبي هريرة: «تتبع الإشارات بعضها البعض، كما تسقط الخرز الواحد تلو الآخر من الوتر. سيظهر الوحش بعد أن تشرق الشمس ليس في الشرق، ولكن في الغرب، حيثُ تبدأ الفجوات في الظهور في الأرض وستبدأ علامات يوم القيامة في الظهور واحدة تلو الأخرى.

الخاتمة:

توصل الباحث في خاتمة البحث إلى عدة أمور أهمها:

١. إن من أهم الواجبات الملقاة على عاتقنا كمؤمنين بأهداف ومبادئ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولعل الواجب الأول الذي يتقدم جميع هذه الواجبات في الأهمية، هو نشر قضية الإمام في تحقيق العدالة وإنصاف المظلومين ومنع الانتهاكات التي تُلحق بالناس من أي نوع كان، ومن أي قوة أو مصدر كان، حتى يتعرف المسلمون ومن بعدهم العالم أجمع على قضية الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف التي جوهرها تخليص البشرية من الظلم وما يحدث لهم بسبب السياسات الظلمة والكيل بأكثر من مكيال.

٢. إن أقلّ ما يمكن القيام به لخدمة الإمام المهديّ المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف هو أن يخصّص كل واحد منا مقداراً من المال يطبع به كتاباً عنه عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولا يشترط أن يكون الكتاب ضخماً بل كل حسب سعته. وهذا ما سنفعله نحن إن شاء الله، فهذا المصدر الصادر باللغة الروسية، سيترجم إنشاء إلى اللغة العربية، ونهديه إلى سيدنا ومولانا حجة الله في أرضه وسمائه عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٣. نظراً لعمق وسعة مضامين قضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهذا يستوجب أن تكون مطالعاتنا لهذه القضية بكل ما تشتمل عليه من أساسيات وتفرعات، بما يوازي هذه الأهمية القصوى، أي أننا مطالبون بمضاعفة الاطلاع والقراءة والبحث والاستفسار والاستزادة من المعلومات التي توفرها لنا المطبوعات التي تعرض وتفصّل لقضية إمام العصر والزمان.

٤. ثمة مسؤولية ينبغي أن يفهمها الإنسان المؤمن أولا، ومن ثم عليه أن يتصدى لهذه المسؤولية بثقة ودقة واستعداد تام، وتهيئة روحية وقلبية إيمانية خالصة، تقي الإنسان من العثرات الدنيوية التي قد تأخذ بقدميه وقلبه نحو الزلل، لذلك فإن فهم الواجبات الملقاة على عاتقنا اشتراط بالغ الأهمية، ويعادله في الأهمية نفسها

اشتراط التطبيق الدقيق والتام للواجبات بعد معرفتها بإتقان.

٥. إن الكيفية التي نؤدي بها واجباتنا، واضحة ومتسلسلة وليست صعبة، في حال قرر الإنسان المؤمن أن يلتزم بها ويؤديها على النحو الأفضل، وإجمالا تتركز هذه الواجبات في جملة من الإجراءات التي يتصدى لها المؤمنون بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وتتقدم جميع تلك الواجبات الإسهام في نشر أهداف ومبادئ الإمام.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١) البرقي، أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد، المحاسن.

٢) بشارات العهدين.

٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة.

٤) سفر التكوين.

٥) الشافعي، حافظ الكنجي، البيان في أخبار صاحب الزمان، ٦٥٨هـ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٦) الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي، كمال الدين وتمام النعمة.

٧) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد.

٨) الطبرسي النوري، حسين «النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب».

٩) المالكي المكي، علي بن أحمد بن عبد الله، الفصول المهمة في معرفة الأئمة عليهم السلام.

١٠) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار.

١١) الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي.

١٢) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، حديثُ الثقلين.

الفهرس

العقيدة ٥

البحث الثاني والعشرون: أخلاقيات الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٧

البحث الثالث والعشرون: مضامين الوعظ والإرشاد في روايات الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٦٣

البحث الرابع والعشرون: وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى شيعته وآثارها العقدية في بناء الشخصية ـ قراءة موجزة ـ ١٠١

البحث الخامس والعشرون: البعد العقائدي لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام ودوره في ترسيخ مفاهيم الوحدة الإسلامية ١٣٥

البحث السادس والعشرون: الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعطاؤه العلمي والفكري ١٥٥

البحث السابع والعشرون: التنشئة الاجتماعية في فكر الإمام الحسن العسكري ١٩٧

البحث الثامن والعشرون: أبعاد التعايش السلمي في وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٢٣٧

البحث التاسع والعشرون: توقيع الإمام الحسن العسكري عليه السلام لإسحاق بن إسماعيل

النيسابوري ـ دراسة تحليلية ـ ٢٦٧

البحث الثلاثون: منقذ البشرية الإمام الحجة بن الإمام الحسن (العسكري) عليه السلام رؤية بحثية، لكتاب (الإمام المهدي منقذ البشرية) باللغة الروسية ٣٠٧